...OSMA...
681
953

NURUOSMANIYE
681
953

٩٩٣

كتاب المعين المبين شرح حديث اربعين لسلطان علي القاري

ب

٢١٠

مبين المعاني لفهم الحديث الاربعين لعلي القاري

ق
٢٨٨

لفظ روينا ١٠ | اسلام علي كرم الله وجهه ١٠ | آل الوصية ١٤ | تفصيله في شرح شمني لمغني اللبيب ١٤

سبب تسمية عمر امير المؤمنين ١٩ | اول من سمي بعبد الله بن جحش ١٩ | شهادة عمر ٢٠ | ترجمة البخاري ٢٧

لفظ بينا ٢٧ | تاريخ فرضية الصوم والحج ٤٥ | كون الايمان كسبي او غير كسبي ٣٨ | كتب منزلة ٣٤

جواز اطلاق رمضان من غير ذكر شهر ٣٠ | وجه كون الايمان شرطا وشطرا ٣١ | تعريف النية ٣٣

قصد المشترك بين العبادة والعادة ٣٤ | قول ابي شامه شيخ نووي في تعظيم يوم ولادة اكرم الانبياء ٥٤ | جواز صلوة رغائب ٥٤

يحرم اكل الافيون واذا اعتاده يجب استعماله ٥٥ | محل العقل ٥٧ | النفس الناطقة ٦٠

الدين النصيحة ٦١ | قاعدة درء المفاسد اولى من جلب المصالح ٦٦ | مسح باليد الوجه بعد الدعاء ٧٠

خلافة حسن رضي الله عنه ٧١ | لا بد في المحصن من تحقق الوطي ٧٦ | المغفرة بالحسنه ٨٦

القضاء قسمان مبرم ومعلق ٩٠ | العشرون يطلق على العدد المكمل للعشرين مجازا ٩٦ | الايمان يحبط ما قبلهن من الخطايا ٩٩

وزن الاعمال ١٠٠ | حديث قدسي ١٠٤ | نفي الظلم عن الباري ١٠٤ | من اعان ظالما ١٠٦

الاحاديث القدسية اكثر من مائة ١١١ | اوليس ١١٢ | كون الوطي امرانه ايمانا ١١٤ | عطف او معرف ١١٣

العابط لفظ كل مضاف الى نكرة ١١٧ | تعريف النفس ١٢١ | مسند امام احمد حنبل ١٢٣ | الاحتجاج بحديث من لم يلزم الصحيح والحسن

المصافحه ١٢٧ | البدعة ١٢٧ | اصول البدع سبعة ١٣١ | الفرق ضالة ١٢٥ ١٢٦

الامور المكفرة ١٣١ | تلاوة القرآن ١٦٦ | لا شيء عند ابي حنيفة ومالك بعد فروض الاعيان افضل من العلم ١٣٦

قول عبد الله بن المبارك في حق عمر بن عبد العزيز ١٤٥ | دعاء شريف ١٤٦ | فرع غريب من اصل عجيب ١٤٩

الفقهاء السبعة ١٥٠ | وعد الامام ان ينصب محتسبا ١٥٣ | مراتب النهي المنكر على وجه المعتبر ١٥٦

ليس في الكونين اعرف من نبي الله وحبيب الاله ١٦١ | تخفيف العذاب من الكفار ١٦٢

علم اليقين عين اليقين وحق اليقين ١٦٥ | من هم بسيئة فلم يعملها ١٦٨ | ما يقال عند دخول السوق ١٦٩

الظلم في الاشهر الحرم اعظم ١٧٠ | حسنات الحرم ١٧٠ | تعلم العلوم ١٧٤

حمد شريف ١٧٢ | المؤمن مرآة المؤمن ١٧٦

تمت بعون الله

NURUOSMANIYE KÜTÜPHANESI

Kısmı :	Nuruosm.
Yeri :	681
Eski Kayıt No.	953
Tasnif No.	297.2(077)=927

٩٥٤

وقف عمدة ملوك الدوران وسلالة آل عثمان مشكاة أنوار أنواع المحاسن
مصباح مشارق مجالس الكرام محيي السنة أعاظم الأمة السلطان ابن السلطان
السلطان أبو المحاسن والمواهب عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان
لا زالت أيامه مصابيح الإقبال وساعاته المحمدية مفاتيح
أبواب الآمال وأنا الداعي لدولته الحاج إبراهيم
حنيف المفتش بأوقاف الحرمين
المحترمين
عفي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الأعداد والأوقات اعتبار الأنام • فخلق السموات
والأرض في ستة ايام • وخمر طينة ادم عليه السلام • بيديه اربعين
صباحا في مقام الاكرام • وجعل اطوار خلقة افراد بني ادم اربعين
نطفة ثم اربعين علقة ثم اربعين مضغة الى ان كسى اللحم فوق العظام
• وواعد موسى عليه السلام اربعين ليلة لميقات الكلام • وبعث نبينا
صلى الله عليه وسلم بعد تكميل اربعين سنة على سنن اكثر الانبياء الكرام •
والصلوة والسلام الأتمان الأعمان • الأفضلان الأمثلان على من
خلق اولا في عالم الارواح • وجعل اخر من بين الانبياء في مراتب الاشباح •
ليكون مظهرا للمراتب الاولية الباطنية ومظهرا للمناقب الاخروية الظاهرية
وعلى اله الكرام • واصحابه الفخام • وسائر اتباعه الى يوم القيام اما
بعد فيقول المفتقر الى بر ربه الباري علي بن سلطان محمد القاري • هذا شرح
عزيز لا بسيط • ولا وجيز غير مخل في بيان مبانيه ولا ممل في برهان معانيه
ممزوج بفوائد لغوية ونحوية وفقهية وعوائد صوفية من اسرار
قدسية • وانوار انسية قصدت بتوفيق الملك المعين سلوك خدمة
هذه الاربعين المشتملة على احكم المباني وابلغ المعاني التي صدرت
من مشكوة صدر من نزل عليه سبع المثاني • مما الفه الشيخ الامام
العلامة والهمام الفهامة محيي الدين النووي قدس الله روحه العلي ونور

ضريحه

ضريحه الجلي وقد ولد سنة احدى وثلاثين وستمائة بنوى قرية
من دمشق الشام وقرا بها كلام الملك العلام سنة تسع واربعين
وقرا التنبيه في اربعة اشهر ونصف وحفظ ربع المهذب في بقية
السنة ثم مكث قريبا من سنتين لا يضع جنبه على الارض يقرا اثني
عشر درسا من العلوم • وكان امرا ناهيا ساهرا في العلم والعمل صابرا على
خشونة العيش وقصر الامل لا ياكل الا مرة مما يؤتى به من عند ابويه بعد
العشاء ولا يشرب الا شربة عند السحر • ولم يتناول فواكه دمشق لشبهة
فيها ولم يتزوج من زهده وحج مرتين وتولى دار الحديث الاشرفية •
سنة خمس وستين • ولم ياخذ من معلومها شيئا يلبس ثوب قطن وعمامة
سبخانية وعليه سكينة ووقار • في بحث العلوم الدينية • ولم يزل على ذلك
الى ان سافر الى القدس ثم عاد الى وطنه فمرض عند ابويه • وتوفي سنة ست
وسبعين وستمائة ودفن ببلده طيب الله مضجعه • روي انه انشد
ابياتا عند الوفاة منها سائر قلبي في قدومي عليهم وبالسير يسري يوم
اسري اليهم • وفي رحلتي يصفو امقامي وحبذا مقام به حط الرحال لديهم
وسميته بالمبين المعين لفهم الاربعين وهذا اول الشروع في المقصود
بعون الملك المعبود قال رحمه الله بسم الله اي باسم المعبود بالحق
الواجب الوجود المبدع للعالم من اثر الكرم والجود والباء للاستعانة
متعلق بفعل مؤخر مثل ابتدي او ابتدائي لافادة الاختصاص والاهتمام
في مرتبة الخاص ولانه ما هو السابق في الوجود يستحق السبق في
ظهور الجود ولذا قال بعض المحققين من ارباب الشهود ما رايت شيئا
الا ورايت الله قبله وزاد عليه من ترقى لديه بقوله سوى الله والله ما في

الوجود الرحمن العام الرحمة لجميع البرية بافاضة اصول النعم وجلائلها
الرحيم الخاص الرحمة للمؤمنين بالهداية ومايتوقف عليه سعادتهم
من دقائقها وحقائقها واصل الرحمة انعطاف القلب والرقة وهى
فى حقه سبحانه ارادة الخير لمن يستحقها او ترك العقوبة لمن يستوجبها
والحاصل ان الرحمن هو المفيض للوجود والكمال على الكل بحسب مايقتضى
الحكمة على وجه البداية والرحيم هو المفيض للكمال المعنوى المخصوص
بالنوع الانسانى بحسب النهاية وفائدة لفظ الاسم ان يتيمن به الحق
على قلوب اهل معرفته من الخلق فلما قدم لفظ الله اضمحلت العقول
فى بيداء عظمته وذابت الارواح فى بحار الوهيته فاتبعه بالرحمن
الرحيم ليسلى قلوب الموحدين ويشفى صدور قوم مومنين كذا قاله
بعض المحققين وقيل الرحمن شراب شوق اهراقه لارباب ذوق فى
قدح الرحيم ليتناول العباد فى مقام المراد حتى اذا شربوا اسكروا او
اطربوا فطلبوا فساروا فطاروا فوصلوا فاتصلوا فذابوا
واضمحلوا فى بيداء كشفه واستغرقوا فى بحار لطفه هذا والله
هو الاسم الاعظم لكن بشروط من جملتها ان تقول الله وليس فى
قلبك سواه ونقل الاستاد ابو القاسم القشيرى ان جميع اسمائه تعالى
للتخلق الا هذا الاسم فانه للتعلق ثم اعلم ان المص افتتح كتابه بالتسمية
والتحميد تاسيا بالكتاب المجيد وعملا بالحديث الصحيح المفيد كل امر
ذى بال اى شان وحال لا يبدء فيه ببسم الله الرحمن الرحيم
او بالحمد لله او بحمد الله او بذكر الله فهو اجذم او اقطع او ابتر روايات
متعددة وعبارات مختلفة مؤداها ان متروك البسملة قليل البركة

او مقطوع الزيادة ورواية بذكر الله اعم وفى المعنى اتم لما يشير الى ان
الابتداء العلى الشان يحصل باى ذكر كان سواء يكون فى ضمن البسملة
او الحمدلة الا ان الجمع بينهما افضل والاهتمام باقترانهما امثل والترتيب
ماخوذ من الكتاب الجليل مع ما فيه من الاشارة الى ان توفيق الاتيان بالبسملة
انعام جميل فينبغى ان يترتب عليه شكر جزيل فقال الحمد لله وهو الوصف
بالجميل الاختيارى على جهة التبجيل سواء تعلق بالفضائل الكسبية او
بالفواضل الوهبية واللام للاستغراق خلافا للمعتزلة فى هذه المسألة
وقيل للجنس فلامه للتخصيص فيؤول امره الى الاول فتامل هذا وفى كلام
الصوفية ان الحمد كما يكون بالمقال يكون بالافعال ولسان الحال وهو
ظهور الكمالات وحصول الغايات من الكائنات اذ هى اثنية فائحة
ومدح رائعة لمولاها بما يستحقه فيما اولاها فالموجودات كلها مسبحة
منزهة حامدة اظهارا لكمالاتها واشعارا من بداياتها ونهاياتها فى مظهريتها
للصفات الجلالية والنعوت الجمالية كما قال وان من شئ الا يسبح بحمده
اى بلسان فصيح ملكوتى سديد يسمعه من كان له قلب او القى السمع
وهو شهيد وبهذا اللسان نطق الحصى فى يد المصطفى وبه تحدث الارض
اخبارها وتنطق الجوارح باوزارها وبه نطق السموات والارضين
حيث قالتا اتينا طائعين ثم اختار اسم الذات المنبئ عن صفات
الكمال ووصفه بما يتفرع عليها من الافعال ايماء الى استحقاقه من
جميع الجهات وسائر الاحوال ولذا قال رب العالمين بالجر على البدلية
ويجوز رفعه ونصبه فى العربية وبالثلاثة قرء فى الفاتحة اى
مبديهم ومربيهم قال الواسطى هو الخالق ابتداء والمربى غذاء والغافر

٧

منه اى الغنى الفضيلة على العزم الانسان ولا تنفك
الفاضلة كالعلم والشجاعة والسخاوة

مطلب في عدد العالمين

انتهاء والعالم كل ما يعلم به الصانع العالم وجمع لتعدد انواعه واختلاف
اصنافه فقد قال وهب هي ثمانية عشر الف عالم وقيل اربعون الفا
وقيل ثلاثمائة وستون الفا وقيل ثمانون الفا نصفه في البر ونصفه
في البحر وقال كعب الاحبار لا يحصي عدد العالمين غيره سبحانه قال تعالى
وما يعلم جنود ربك الا هو واختير هذا الجمع تغليبا لذوي العقول من
الملائكة والثقلين لشرفهم واستتباع غيرهم فهو عبارة عن المخلوقات باسرها
من جواهرها واعراضها لافتقارها الى موثر واجب لذاته تدل على وجوده
وثبوت صفاته قيوم السموات والارضين بفتح الراء وتسكن وعلل بان
قياسه ارضات كثمرات فلما عوض منه الواو والنون ابقوا فتحة الراء ايماء
الى اصل البناء والقيوم فيعول مبالغة القائم والمراد به هنا القائم بذاته
المقوم لمصنوعاته فهو خالقهما والدائم القيام بامرهما وجمع السماء لاختلافها
بالاثار والحركات عند الحس وتباينها في الجنس كما ورد في كتاب المعراج للاستاد

مطلب في كيفية السموات وماهياتها

القشيري ان الاولى موج مكفوف والثانية من النحاس والثالثة من
الفضة والرابعة من الذهب والخامسة من الياقوت والسادسة
من زمرد والسابعة من نور والعرش من جوهرة خضراء او باعتبار كبرها
وسعة جرمها في الخبر ان الارضين السبع بجنب السماء الدنيا كحلقة في
فلاة وهكذا كل سماء بالاضافة الى ما فوقها وجميع الكائنات بالنسبة الى
العرش وقدمها لشرفها وعلو مكانها وافراد الارض في الكتاب لاتحاد جنسها
او لصغر جسمها او لثقل جمعها وانما جمعها المصنف كما ورد في بعض الاحاديث
اشعارا بانها مثلها في عددها قال تعالى ومن الارض مثلهن وفي كل طبقة
ما لا يعلمه الا الله الذي خلقهن وايثار الرعاية الفاصلة فيما قبلها وما

بعدها

بعدها هذا وقال القشيري فمن عرف انه القيوم بالامور والاحوال
استراح عن كد التعبير وتعب الاشتغال وعاش براحة التفويض بكريمه
لم يحصل في قلبه للدنيا كثير قيمة وقد قال الاكابر ان جميع كرايم الدنيا
والعقبى عند الله اقل من تبنة عند سلطان الدنيا مدبر الخلايق
اجمعين اي العالم بعواقب امورهم ومفيض ما يتوقف عليه وجودهم
وثبوت ظهورهم فان التدبير له في العالم العلوي والسفلي فتدبيره لعالم
الارواح كتدبيره لعالم الاشباح وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا
يختلف بالنسبة الى قدرته احوال شي من صفته في الايجاد والاعدام
والمنع والاعطاء وامثال ذلك المرام باعث الرسل اي مرسلهم صلواته
اي انواع رحمته المقرونة بعظمته وسلامه وتسليمه من كل اصناف
معاتبته المقرونة بمعاقبته عليهم والجملة خبرية مبنى وانشائية معنى
كالحمد لله والصحيح ان الرسول انسان اوحي اليه وامر بتبليغه والنبي من لم يؤمر
او هو اعم منه وفي مسند احمد ان عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون
الفا والرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر قيل مساق الكلام يقتضي ان
يكون لهذه الاوصاف مدخل في اقتضاء الحمد على المرام لان ترتيب الوصف على الحكم
مشعر بالعلية كما تقرر في الاصول الدينية واجيب بان الامر كذلك اما
ربوبيته للكل بالامداد الرزقية والحفظية فظاهر انها من المنح الجليلة واما
قيامه بامر السماء والارض فلانه لولا لاختل العوالم العلوية والسفلية
فلا يمكن لهم اكتساب المعارف الدينية واللطائف اليقينية اذ اصلاح
المعاد بانتظام امر المعاش والزاد واما تدبيره فهو افاضة وجودهم
وصفاتهم وما يتوقف عليه ثبوت بقائهم ولا يخفى انه ايضا من النعم العظيمة

والمشهور ثلاثمائة وثلاثة عشر وقيل اربعة عشر كذا في شرح ...

والمنن الوسيمة واما بعثة الرسل فلان الخلق بسبب احتجابهم و
بعدهم عن الحق لا يمكنهم تلقي المعارف والعلوم من الحضرة الصمدية
بل لا بد لهم في استفاضة المطالب واستفادة المآرب من واسطة تكون
من وجه تناسب الحضرة الاحدية ومن وجه تلائم الرتبة البشرية
فيستفيض بسره المشاهد للحق ويفيض بظاهره المخالط للخلق وهم
الرسل الكرام فكما بعثهم من النعم الجسام الى المكلفين اي العقلاء البالغين
من الانس وكذا من الجن بالنسبة الى نبينا صلى الله عليه وسلم بل وكذا من الملائكة
وحتى من الحيوانات والجمادات كما يشير اليه خبر مسلم وارسلت الى الخلق
كافة واما ما قيل من ان التكليف الزام ما فيه كلفة فهو غالبي بالنسبة
الى العامة والعقل الذي هو مناط التكليفات غريزة يلزمها العلم بالضروريات
عند سلامة الالات وفي كلام بعض الصوفية انه جوهر فطري يتميز به
الصلاح من الفساد والخير من الشر فان تعلق بالخالق فهو عقل المعاد
والهداية وان تعلق بالخلق فهو عقل المعاش والبداية لهدايتهم اي دلالتهم
الى ذات الله وصفاته وافعاله في مصنوعاته وهداية الرسل الكرام
بدلالة العوام الى دار السلام بارشاد الخواص طريق السير الى الله ثم في
الله ليمحو عنهم ظلمات احوالهم ويميط غواشي ابدانهم فيستضيئوا
بنور القدس ويروه بنوره في مجامع الانس ثم اعلم ان الهداية على ضربين
بمعنى الدلالة وتفريق الحق من الضلالة وهو هداية ارباب الرسالة
وبمعنى التوفيق والتأييد والتحقيق وهو مخصوص به سبحانه بهذا المعنى
يجمع بين قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
وبين قوله سبحانه وانك لتهدي الى صراط مستقيم اويقال شار

فيهما

فيهما الى مقام الجمع كما تقرر في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى وبيان شرايع الدين الشريعة لغة نهج الطريق الواضح الى الماء و
اصطلاحا الطريقة الالهية المثبتة للاحكام الدينية المتضمنة لمصالح
العباد وعمارة البلاد وتجارة المعاد والدين لغة الطاعة والجزاء وشرعا
وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمودة الى ما يصلح في معاشهم
ومعادهم والدين والملة يتحدان ذاتا ويختلفان اعتبارا فان الشريعة
من حيث انها يطاع بها تسمى دينا ومن حيث انها تجتمع عليها
تسمى ملة وقوله لهدايتهم اشارة الى البعثة وهي دعوة الخلق الى
الحق وارشاد العباد الى مصالح المعاش ومنافع المعاد واعلامهم
بما يعجز عقولهم عن معرفته من اصلهم كالحشر والنشر والجنة والنار
وتعيين وظايف الطاعات وتبيين اوقات العبادات وبيان
الحدود والاحكام في المعاملات وذلك لان الانسان لما لم يكن مستقل
الشان بامر معاشه من غذائه ولباسه ومسكنه بل لا يتم له الا
بمشاركة من ابناء جنسه وكل يشتهي ما يفتقر اليه فاحتيج الى عدل
متفق عليه ينحصر امر كلهم لديه ولما كان من المتعذر حصر الامور
الجزئية مست الحاجة الى ضبط قوانين كلية وهي شرايع دينية ولا
بد لها من شارع ممتاز باستحقاق الطاعة لينقاد له المكلفون
في قبول الشريعة وذلك باختصاصه بايات ظاهرة ومعجزات
باهرة دالة على انه من عند الحق الى الخلق كما اشار اليه المص فقال
بالدلائل اي حال كونهم ملتبسين بالادلة القطعية اي الموجبة
للعلم لانها تقطع معارضة الخصم وواضحات البراهين اي الحجج

الواضحة فى المرام ليمتازوا باستحقاق الطاعة للانام وتقبل
منهم الاحكام وقطاع شريعتهم مدى الايام فمن اطاعهم بشروه
بالجنة فى دار القرار ومن عصاهم انذروه بالعقوبة فى دار البوار احمده
عدل من الجملة الاسمية المفيدة للثبات والدوام لقدم الصفات
واستمرارها الى الجملة الفعلية المناسبة لتجدد الانعام وتعاقبها
وتكرارها وايضا عم اولا ثم خصصه باسناده الى نفسه وقال احمده على جميع
نعمه او اراد به هنا معنى الشكر الذى هو من افراد الحمد بقرينة ذكر نعمه
ثم النعمة هى الحالة المستلذة او المنفعة الخالصة من المضرة ولذا
اختلف فى ان الجاحد هل هو منعم عليه او لا ونعم الله تعالى وان كانت لا
ولا يمكن ان تستقصى لقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
اى لا تطيقوا عدها فضلا عن اداء شكرها الا انها اما دنيوية او اخروية
وظاهرية او باطنية والدنيوية اما وهبى كخلق الاعضاء وقوى الاجزاء
ونفخ الروح للاحياء والابقاء واشراقه بالعقل وما يتبعه من الصفا
والضياء واما كسبى كتخلية النفوس من الرذائل وتحليتها بالفضائل
وتحليتها بتحسين الشمائل والاخروى هو ان يعفو الله عن عبيده و
يرضى عنه فى مقام وده ويبوئه فى اعلى عليين مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين واساله المزيد اى الزيادة من فضله وكرمه
اى من افضاله واحسانه فى تجليات جماله وذلك يويد ما ذكرنا من
انه اراد بالحمد الشكر لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولما ورد على ما
رواه ابو داود عن ابى هريرة مرفوعا كل خطبة ليس فيها تشهد فهى
كاليد الجذماء قال المص واشهد اى اعلم واعلن ان لا اله الا الله اى

لا

لا معبود بالحق فى الوجود ازلا وابدا الا الفرد الموجود المتصف بالكرم
والجود احدا صمدا الجامع لصفات الالوهية الحاوى لنعوت الربوبية
وان هى المخففة من المثقلة والجملة مفعول اشهد الواحد اى
المتعالى عن الانقسام والتجزى وقيل هو سبحانه من حيث انه منزه عن
التركيب واحد ومن حيث انه مقدس عن التشبيه احد وفى جامع
الاصول ان الاحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد وان الواحد وضع
لمفتتح العدد ولا يستعمل الا فى الاثبات كقولك رايت رجلا واحدا
والاحد يستعمل فى النفى بقولك ما رايت احدا هذا هو الفرق مبنى واما معنى
فلان الاحد هو المنفرد باعتبار الصفات والواحد باعتبار الذات
ولذا قال بعض الصوفية الواحد المنزه عن الشريك المماثل مع جواز
اعتبار الكثرة الاعتبارية بحسب صفاته والاحد المنزه عن اعتبار
التعدد والتكثر فيه بحسب ذاته القهار الذى لا موجود الا وهو
مقهور تحت قدرته مسخر لقضائه وقدره وعاجز فى قبضته الكريم
المقدس عن العيوب ازلا المنزه عن النقائص ابدا الغفار الذى يستر ذنوب
عباده وفق مراده باسبال الستر فى الدنيا وعدم المواخذة فى العقبى
قال بعضهم ومن ايات الرجاء قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
الاية كانه قال من امضى عمره فى الزلات وافنى عمره فى المخالفات وابلى
شبابه فى البطالات ثم ندم قبل الوفاة وجد من الله العفو عن السيئات
فقوله تعالى ومن يعمل سوءا اخبار عن الفعل وقوله ثم يستغفر الله
اخبار عن القول كانه قال الذين زلتهم قاله وتوبتهم حالة يجد الله
غفورا رحيما طلبوا المغفرة فوجدوا الله بوصف الغفران والرحمة

فليس العجب من السيارة حيث طلبوا الماء ليشربوا فوجدوا يوسف
عليه السلام انما العجب من عاص طلب المغفرة فوجد الملك العلام و
اشهد ان محمدا اى من كثرت خصاله الحميدة وهو اشهر اسمائه العديدة
نقل من الوصفية الى العلمية عبده ورسوله قدم العبودية على الرسالة
النبوية دفعا لتوهم الالوهية وتعريضا للجماعة العيسوية وايماء الى ان
العبادة مما يورث السيادة واشارة الى هضم وفضل ربه وفي كلام الصوفية
انه لا مقام اشرف من العبودية اذ بها ينصرف من الخلق الى الحق وينعزل
عن التصرفات وبالرسالة من الحق الى الخلق ويقبل على التصرفات
ولذا قال اسرى بعبده ولم يقل برسوله وكان من قال الولاية افضل
من النبوة اراد من هذه الحيثية وان كانت الرسالة هي الحالة هم
الجمعيه وهذا توجيه كلام ابن عبد السلام من تفضل النبوة لتعلقها
بالحق على الرسالة لتعلقها بالخلق والتحقيق ان نبوته بمعنى ولايته
وهي نسبة الاستفاضة افضل من رسالته وهي نسبة الافاضة و
اما اذا لوحظ الرتبة الجمعية فالرسالة لها كمال المزية فانها مقام
التكميل الذي هو نهاية مقامات الصوفية فالعبد الحقيقي لربه
من يكون حرا عن هوى قلبه ولذا قيل اتمنى على الزمان محالا ان
ترى مقلتاى طلعة حر هذا وقد جاء في الحديث الصحيح ولكن قولوا
عبد الله ورسوله وحبيبه في مقامه الخاص وخليله في مرتبة
الاختصاص قيل المحبة ايثار المحبوب على جميع المصحوب وقيل موافقة
الحبيب في المشهد والمغيب وقيل محو المحب بصفاته واثبات المحبوب
بذاته وقيل مواطاة القلب لمرادات الرب وقيل خوف ترك الحرمة

مع اقامة الحرمة وقال ابو يزيد البسطامي المحبة استقلال الكثير
من نفسك واستكثار القليل وقال سهل المحبة مقارنة الطاعة
ومباينة المخالفة ثم كونه حبيبا لقوله الا وانا حبيب الله ولا
فخر وكونه خليلا لقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا
بكر خليلا نفى ان يكون له خليل غير ربه فثبت خلته له وعن الامام
الصادق انه قال اظهر الله اسم الخلة لابرهيم واخفى اسم المحبة
لمحمد لتمام حالة اذ لا يحب الحبيب اظهار حال حبيبه لئلا يطلع عليه
غيره وقال لنبيه فاتبعوني يحببكم الله اشعارا بانه لا طريق الى
محبته الا باتباع حبيبه في شريعته ومن هنا قيل الحبيب من غلب
عليه المحبوبية والخليل من غلب عليه المحبية والحاصل ان تسمية
ابرهيم ومحمد عليهما السلام بخليل الله اما بانقطاعهما اليه
ووقف حوائجهما عليه والاضراب عن الوسائط لديه وقدم حبيبه
لاختصاصه به واخر خليله لاشتراك غيره معه او للايماء
الى انه مقام اقدم وحال افخم لخبر البيهقي انه تعالى قال ليلة الاسرى
سل تعط فقال يارب انك اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى
تكليما فقال الم اعطك خيرا من هذا الى ان قال واتخذتك حبيبا
ثم الخليل هو تخلل القلب محبة الرب كما قيل قد تخللت مسلك الروح
مني وبذا سمي الخليل خليلا وسياتي الكلام على تحقيق محبة الله
للعبد ومحبة العبد لله في حديث ازهد في الدنيا يحبك الله هو
افضل المخلوقين بدليل قوله عليه السلام انا سيد الناس يوم
القيمة رواه البخاري وفي رواية الترمذي انا سيد ولد ادم ولا فخر

وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من بني ادم فمن سواه الا تحت
لوائي يوم القيمة ومن المقرر ان الانبياء افضل الخلق وهو افضلهم
فهو اكملهم ولقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وفي رواية البيهقي انا سيد العالمين وفي رواية الترمذي انا اول
من ينشق الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين
العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري هذا و
نقل الفاكهاني ان الصحيح الذي عليه الجمهور هو ان الانبياء
افضل من الملائكة واما كون نبينا عليه السلام افضل الانبياء
والمرسلين جملة وتفصيلا فلا خلاف فيه انتهى واما قوله
صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة لا تفضلوني وفي
رواية لا تخيروني على الانبياء فمحمول على النهي عن تفضيل في ذات
النبوة او الرسالة او عما يودي الى المنقصة او محمول على التواضع
او على انه قبل العلم بالقضية لان التفضيل الاجمالي مقطوع به
لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض المكرم على سائر
رسل بني ادم بالقران اي الفرقان المعظم العزيز البديع المنيع المفخم
لرصانة مبانيه وفصاحتها وصحة معانيه وبلاغتها واشتمالها
على علوم الاولين والاخرين مما يحتاج اليه في امور الدنيا والدين
وقد تكفل الله بحفظه عن كيد الجاحدين وزيغ المعاندين فهو كريم
على الرحمن وحزبه منيع من الشيطان وجنده بل قال بعض ارباب
الكمال ان الله تجلى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون لعدم تحقق
مرامه قال الامام الصادق فيكون عزيز الوجود عزيز المكارم والجود

وقد قال تعالى وانه لكتاب عزيز لانه نزل من رب عزيز بواسطة ملك
عزيز على رسول عزيز الى جمع عزيز قال عثمان بن عفان لو طهر باطن قلوبنا
ما شبعنا من كلام ربنا المعجزة صفة اخرى للقران وهي الامر
الخارق للعادة والتاء للمبالغة كما في العلامة المستمرة اي الباقية
الدائمة الحاكمة على تعاقب السنين الى يوم القيمة بخلاف معجزات
سائر الانبيا فانها انقضت بانقضائهم ومن ثم قال صلى الله عليه
وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اوتي ما مثله امن عليه البشر وانما
كان الذي اوتيت وحيا يوحى فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة
وان اردت معرفة المعجزة المتعلقة بالقران مبنى ومعنى على جهة
الاستيفاء فعليك بشرحنا لكتاب الشفاء وبالسنن اي والمكرم
بالاحاديث المستنيرة اي ذات الانوار الكثيرة بما اشتملت عليه من
هداية الضالين وايقاظ الغافلين للمسترشدين من طلاب الرشد
في الدين وخصهم لكونهم المنتفعين اذ لا محيص من ظلمات الردى الا
بالاستضاءة من انوار السنة والهدى وكان الاظهر ان يقول
المنيرة بدل المستنيرة او يجمع بينهما بان يقول المستنيرة المنيرة فان
سننه عليه السلام كما انها مستفيضة من الملك العلام اما
بالوحي او الالهام مفيضة للعلماء الكرام برفع ما اشكل عليهم
كما يشير اليه قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ولا يبعد ان
يقال التقدير لانارة المسترشدين والمخصوص بالرفع عطف على المكرم
اي المختص من بين سائر الانبياء بجوامع الكلم وبدايع الحكم في مقام
الانباء وفيه تلميح الى قوله عليه السلام اوتيت جوامع الكلم

واختصر لي الكلام اختصارا اي اوتيت الكلمات الجامعة بين قلة
مبانيها وكثرة معانيها ولا يختص بالقران وان كان موصوفا بايجاز
المباني اشباع المعاني فان في احاديثه ايضا وجد معاني كثيرة في مباني
يسيرة فقد تصدى لجمع بعضها الائمة كابن السني والقضاعي
وابن الصلاح واخرين من اهل التبجيل وفي الشفاء منه ما يشفي
العليل وقد جمعت بحمد الله اربعين حديثا كل حديث على كلمتين
شاملتين لنسبة المرام وهو اقصى ما يتصور منه الكلام التام
هذا وبلسان العارفين معناه بعثت بالسنة الصفات وكلمات
المقامات من بحر الحقايق في الذات تظهر الحق بلساني وبياني بيان
الحق الذي تكلم به للخلق وهو اشارة الى عين الجمع وسماحة الدين اي
سهولته ويسره كما قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال يريد الله ان يخفف عنكم
قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم من تعين قرض قطع
الجلد والثوب اذا اصابه النجاسة وقتل النفس في التوبة والقود في
القتل حتما دون الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وكان من اذنب منهم
اصبح ذنبه مكتوبا على بابه فيقام عليه حده وفي كتابه ولما قرا
الصحابة ربنا ولا تحمل علينا اصرا الى اخر السورة اجاب الله تعالى دعاءهم
بقوله قد فعلت رواه مسلم وكما رواه الطبراني في الكبير بعثت بالحنيفية
السمحاء وزاد احمد في مسنده ولم ابعث بالرهبانية والبدعة وروى
ايضا انه قيل يا رسول الله اي الاديان احب الى الله قال الحنيفية
السمحاء وروى احمد مرفوعا يا ايها الناس ان دين الله يسر قالها

ثلاثا

ثلاثا وفي رواية قال خير دينكم ايسره قاله ثلاثا وانه قال لما
نظرت عايشة الى لعب الحبشة ليعلم اليهود ان في ديننا فسحة
اني ارسلت بالحنيفية سمحة وروى عبد الرزاق احب الاديان
الى الله الحنيفية السمحة قيل وما الحنيفية السمحة قال الاسلام الواسع
وصح عن ابي رضي الله عنه اقراني النبي صلى الله عليه وسلم ان الدين
الحنيفية السمحة لا اليهودية ولا النصرانية وهذا مما نسخ مبناه
وبقي معناه لحديث البخاري الدين يسر قال الكمال فيحي فان قلت فهل الفائدة
من ذكر صفاته هي المدح والثناء بما يليق بذاته والاستلذاذ بذكره و
الابتهاج باسمه كما قيل اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته
يتضوع لا التعريف والتشهير بهذه الاخلاق فانه مستغن عنها
على الاطلاق قلت نعم وما احسن قول من قال من ارباب الحال اساميا
لم ترده معرفة وانما لذة ذكرناها وقد قال الاعشى ما ان مدحت محمدا
بمقالتي لكن مدحت مقالتي بمحمد صلوات الله وسلامه عليه
اي انواع رحمته واصناف سلامته نازلة اليه وواصلة لديه
خاصة وعلى ساير النبيين اي جميعهم عامة فيحصل له دعوة
ثانية تامة وهو بالياء والهمز كما قرئ بهما في القران فقيل النبي بالهمز فعيل
بمعنى الفاعل من البناء بالياء فعيل بمعنى المفعول من النبوة بمعنى
الرفعة وزاد ابن حجر في اصل شرحه والمرسلين وقال مرجحهما
وما بينهما من العموم والخصوص وفيه انه مخالف للاصول المعتمدة
والنسخ المعتبرة مع انه مستغنى عنه لدخول الخاص تحت مدلول العام
والكل اي اقارب كلهم من جهة النسب والحسب ومن اختصهم من حيث

العلم والأدب ويلايمهم الأول قوله وسائر الصالحين اى وباقى المؤمنين
من الصحابة والتابعين واتباعهم الى يوم الدين كافة والصالح الكامل
هو العالم العامل القائم بحقوق الله وحقوق خلقه وما احسن
من قال من ارباب الحال احب الصالحين ولست منهم لعلى ان انال بهم
شفاعة واكره من بضاعته المعاصى وان كنا سواء فى البضاعة قال
الكافيجى كان الاولى ان يقال وعلى الكل باعادة كلمة على لكمال العناية بتعلق
الدعاء لهم كما فى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم انتهى ولا يخفى ما فيه من
الفرق ههنا فان الصلاة على الانبياء اصالة وعلى غيرهم تبعية فلا ينبغى
التسوية فى القضية مع ما فيه من الايماء الى التفنن فى وجوه العربية
واما ذكره الشيعة من حديث من فصل بينى وبين الى بعلى فعليه كذا
وكذا فموضوع باتفاق حفاظ السنة هذا ولعل المصنف استعمل
السائر فى مقاسيه باعتبار اختلاف مراميه كما اشرنا اليه فلا اعتراض
عليه فى تكرار لفظيه اما بعد كلمة يؤتى بها فى اول الكتاب ويسمى
فصل الخطاب لانه يفصل به بين ما سبق من ذكره سبحانه وبين ما
اراد من الغرض المسبوق اليه فى الباب وقد اتى به صلى الله عليه وسلم
فى خطبه كما صح عنه بل ثبت ثبوتا قطعيا اذ رواه اثنان وثلاثون
صحابيا والمبتدى بها داود عليه السلام وقيل غيره من الكرام و
المشهور ضم داله مبنيا واجاز الفراء نصبه منونا واجاز ابن هشام
فتحه وانكره غيره وتكون اما نائبة عن اسم شرط هو مهما اجيبت
بالفاء فالتقدير مهما يكن من شىء من الكلام بعد ما تقدم فى هذا المقام
من البسملة والحمدلة والصلوة والسلام فقد روينا بفتح اوليه

مطلب روينا

مع

مع تخفيف الواو وعند الاكثرين من روى اذا نقل عن غيره وقال جمع
الاجود ضم الراء وكسر الواو مشددة اى روانا مشايخنا اى نقلوا
لنا فسمعنا عن فلان كذا قال بعض المحققين وهو بعيد رواية ودراية
والمختار انه بصيغة المجهول مخففا على طريق الحذف والايصال اى روى
الينا ونقل لدينا سماعا او قراءة او اجازة خاصة او عامة او مناولة
او مكاتبة او اعلاما او وجادة او بصيغة المعروف لتكون قوله
ان مع صلتها مفعولا له هذا وانما ذكره المص بصيغة الجمع لمشاركة
غيره معه كما فرقوا بين حدثنى وحدثنا فلا وجه لجعل ابن حجر النون
للعظمة ليحتاج الى تكلف وتعسف فى خروجه عن طريق الملامة
عن على بن ابى طالب هو اول من اسلم وله سبع سنين او ثمان شهد
المشاهد كلها سوى تبوك حيث قال له اما ترضى ان تكون منى بمنزلة
هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى احد العلماء الربانيين بل
اوحدهم والشجعان المشهورين بل اشجعهم استشهد غداة
الجمعة سنة اربعين من ضربة عبد الرحمن بن ملجم لسبع بقين
من رمضان ومات بعد ثلاث وكان له ثلاث وستون سنة
ودفن عند مسجد الجماعة فى الرحبة مما يلى ابواب كندة على ما قاله
الصغانى او فى قصر الامارة عند المسجد الجامع وصلى عليه ابنه
الحسن وغيب قبره كما فى تاريخ اليافعى ومدة خلافته خمس سنين
الا ثلاثة اشهر ونقش خاتمه الله الملك وكنيته ابو الحسن وابو
تراب كناه النبى صلى الله عليه وسلم لما وجده نائما فى المسجد وقد
علق التراب بجسمه فايقظه وقال قم يا ابا تراب فكان احب الالقاب

مطلب اسلام على كرم الله وجهه

الرجح خلافه بايعوه ببغداد

الملك لله قهستانى

اليه لوروده على لسانه صلى الله عليه وسلم ولقب ايضا بجيدر
وهو الاسد رغما لاهل الحسد ومروياته خمسمائة وستة وثمانون
حديثا وعبد الله والمراد به عند الاطلاق كما اصطلح عليه المحدثون
ابن مسعود الهذلي صاحب سواك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وطهوره ونعليه وقيل وسجادته ومخدته وهو افقه الصحابة
بعد الخلفاء ومن اكابر القراء توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين
ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين او ثمانين ومروياته ثمانمائة
وثمانية واربعون ومعاذ بن جبل بضم الميم انصاري شهد
بدرا وما بعدها وبعث الى اليمن قاضيا ومعلما مات في طاعون
عمواس بالاردن سنة ثماني عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين و
مروياته وخمسون وابي الدرداء عويمر بن عامر الانصاري كان
فقيها عالما عابدا زاهدا شهد مشاهد العظام وسكن الشام
ثم عاد الى المدينة ومات بالربذة سنة اثنتين وثلاثين مروياته
مائة وتسعة وسبعون وابن عمر اي عبد الله وهو المراد به عند
الاطلاق اسلم مع ابيه وهو صغير كان شديد المتابعة للسنة
توفي بمكة سنة ثلاث وسبعين ولم يعرف موضع قبره وقد ولد قبل
الوحي بسنة مروياته الفان وسبعمائة وثلاثون وابن عباس
اي عبد الله كما يراد به حال الاطلاق ايضا حبر الامة وعالمها راى
جبريل مرتين مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين
وقبره يزار هناك ويتبرك به واما ما على السنة العامة من انه صلى
الله عليه وسلم قال من لم يقدر على زيارة قبري فعليه بزيارة ابن عمي

فباطل

فباطل لا اصل له وهو احد العبادلة الاربعة وهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن
عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير على ما قاله الامام احمد بن حنبل
وسائر المحدثين واما قول الجوهري ان عبد الله بن مسعود احد العبادلة
فادخله فيهم واخرج ابن عمر منهم فغلط ثم اذا اطلق عبد الله فالمراد به ابن
مسعود في اصطلاح المحدثين فانه اجلهم وافضلهم وانس بن مالك انصاري
خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشر سنين ودعا له بكثرة المال والولد
وطول العمر والبركة فاثمرت ارضه سنة مرتين ودفن من صلبه سوى اسباطه
مائة وخمس وعشرون ومات بالبصرة بعد ان عمر اكثر من مائة سنة وهو اخر
من مات من الصحابة فيها ولد قبل الهجرة بعشر سنين ومات سنة احدى او اثنتين
او ثلاث وتسعين ومروياته مائتا حديث وستة وثمانون وابي هريرة دوسي
واسمه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من ثلثة وثلاثين قولا كان في صغره يلعب بهرة و
في كبره يحسن اليها فكني بها فمنع صرفها لكونها علما لها حال كبرها او لوصف وقت صغرها
او لانها كانت صغيرة بالنسبة الى غيرها اسلم سنة ست وكان عريف اهل الصفة
ومات سنة تسع او سبع وخمسين بالمدينة وله ثمان وسبعون سنة واحاديثه
المرفوعة خمسة الاف وثلاثمائة واربعة وستون وابي سعيد الخدري بضم الخاء
المعجمة وسكون الدال المهملة نسبة الخدرة قبيلة من الانصار كان من الحفاظ المكثرين
والعلماء المعتبرين مات سنة اربع وسبعين وله اربع وتسعون سنة ودفن بالبقيع
ومروياته الف ومائة وسبعون رضي الله عنهم وقد نقل عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ايضا كما قاله المنذري وغيره وعن جابر بن سمرة وسلمان اخرجه ابن ماجه من طرق
كثيرات اي اسانيد كثيرة وطرق جمع طريق وهو جمع الكثرة فتاكيده بالكثيرات مبالغة
للكثرة بروايات متنوعات مختلفة المباني متفقة المعاني كما سياتي بيانها

وتفاوت شانهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ابو القاسم محمد بن عبد الله
سيد المرسلين وخاتم النبيين حملت به امه في ايام التشريق في شعب ابي طالب عند
الجمرة الوسطى ولد بمكة عام الفيل او قبله بثلاثين او اربعين يوما ومات ابوه
لما اتى عليه شهران او سبعة اشهر ولما بلغ ستا او اربعا ماتت امه وكان
في حجر عبد المطلب ثمان سنين وشهرين وعشرة ايام فتوفي ووليه ابو طالب و
ذهب به الى الشام بعد ما تم له اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة ايام و
رجع من بصرى وخرج اليها مرة اخرى مع ميسرة غلام خديجة لتجارة لها وتزوجها
بعد ما بلغ خمسا وعشرين سنة وبقيت عنده ثماني عشرة سنة ولما بلغ خمسا
وثلاثين شهد بنيان الكعبة ولما تم له اربعين بعثه الله رحمة للعالمين بشيرا
للمؤمنين ونذيرا للكافرين ونزل عليه القران وفرض عليه التبليغ والبيان ولما اتت
عليه احدى وخمسون وتسعة اشهر اسري به ليلة الاثنين وخص بالرؤية بالعين
وفرض عليه خمس صلوات ولما بلغ ثلاثا وخمسين هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثمان
خلون من ربيع الاول ودخلها يوم الاثنين واذن له في السنة الثانية في الجهاد
لمن ابتدئ به في غير الاشهر الحرم والحرم ثم ابيح ابتداؤه فيها ايضا وفرض فيها صوم
رمضان واما الزكوة فقيل فرضت قبله وقيل بعده وفرض الحج في السنة السادسة
او الخامسة وفيها بيعة الرضوان وفي الثامنة فتح مكة وفي العاشرة حجة
الوداع وكانت وقفة عرفة فيها يوم الجمعة بالاجماع ولم يحج بعد الهجرة الا اياها
ولم يضبط ما حج قبلها واعتمر اربعا وكان غزواته سبعا وعشرين وسراياه ستا
وخمسين وتزوج احدى وعشرين امراة طلق ستا ومات عنده خمس وتوفي
عن عشرة لم يدخل بواحدة منها واولاده ثمانية ولما بلغ ثلاثا وستين اختار الرفيق
الاعلى يوم الاثنين وسط النهار لثنتي عشرة خلت من اول ربيع سنة احدى

عشرة

عشرة وفي الثلاثا او الاربعا عليه افضل التحية واكمل الثنا قال من حفظ
على امتي لاجل تعليم امتي فعلى للتعليل كقوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم
وقيل التقدير شفقة على امتي واصل الحفظ ضبط الشيء ومنعه عن ضياعه و
هو هنا قد يكون بحفظه مبنى او جمعا بينهما وقد يكون بضبطه في الكتاب
وقد يكون بسبب نقله الى اولي الالباب قال المؤلف معنى الحفظ ان ينقل الاحاديث
الى المسلمين وان لم يحفظ مبناها ولم يعرف معناها وهذا حقيقة مؤداه
اذ به يحصل الانتفاع للمسلمين لا بحفظه ما لا ينقله اليهم انتهى والامة جمع
لهم جامع من دين او زمان او مكان تطلق تارة على كل من بعث اليهم ويسمون
امة الدعوة واخرى على المؤمنين منهم وهم امة الاجابة وهم المراد هنا لانهم
المنتفعون باحاديث النبوة اربعين حديثا المراد به هنا قول الرسول صلى
الله عليه وسلم وفعله وتقريره ومعرفة شمائله من امر دينها اي من جملة
امور تتعلق بها ما هم مامورون بتدينها سواء يكون من الاصول او الفروع
المترتبة عليها وكانه احترز عن امور العادية الدنيوية التي من لوازم البشرية
مما ليس بها ضرورة في الاحوال الدينية والاخروية بعثه الله تعالى يوم
القيمة في زمرة الفقهاء بالفروع الشرعية والعلماء بالاصول الدينية وتاخير
العلماء للترقي في الاداء والتعبير بالبعث في زمرتهم للايماء الى انه لم يكن في مرتبتهم
فلا يشترط فقه المبنى ولا علم المعنى كما اشار اليه المص خلافا لمن نازع في هذه
الدعوى وفي صنيع المص هذا اشعار بان كل من نقل حديثا من كتاب سواء بعينه
او بتصرف فيه كحذف اسناده او اختلاف ترتيب في ابوابه يكون داخلا في حفظ
الاحاديث والا في الحقيقة لم ينقل هذه الاربعين الا من سياتي ذكرهم من
المخرجين المتقدمين في التدوين وفضل الله واسع شامل لحفاظ علوم الدين.

وان كان يختلف ويتفاوت مراتب المجتهدين كما يدل عليه خبر ثوابك على قدر
تعبك ثم لا فرق بين حفظ اربعين حديثا صحيحة او حسنة وكذا ضعيفة
فى فضائل الاعمال الا فى بيان الحرام والحلال لامتناع العمل بها فيهما فى جميع الاحوال
هذا وقد اشرنا فى صدر هذا الكتاب الى وجه ايثار هذا العدد فى الباب وقد
روى من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه و
ان امات المومن بكى عليه مصلاه اربعين يوما ويبقى بركة دعاء الوالدين
للولد البار اربعين سنة ولما كمل بايمان عمر عدد الاربعين من المومنين نزل
قوله تعالى يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وقد افاد بشر
الحافى رضى الله عنه بقوله يا اهل الحديث اعملوا من كل اربعين حديثا بحديث
كما قال صلى الله عليه وسلم ادوا عشر اموالكم من كل اربعين درهما يعنى بشرط
بلوغ دراهمه مائتى درهم فعدد الاربعين اقل ما للعشر صحيح فكما دل حديث
الزكوة على تطهير ربع العشر للباقى كذلك العمل بربع عشر الاربعين يخرج باقيها
عن ان يكون غير مكفول بها وفى الحديث الحسن انكم فى زمان من ترك منكم عشر
ما امر به هلك ثم ياتى زمان من عمل منهم بعشر ما امر به نجا ثم الظاهر ان
هذا العدد ادنى الكمال فى الاحوال والا فمن خرج من بيته فى تحصيل حديث
بصدق نيته او تعلم حديثا واحدا او اراد تكميل غيره فى ظرفيته فيبعث مع
العلماء والفقهاء وفى رواية بعثه الله فقيها عالما اى ولو لم يكن فى الدنيا
فقيها عالما بل يكون ناقلا مجردا وفى الاحياء من حمل من امتى اربعين حديثا
لقى الله يوم القيمة فقيها عالما قال العراقى رواه ابن عبد البر من حديث انس
وضعفه وفى الجامع الصغير لشيخ مشايخنا السيوطى من حمل من امتى اربعين حديثا
بعثه الله يوم القيمة فقيها عالما رواه ابن عدى عن انس بسند ضعيف وفى هاتين

الروايتين

كحل كبصر وكرم وعلم ق

٢

الروايتين دلالة على اعتبار مجرد الحمل من غير احتياج الى النقل وبه يندفع قول من
لا يحفظه ما لم ينقله الى غيرهم اعتمادا على ظاهر ما اختاره من الفاظ الروايات
وهو قوله على امتى ولكن يمكن ان تكون على بمعنى من كقوله تعالى الذين اذا اكتالوا
على الناس لبعضهم على ما صرح به وحينئذ يجتمع مودى الفاظ النبوة وكون
الحديث شاملا لمن حمل سواء حفظا او علما او عملا او نقلا ولا شك هذا التعميم فى باب
الترغيب اولى كما لا يخفى ثم ما نفاه المص ماخوذ من مفهوم حديثه فلا يعارض
منطوق حديث غيره مع ان اعتبار المفهوم مختلف بين اهل العلوم وفى رواية
ابى الدرداء وكنت وفى نسخة كنت له يوم القيمة شافعا وشهيدا اى
شاهدا على كمال ايمانه وجمال احسانه وفى رواية بعثه الله فقيها وكنت له يوم
القيمة شافعا وشهيدا كذا ذكره بعض الشراح من المحققين وهذا يؤيد ثبوت
واو العاطفة وفى الاحياء من حفظ على امتى اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها
كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة قال العراقى رواه ابن عبد البر من حديث
ابن عمر وضعفه وهذا يؤيد نسخة كنت بلا عاطف وذكره السيوطى فى جامعه
الصغير بهذا اللفظ وقال رواه ابن عدى عن ابن عباس ثم قال وروى ابن النجار
عن ابى سعيد بلفظ من حفظ على امتى اربعين حديثا من سنتى ادخلته يوم القيمة
فى شفاعتى وفى رواية ابن مسعود قيل له ادخل من اى ابواب الجنة شئت
اى تعظيما لمقامه وتكريما لمرامه وفى رواية ابن عمر كتب فى زمرة العلماء وحشر
فى زمرة الشهداء واختلاف الروايات وان كان مؤداها واحدا الا ان فيها
اشارة الى اختلاف مراتب الحفاظ باعتبار الاقتصار على حفظ مبانيها او بانضمام
فهم معانيها والعمل بما فيها وتصحيح النية فى روايتها ودرايتها وكتابتها واتفق
الحفاظ حفاظ الحديث على انه اى الحديث المذكور حديث ضعيف وان كثرت طرقه

اى اسانيده عند مخرجيه عن الصحابة مرفوعا وموقوفا اذ ليس فى جميع طرقه
ما يقوى ويقوم به الحجة اذ لا يخلو طريق منها ان يكون فيها مجهول او معروف او
مشهور بالضعف قال ابن السبكى ليس يروى من وجه يثبت وقال الدارقطنى
فى علله كل طرقه ضعاف والبيهقى اسانيده كلها ضعيفة والكلام يحتاج الى تقدير
ليتم المرام بان يقال هو عطف على مقدر اى لم تكثر وان كثرت كذا حرره الكازرونى
وفيه ان المقصود ثبوت الكثرة وهو لا يتحقق من تقدير العبارة وقد قال حسن وان
مثل هذا التركيب واقع فى عبارات المصنفين وظاهره غير مستقيم وغاية ما يمكن
ان يقال فيه ان الواو زايدة انتهى وبعده لا يخفى والاظهر ان يقال وان كثرت
طرقه فهو ضعيف فكيف اذا لم يكثر طرقه فهو بالاولى ضعفه هذا وقد اغرب الكازرونى
حيث فسر الطرق بطرق السبعة فى تحمل الحديث من السماع والقراءة والاجازة والمناولة
والمكاتبة والاعلام والوجادة والصواب ما قدمناه بان المراد بالطريق الاسناد ثم
اعلم ان لاهل مراتب اولهم الطالب وهو المبتدى الراغب ثم المحدث وهو الاستاد
الكامل الفاضل ثم الحافظ وهو الذى احاط علمه بمائة الف حديث ثم الحجة وهو الذى
احاط علمه بثلثمائة الف حديث ثم الحاكم وهو الذى احاط علمه بالجميع متنا واسنادا
وجرحا وتعديلا وتاريخا كذا فى شرح الفوايد النفيسه ثم الضعيف فى اصطلاح
المحدثين هو الحديث الذى لم يجتمع فيه شروط الصحيح ولا شروط الحسن فمعرفته
موقوفة على معرفتهما فالصحيح هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط وسلم عن
شذوذ وعلة والحسن ما قصر ضبطه راويه عن راوى الصحيح مع بقاء سائر الشروط
المتقدمة فى حد الصحيح كذا افاده السيد جمال الدين وتحقيقه فى شرح النخبة
على ما اوضحت الشرح بالشرح وقال بعضهم فى تعريف الضعيف ما يكون بعض
رواته مردودا بواسطة عدم العدالة او الرواية عمن لم يره او سوء الحفظ

او تهمة

مطلب الوصلية

او تهمة فى العقيدة او عدم المعرفة بما يحدث عنه او الاسناد الى من لا يعرف او
بعلل اخر هذا وقد قال الحافظ ابو طاهر السلفى فى اربعينه روى من طرق وثقوا بها
وركنوا اليها وعرفوا صحتها فعولوا عليها انتهى وكانه اراد بصحتها ثبوتها وهو ان
يكون حسنا لغيره قال المنذرى يمكن ان سلكوا فى ذلك مسلك من راى ان الاحاديث
الضعيفة اذا انضم بعضها الى بعض احدث قوة انتهى وكان هذه المسألة مختلف
فيها ولعل المص اختار خلاف ما اختاره السلفى والظاهر ان اختيار السلفى اولى لان ما اختاره
المص انما يكون فيما اذا لم يخل طريق من طرقه عن كذاب او وضاع هنالك وهذا ليس كذلك
كما دل عليه كلام الائمة واما ذكر ابن الجوزى له فى الموضوعات فتساهل منه او محمول
على سند خاص عنده واما خبر من حفظ على امتى حديثا واحدا كان له اجر احد وسبعين
نبيا صديقا فهو موضوع وامارات الكذب لائحة عليه وواضحة لديه وقد صنف
العلماء رضى الله عنهم فى هذا الباب اى باب الاربعينات او فى جمع الاربعين حديثا
ما لا يحصى من المصنفات بيان لما وهذه العبارة مبالغة فى الكثرة لا انها محمولة على
الحقيقة والمقصود به ان له تبعوا بهم فى ذلك الاسوة الحسنة فانهم قدوة الائمة فاول من
علمته صنف فيه اى فى هذا الباب اى فى جمع الاربعين وهو مفعول الفعل الاول
وفاعل الثانى ضمير راجع الى من والخبر للمبتدء وهو اول قوله عبد الله بن المبارك اى
المروزى وهو الامام المجمع على جلالته وامانته وفقاهته فانه من اصحاب ابى حنيفه
وارباب الوجوه فى مذهبه وترتجى المغفرة بحبه ويستنزل الرحمة بذكره وهو من
اتباع التابعين زين العباد وقدوة الزهاد توفى منصرفا من الجهاد سنه احدى
وثمانين ومائة وله ثلاث وستون كان ابوه مملوكا لرجل من همدان عليه الرحمة والرضوان
قيل له كيف لا تستوحش فى مقامك فقال كيف يستوحش من مجالس النبى
صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين يعنى الكتب

لأن فيها الاخبار والسّير والآثار رواه الحاكم فى تاريخه عن نعيم بن حماد ثم وفى
نسخة ومحمد بن اسلم بالواو الطوسى بضم الطاء نسبة الى بلد من خراسان العالم الربانى
زيادة الالف والنون للمبالغة فى تحقق النسبة والدلالة على كمال الصفة كما
يقال الشعرانى واللحيانى اى الراسخ فى علم الدين الثابت فى مقام اليقين وقيل هو الذى
يربّى الناس بصغار العلم قبل كباره وقيل هو العامل بعلمه المعلم لغيره وقيل هو
الطالب بعلمه مرضاة ربّه وقالت الصوفية انّ الربانى هو الكامل من كل
الوجوه فى جميع المعانى توفى سنة اثنتين واربعين ومائتين ثم الحسن بن
سفيان النسوى بالواو وفى اصلنا المعتمد عليه وهو بفتح النون والسّين — النسوي
منسوب الى نسا بلد بخراسان وفى نسخة النسائى بالهمزة بدل الواو وهو مقصور
وقد يمد والهمز فى استعمال المحدثين اكثر واشهر فتدبّر وهو محدث خراسان وقد رحل
البلدان وسمع من محدثى الزمان فيما وصل اليه من المكان وكان له كرامات توفى
سنة ثلاث وثلاثمائة وابو بكر بالواو العاطفة الى اخر الاسماء الآتية وكانه
اورد بلفظ ثم فى الاولين لعله بالتاخر الزمانى فيهما بخلاف من بعدهما الآجرى
بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء فياء نسبة وهو محمد بن الحسين البغدادى
كان دينا ثقة وله تصانيف كثيرة منها كتاب الشريعة حدث ببغداد ثم
انتقل الى مكة خير البلاد واستطابها فى المراد فقال اللهم احينى فى هذه البلدة
ولو سنة فسمع هاتفا يقول بل ثلاثين فلما كملت قيل له قد وفينا بالعهد فمات
بمكة سنة ستين وثلاثمائة وابو بكر محمد بن ابرهيم العطار مستملى ابى
نعيم كان ثقة يملى من حفظه توفى باصبهان سنه ست وستين واربعمائة
وقوله الاصفهانى بالباء والفاء مع كسر الهمزة وفتحها والفتح افصح كذا قال الامام فى
كتاب الاسماء والالقاب وفى نسخة بالباء العجمى واما قول ابن حجر بالفاء لا

الباء

الباء فمحمول على ما عنده من الانباء فى القاموس اصل اصبهان اسبهان اى
سمنت المليحة سميت لحسن هوائها وعذوبة مائها وكثرة فواكهها فخففت و
الصّواب انها اعجمية وقد يكسر همزها وقد تبدل باؤها فاء واصلها اسباهان انتهى
وذكر فى المغنى فرق بين الفاء والباء فقال الاصفهانى بكسر همزة وفتحها وبفاء مفتوحة
فى اصل الشرق وبباء موحّدة فى الغرب انتهى والاطلاق يؤيد المشهور بالاتفاق و
الدارقطنى بفتح الراء وتسكن نسبة الى دارقطن محلة كبيرة ببغداد وهو الحافظ ابو
الحسن على بن عمر مات سنة خمس وثمانين واربعمائة والحاكم اى محمد بن عبد الله
النيسابورى صاحب المستدرك مات سنة خمس واربعمائة وابو نعيم اى الاصفهانى
كما فى نسخة وهو احمد بن عبد الله مصنف حلية الاولياء مات سنة ثلاثين و
اربعمائة وهذان الاسمان ساقطان من شرح ابن حجر موجودان فى الاصول المصححة
والمتون المشروحة وابو عبد الرحمن اى محمد بن حسين السلمى بضم سين وفتح لام مخفف
منسوب الى سليم قبيلة مشهورة من قبائل العرب وهو صاحب الحقايق وطبقات
الاولياء كان عدلا ثقة استاد ابى القاسم القشيرى وشيخ ابى سعيد بن ابى الخير
واثنى عليه الشيخ عبد الله الانصارى صاحب المنازل كثيرا وقد طعن فيه ابن الجوزى
كما هو دابه فى شان الائمة توفى سنة اثنتى عشرة واربعمائة وابو سعيد بالياء وفى
نسخة ابو سعد وهو الموافق لما قال السمعانى وهو المشهور على السنة اهل خراسان
وهو احمد بن محمد المالينى بكسر اللام فتحتية محل معروف من اعمال الهراة وقبره هناك
يزار ويتبرك به ويقال له المالانى وهو من رواة ابن عدى الحافظ كان ثقة متقنا
وقال شارح رحل الى مصر فمات بها سنه اثنتى عشرة واربعمائة وابو عثمان الصابونى
نسبة الى عمله وهو عبد الله بن محمد الانصارى وفى نسخة زيادة الهروى و
هو صاحب منازل السائرين ومن المشايخ المعتبرين من اجلاء الحنابلة كان جامعا

بين العلم والعمل والمعرفة حاويا للسنة منسوبا الى انصار النبي عليه السلام
وهم الأوس والخزرج ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة كان كثير السهر وقد
حدث وصنف وكان قويا نصر الدين توفي بهراة يوم الجمعة وقت الغروب
سنة احدى وثمانين واربعمائة وفي نسخة بدله ومحمد بن عبد الله الأنصاري
والظاهر انه انقلاب من بعض الكتاب وقد صرح الكازروني بان النسخة الأولى
هي الصواب وابو بكر البيهقي مؤلف شعب الايمان مات سنة ثمان وخمسين و
اربعمائة ولما خصص المشاهير بالذكر عمم الباقين فقال وخلايق لا يحصون بصيغة
المجهول اى لا يعدون لكثرتهم من المتقدمين والمتأخرين اى بعد الصحابة والتابعين
والأئمة المتقدمين آنفا الى هنا ساقط من شرح ابن حجر فتدبر وقد استخرت الله
اى طلبت الخيرة منه كما دل عليه قائد العقل وناقد النقل فقد ورد ما خاب من استخار
ولا ندم من استشار رواه الطبراني في الاوسط عن انس وروى من سعادة ابن آدم
استخارة الله ومن شقاوته تركه استخارته في جمع اربعين حديثا اى من كلام سيد
الأنام اقتداء بهؤلاء الائمة الاعلام اى المشهورين فيما بين الأنام وحفاظ
الاسلام فان مثلهم لا يفعلون الا ما ثبت من المرام وقد اتفق العلماء على جواز
العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال اى لا في الفرض والوجوب والحرمة و
الحلال لانه ان كان صحيحا في نفس الامر فقد اعطى حقه من العمل به والا لم يترتب
على العمل به مفسدة في دينه وقال شارح يعنى اذا ثبت مندوب بحديث صحيح
او حسن يجوز لنا رواية حديث ضعيف في فضيلته والترغيب فيه ليكون
كالتابع له لانه يحتج به في اثبات او مندوب اذ تقرر في الاصول انه لا يستدل
في اثبات الاحكام الخمسة الا بالصحيح والحسن انتهى والاظهر ان المراد
بالاعمال انما هي الافعال المباحة وانه اذا ورد حديث ضعيف في شانه يترقى الى

مقام

مقام استحسانه في حديث ضعيف من بلغه عن ثواب عمل فعمل حصل له اجره وان
لم يكن قلته ومع هذا الجواز المذكور فليس اعتمادي في جمع الاربعين على هذا الحديث
اى المشهور فقط بل على قوله عليه السلام في الاحاديث الصحيحة اى في قوله الداخل
فيها ليبلغ الشاهد منكم الغائب بكسر اللام الاولى للامر وتشديد الثانية ويجوز تخفيفها
وهما قرى قوله تعالى ابلغكم رسالات ربي اى ليوصل الحاضر كلامي الغائب من المجالس
او عن عالم الوجود والخطاب للصحابة ثم لمن بعدهم وهلم جرا فانه من فروض الكفاية
وهذا تحريض على التعلم والتعليم فانه لولاه لانقطع العلم وانقطع العمل بكثرة الجهل
والحديث اخرجه الشيخان في صحيحيهما في خطبة حجة الوداع واخرجه ابن
منده في مستخرجه عن ثمانية عشر صحابيا وقوله اى وعلى قوله عليه السلام
نضر الله امرأ روى بالتشديد والتخفيف والاول هو الاكثر اى حسنه و
جمله قال المص وروى عن سفيان بن عيينة انه قال ما من احد يطلب الحديث الا
وفي وجهه نضرة فكأنه اراد انها دعوة اجيبت واخبار فصدقت ولا يبعد
ان يراد به النضارة يوم القيمة قال تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال و
لقاهم نضرة وسرورا فاهل الحديث يكون لهم زيادة نضرة ولغيرهم مزيد حسرة
وحكى ابن العربي عن ابن شكوال انه بالضاد المهملة وهو شاذ بل تصحيف لمبناه
وتحريف لمعناه سمع مقالتي اى مني او من اصحابي واتباعي فوعاها اى حفظها بقلبه
وداوم على تعقله فاداها اى بلغها كما سمعها من غير تغيير مبناها او معناها رواه
الترمذي عن ابن مسعود وقال حسن صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه
عن جبير ابن مطعم وقال صحيح على شرط الشيخين وابو داود وابن ماجه و
الترمذي عن زيد بن ثابت وقال حسن صحيح وفي حديث نضر الله امرأ سمع منا حديثا
فاداه عنا فرب مبلغ اوعى من سامع رواه احمد والترمذي صحيح وابن حبان عن ابن

مسعود والمبلغ بفتح اللام وفي رواية نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه
حتى يبلغ غيره فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه
ثم من العلماء وفي نسخة ثم ان وفي اخرى ثم اعلم ان من العلماء من جمع الاربعين في
اصول الدين اي الالهيات والنبويات والحشر والنشر وبعضهم في الفروع اي
الاحكام الفرعية المتعلقة بالافعال العملية وبعضهم في الجهاد اي في فضائل القتال
مع الكفار وبعضهم في الزهد اي قلة الرغبة في دار الاكدار يقال زهد فيه رغب
عنه ونهد عنه ورغب فيه والمراد ترك فضول الدنيا والاعراض عما يشغل عن
الاخرى وبعضهم في الآداب وفي نسخة في الادب وهو حسن الاخلاق والاحوال
واحتمال الحميدة من الخصال وبعضهم في الخطب جمع خطبة وهي الموعظة وهو
كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبايع النائية ماخوذ من الخطب لانهم اذا
المّ بهم خطب وشان خطبوا له ليجتمعوا في امره او يحتالوا في دفعه وكلها مقاصد
صالحة اي اغراض حسنة رضي الله عن قاصديها بالنيات المستحسنة وقد
جمعت بحمد الله وحسن توفيقه اربعين في الاحاديث القدسية واربعين
في فضل الصلوات النبوية وارجو من الله ان يكون لي معينا حتى اكمل اربعين
اربعينا وقد رايت من الراي اي حصل لي راي صحيح للنصح في الهدى والاعانة على
البر والتقوى جمع اربعين اي حديثا كما في نسخة اهم من هذا كله اي مما ذكر
فوادي جميعه وهي اربعون حديثا مشتملة اي من نعتها انها محتوية على
جميع ذلك اي في الجملة وفي نسخة زيادة كله للتاكيد وفي نسخة بنصب مشتملة
على الحالية ولا يرد عليه زيادة حديثين لان العدد لا مفهوم له وقد
قيل من زاد زاد الله في حسناته اولانه كان المتعزم هنا الاقتصار على الاربعين
فعند فراغها عن له زيادة الحديثين لحكمة لعلها هي ان احدهما من باب الوعظ

بمخالفة

بمخالفة الهوى وموافقة الهدى ففيه حث على العمل بجميع الاحاديث السابقة
وثانيهما من باب الرجا والدعاء ففيه تانيس النفس من التشديدات الواقعة
في خلال الاحاديث السابقة في التعقيب بهما تمام المناسبة وكل حديث منها
اي من هذه الاربعين قاعدة عظيمة من قواعد الدين يبنى عليها كثير من مسائل
المجتهدين ويرجع اليها في تحقيق مقام اليقين قد وصفه العلماء بان مدار الاسلام
اي غالب احكامه عليه لاستنباطها منه ابتداء او بواسطة مقدمات
منضمة اليه كحديث ان الحلال بين والدين النصيحة ونحوهما او هو نصف الاسلام
عطف على محل الجملة التي بعد ان وفيه ان هذا جائز في ان المكسورة لفظا او حكما كما
اذا وقعت بعد العلم وتكلف بعضهم وجوز ان يكون الجملة خبر لان المقدرة مع لام
اي بانه هو نصف الاسلام او ثلثه بضم اللام ويسكن كحديث انما الاعمال
بالنيات وازهد في الدنيا وامثالها ومن نظم الشافعي رحمه الله عمدة القول عندنا
كلمات اربع قالهن خير البرية ٭ اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك
واعملن بنية اونحو ذلك بالرفع والتنويع فيه وفيما قبله وفي نسخة ونحو ذلك
وهو بالرفع ايضا للعطف على نصف الاسلام وذكر الشارح الكازروني انه بالجر
عطفا على ان ولا يخفى بعده مبنى ومعنى والمعنى نحو ما ذكر وهو ربع الاسلام وخمسه
كسائر الاحاديث المعتبرة فكل واحد من هذه الاربعين وصف باحد هذه
الاوصاف الاربعة كما ذكره ابن الصلاح في اكثرها فانه ذكر اقوال الائمة في تعيينها
واختلافهم في اعيانها فبلغ ما قيل فيه ذلك سبعة وعشرين كلها مندرجة
في هذه الاربعين منها عشرون صحيحة وسبعة حسنة وبلغها المصنف في اذكاره
الى ثلاثين وزاد عليها هنا اثني عشر وذكر في السابع والعشرين حديثين لاجتماعهما
على معنى واحد وقال الفاكهاني صح عن جماعة من العلماء ان مدار الاسلام على اربعة

احاديث حديث انما الاعمال بالنيات وحديث الحلال بين الحرام بين وحديث ازهد
في الدنيا يحبك الله وحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد نظمها
الشيخ ابو طاهر ابن المقور وذكر ما نسب الى الشافعي فيما سبق وقال الامام احمد بن حنبل
الاسلام او قال اصول الاسلام تدور على ثلاثة احاديث الاعمال بالنية والحلال
بين والحرام بين ومن احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وقال ابو داود الفقه تدور
على خمسة احاديث الاعمال بالنيات والحلال بين والحرام بين وما نهيتكم عنه
فانتهوا وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم ولا ضرر ولا ضرار وروى عن ابي
داود السجستاني قال كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مائة الف حديث الثابت
منها اربعة الاف حديث وهو يرجع الى اربعة احاديث انما الاعمال بالنيات ومن حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولا يكون المومن مومنا حتى يرضى لاخيه ما يرضى
لنفسه والحلال بين والحرام بين ثم لو استوفى شرح هذه الاحاديث لاستدعى
الى استنباطات لا تسع الا في مجلدات اذ من جملها حديث جبريل فانه يحتاج الى
حكم الايمان وهو علم الاصول والى حكم الاسلام وهو علم الفروع والى حكم الاحسان
وهو علم التصوف ثم قال ابن حجر ثم بعد هذه الاربعين ولا وجه له عند ارباب
اليقين فالصواب ان يقال اي بعد التراخي ما تقدم من كلامي التزم في هذه الاربعين
اي في تاليفها وتصنيفها ان تكون اي اسانيد احاديثها باسرها صحيحة اي ثابتة غير
ضعيفة فيتناول الحسن بعبارة لطيفة او اراد ان ما ذكره من الحسن في هذا الكتاب
يكون صحيحا لغيره في هذا الباب قيل خاصية هذه الاربعين كونها مشتملة على
قواعد الدين اما الصحة فقد شاركها فيها غيره من المصنفين قلت وليس فيه
محظور اذ صنيعه نور على نور معظمها وفي نسخة ومعظمها اي اكثرها حاصل
في صحيح البخاري ومسلم اي جمعا وفردا لان المتفق عليه فيها اثنا عشر وفرد البخاري

اربعة

اربعة عشر وفرد مسلم ثلاثة عشر والباقي لغيرهما ثم الجملة حال من اسم يكون الراجع
الى الاربعين واذكرها بالرفع عطفا على التزم وبالنصب على يكون محذوفة الاسانيد
اذ لا فائدة في ذكرها بالنسبة الى عامة مطالعيها لا سيما اذ علمت ثبوتها باسنادها
الى مخرجيهما والاسناد هو رفع الحديث الى قائله من النبي وغيره بذكر رواته فيما بين قائله
وناقله ليسهل حفظها بسبب قلة لفظها ويعم الانتفاع بها اذ الاكثرون عاجزون عن
حفظها باسانيدها ان شاء الله تعالى ذكره امتثالا لامره سبحانه ولان الانتفاع بها
مما لا يخفى على المهم شانه فلا وجه لقول ابن حجر انه للتبرك بها ثم اتبعها بالرفع وهو من الاتباع
وفي نسخة بفتح الهمزة والباء والمعنى اعقب هذه الاربعين بباب في ضبط خفي الفاظها
اي الفاظها الخفية باعتبار غرابة مبانيها او معانيها وقد التزمت ان اذكرها
في محالها كما نص عليها وينبغي اي يتعين لكل راغب في الاخرة اي ثوابا وما بها يقال
رغب فيه اي مال اليه ورغب عنه اي اعرض ان يعرف هذه الاحاديث اي يعلم
مبناها ويبحث عن معناها مما دلت عليه واشارت اليه وينقلها ويعمل بما فيها
وفي نسخة ان يعرف مقدار هذه الاحاديث اي مرتبتها بالنسبة الى غيرها لما اشتملت
عليه من المهمات وهي بيان العقائد الدينية التي هي القواعد الملية واصول الشرائع
الالهية واحتوت اي ولما انطوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات اي القلبية
والقالبية مما يصلح امر معاش العباد وزاد حال المعاد وذلك اي ما ذكر من الاشتمال و
الاحتواء ظاهر لمن تدبره اي تفكره وتذكره واصل التدبر النظر في دبر الامر وعلى الله
اي لا على ما سواه اعتمادي اي توكلي في جميع اموري واليه لا الى غيره تفويضي اي انقيادي
واستسلامي واستنادي اي التجائي واعتصامي ولله الحمد اي خاصة او خالصة
والنعمة بالكسر العطية فلا نعمة من غيره الا صورة قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
وبه اي بسبب عونه التوفيق وهو لغة جعل الشيء موافقا للاخر واصطلاحا خلق

القدرة على الطاعة والعصية ان المحافظة عن الوقوع في المخالفة قال الراغب هي
فيض الهي يقوى به العبد على تحري الخير وتجنب الشر **الحديث الاول** ابتدء به
اقتداء بالسلف الكرام وتنبيها على مزيد الاهتمام بتحسين النية تزيين الطوية
في مقام المرام قال ابن مهدي ينبغي لمن صنف كتابا ان يبتدئ فيه بهذا الحديث
تنبيها للطالب على تصحيح النية قلت وكذا للمطلوب على تصفية الطوية وقال
الخطابي كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديم حديث الاعمال
بالنيات امام كل شيء ينشئون ويبتدئون من امر الدين وقد روى هذا الحديث
من الائمة فوق ثلاثمائة وقيل سبعمائة عن سعيد بن يحيى بن سعيد الانصاري
وهو تابعي صغير سمع انسا وغيره عن محمد ابن ابرهيم التيمي ولم يروه غير الانصاري
عن علقمة ولم يروه عن الانصاري غير التيمي وهو بهذا المعنى غريب في الابتداء ومشهور
في الانتهاء وليس بمتواتر كما توهمه بعض الفضلاء اللهم الا ان يقال بالتواتر
المعنوي وقد روى عن عمر جماعة من الصحابة كعثمان وعلي وطلحه وسعد وابن عوف
وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وانس بن مالك وابو هريرة وخلق
سواهم وابنته حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وطائفة من التابعين
وقد روى الحديث من طريق ابي سعيد الخدري وابي هريرة وابن عباس وابن عمر و
معاوية قالوا لا يصح مسندا الا من حديث عمر رضي الله عنه فلو كان اسنادهم
صحيحا لكاد ان يكون الحديث متواترا قال الشافعي يدخل هذا الحديث في سبعين
بابا من الفقه يعني سبعين قاعدة كلية من الضوابط الفقهية والا فيتفرع عليها
المسائل الجزئية فاندفع به قول من قال اراد به المبالغة وقال ايضا يدخل في هذا
الحديث ثلث العلم قال البيهقي لان كسب العبد بقلبه ولسانه وجوارحه
فالنية احد الاقسام الثلاثة وهي ارجحها لانها تكون عبادة بانفرادها بخلاف

غيرها ولذا كان نية المؤمن خيرا من عمله ولان القول والعمل يدخل فيهما الفساد
بخلاف النية وقال ابو داود هذا الحديث نصف العلم قوله اعظم النصفين لخيرية
المؤمن خير من عمله عن امير المؤمنين قال المص هو اول من سمي بذلك يعني من
الخلفاء ورد في منتظم ابن الجوزي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا
في السنة الثانية من الهجرة وامر عليهم عبد الله بن جحش وسماه امير المؤمنين
كذا ذكره شارح وقال الاخر قال عمر لاصحابه ما تدعوني فقال انتم المؤمنون وانا اميركم
قالوا فانت امير المؤمنين ابي حفص عمر بن الخطاب كناه عليه السلام به وهو لغة
الاسد ولقبه بالفاروق لفرقانه بين الخطا والصواب كان شديدا في امر الله و
دينه مجتهدا محتسبا في مقام يقينه جعل الحق على لسانه واعز الدين في زمانه
واستبشر اهل السماء بايمانه كان وفاته بعدما عاش ثلاث وستين هلال محرم
سنة اربع وعشرين وخلافته عشر سنين وستة اشهر واربع ليال ونقش خاتمه
كفى بالموت واعظا يا عمر احاديثه المرفوعة خمسمائة وسبعة وثلاثون رضي الله
عنه وهو قرشي عدوي يجتمع مع النبي عليه السلام في لوي بن كعب اوصى له ابو
بكر رضي الله عنه بالخلافة فتولاه يوم مات الصديق وهو يوم الثلاثاء لثلاث
بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشر اسلم سنة ست من البعثة وهاجر الى
المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم بها وشهد المشاهد كلها وفتح البلاد من
العراق والسواد والجبال واذربيجان والجزيرة والموصل والشام والمصر والاسكندرية
فبلغ في خلافته خراج السودان والجبال والعراق في العام الاول مائة الف الف
وعشرين الف الف ومصر الكوفة والبصرة واستقضى القضاة في الامصار و
دون الدواوين وفرض العطيات وهو اول من حمل الطعام من مصر الى الحجاز مناقبه
اشهر من ان يذكر وماثره اكثر من ان تحصى والمفرد لترجمته ابو الفرج ابن الجوزي

وجه التقييد بقوله من الخلفاء ك

مطلب
سبب تسمية عمر رضي الله عنه
امير المؤمنين

اذا اعتبرنا ستة دراهم
وثلثي درهم غروشا يكون
الكل ستة وثلثين الف
كيس

كتابا ومات شهيدا قتله ابو لؤلؤة النصراني غلام المغيرة بن شعبة طعنه
وهو يصلي بالناس صلوة الصبح فعاش ثلاثة ايام او سبعة ايام ثم توفي
وصلى عليه صهيب بن سنان الرومي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول انما الاعمال بالنيات قال المصـ معناه لا يحسب الاعمال الشرعية
الا بالنية قيل هذا على مذهب الشافعية واما على مذهب الحنفية فمعناه
لا ثواب لاعمال الا بالنية لاختلافهم في ان النية هل هي معتبرة في صحة الاعمال
ام لا وهذا الخلاف انما هو في اعمال الوسيلة دون الاعمال المقصودة فان النية
معتبرة فيها بلا خلاف بين الفريقين اقول وبالله التوفيق انه هذا الكلام لم يصدر
عن طريق التحقيق فان الشافعية وكذا المالكية والحنبلية لم يعتبروا صحة
شيء من اعمال الوسيلة بالنية الا الطهارة والمسالة هذه حجة عليهم في
القضية اذ لا ريبة ولا شبهة ان الطهارة من جملة شرائط الصلوة وكذا التقييد
كستر العورة واستقبال القبلة والوقت والنية فلا فرق بين الطهارة
من الحدث والطهارة من الخبث وستر العورة اذ الكل من اعمال الوسيلة
فيحتاج الى فرق صحيح وبيان صريح في تخصيص هذا الشرط بالنية من بين
سائر الشروط الشرعية ثم قوله لا ثواب الاعمال ليس في محله لان الاعمال
المستقلة في العبادة عند الحنفية لا تصح ايضا الا بالنية واما الثواب
فهو مترتب بعد صحتها على القبول المتوقف على الاخلاص وتحسين
الطوية بان لا يكون مقرونة بنحو الرياء والسمعة فالاحسن ما قرره
المصـ بقوله لا يحسب ليشمل الصحة والمثوبة الا ان قوله الاعمال
الشرعية يخرج سائر الاعمال مع انها يثاب عليها ايضا بالنية ته
فالاولى ان يقال لا يعتبر مطلق الاعمال الا بالنية فيعم الاعمال

مطلب شهادة عمر رضي الله عنه

فعمر رضي الله عنه اتفقا على الرواية
لعله على الاعمال
عنه الاعمال بالنيات المبتدا المعرف
باللام اذا لم يكن معهودا يفيد الحصر
فلما رأينا ذوات الاعمال توجد
بدون النية احتجنا الى تقدير
والمراد صحتها على راي الشافعي
وفضيلتها على راي ابي حنيفة فان
قلت هذا غير مستقيم لان النية
عمل القلب فيحتاج الى نية اخرى
فيتسلسل قلت العمل عند الاطلاق
منصرف الى عمل غير النية الا ترى
انك تقول ما عملت اليوم شيئا و
ان كنت قد نويت الف شيء فان
قلت ان اريد بالنية النية اللغوى
وهو القصد مطلقا فكلامه غير
مفيد لان العمل
فعل اختياري
لا يوجد بدونها
وان اريد بها
النية الشرعية

الطوية النية

انظر الى ورقة ٨٩

كذا وجد
وهو التقرب الى الله تعالى فالحصر ممنوع
اذ قد يوجد عمل بدونها قلنا المراد منها ما يكون تكليفيه تحسين العبادات انما يعتد به بالنية والبحث
هنا كان كثير الاذيال تركناه حذرا عن الاملال
ابن ملك شرح المشارق
الشرعية

الشرعية اعتبارها بالصحة وفي غيرها بمجرد المثوبة وهذا امر متفق عليه
فينبغي حمل الحديث عليه اما توقف صحة الاعمال الشرعية على النية فاجمعوا
عليه كما هو مبين في الكتب الفقهية واما توقف ثبوت المثوبة على غيرها
من الاعمال كالوضوء والغسل وستر العورة وطهارة الثوب ونحوها
وكذا البيع والشراء والنكاح والطلاق وامثالها فاتفقوا عليه كما هو مقرر
في كتب الصوفية وبهذا التحقيق اندفع ما حرره بعض الشراح من ارباب التدقيق
ان المراد في الاحكام المتعلقة لوجودها كالصحة والكمال اي لا صحة او لا
كمال الا بها فالشافعية يحملونها على الاول والحنفية يحملونها على الثاني
والاول اولى لانه لما امتنع الحمل على الحقيقة فالحمل على المجاز اقربها وهو
الصحة اولى كما تقرر في الاصول انتهى وقد عرفت ان الحنفية يقولون بالصحة
في الاعمال المستقلة وبالكمال في غيرها وفيما يكون كالوسيلة فيعطون كل
ذي حق حقه هذا مجمل الكلام واما تفصيل المرام فيتوقف على تحقيقات
شريفة وتدقيقات لطيفة منها ان قوله انما هي لتقوية الحكم الذي هو في
حيزها اتفاقا ولافادة الحصر وضعا عند اكثر الاصوليين خلافا لجمهور
النحويين فانها عندهم فانها تفيد تاكيد الاثبات لا غير عندهم ثم الحصر اثبات الحكم
لما بعدها ونفيه عما عداه وهو مبني على ان انما غير بسيطة بل مركبة من ان
الاثباتية وما النافية فاما ان تنفي الحكم عما بعدها وتثبته لغيره وهو باطل
اجماعا واما عكسه فهو المطلوب اتفاقا واما اذا قلنا ببساطتها تعين
الاول فتامل ونوزع بانها لو كانت مركبة قد تبدل ما فيها كانه ثم الحصر اما حقيقي
واما اضافي وقد اجتمعا في قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم
اله واحد ومن الاضافي حديث اسامة انما الربوا في النسيئة خلافا لابن عباس

حيث ذهب الى انه من الحقيقي ولم ينازع في فهمه الحصر بل عورض بانه
اضافي او دفع بدليل اخر ففي ذلك اتفاق على انها للحصر قال ابن حجر فان قلت
حذف انما في رواية صحيحة يدل على عدم اعتبار الحصر قلت ممنوع لان رواية
ذكرها فيها زيادة وزيادة الثقة مقبولة انتهى وهو وهم منه لان انما
هنا للحصر الاضافي دون الحقيقي لان الاعمال لا تتم ولا تصح بمجرد النية بل
لا بد لها من مزاولتها ومعالجتها باتيان باقي شروطها واركانها واذا
كان الحصر اضافيا فلا منافي بين وجودها وبين عدمها وبهذا يندفع كلام
الفاكهاني فحيث دل السياق على الحصر الاضافي فقل به والا فالاصل الاطلاق
ومنه هذا الحديث ثم اعلم ان هذا الحديث ذكره البخاري في سبعة
مواضع من صحيحه كما صرح به في محله وروى في الصحيح بالفاظ
اربعة وهي انما الاعمال بالنيات انما الاعمال بالنية الاعمال بالنيات
العمل بالنية كذا قال بعض الشراح وقال النووي لفظ الاعمال بالنيات
لا تصح ورده بعضهم بانه رواه كذلك ابن حبان والحاكم وابو حنيفه
في مسنده ومنها ان الاعمال ثلاثة بدنية وقلبية ومركب منهما فالاول
كرد المغصوبات والعواري والودائع والنفقات وازالة النجاسات
فلا يشترط فيه النية لصحتها بل لاثابتها والثاني كالاعتقادات
والتوبة والحب والبغض في الله وامثال ذلك فلا يشترط فيه
النية وقد اغرب بعض العلماء حيث اوقع الطلاق بمجرد النية اعتمادا
على هذا الحديث نعم الثواب والعقاب يترتب على عزم الطاعة والمعصية
وان لم يعمل بما نواه على ما ذهب اليه المحققون من اصحابنا وصرح به
النووي والقرطبي ايضا ويؤيده ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال

قال لاصحابه في منصرفه من غزوة تبوك ان المدينة قوما ما صعدتم جبلا
ولا هبطتم واديا الا وهم معكم فيه قالوا كيف وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة
حبسهم العذر او قال الضرر ومن شرف النية اعتبارها في الاخرة بناء على
تحقق خلود الطائفتين في المنزلتين لما في نية كل منهما الاستمرار على ما تدين
به ما في خبر ابن ماجه انما يبعث الناس على نياتهم ورواه مسلم بمعناه والثالث
كالصلوة والصوم والزكوة والحج فيشترط حصول النية في صحتها بقي الكلام
في الاقوال فلا يشترط النية لصحتها بل لثبوت المثوبة عليها واغرب الفاكهاني
في قوله وبعض خصص العمل بما لا يكون قولا واستبعد لانه لا فرق في ذلك
بين عمل بجارحة وبين عمل باخرى انتهى وقد عرفت الفرق بينهما ثم من العجيب
قوله انما الافعال فقد استعملت مقابلة الاقوال ولا شك ان الحديث
يتناول الاقوال والله اعلم بالاحوال ثم اعلم ان الاعمال عادية وعبادية والنية
شرعت لتميز الثاني عن الاول ليترتب عليه الصحة او المثوبة واما قول شارح
من الشافعية وهي اما ما تعبدنا الله بتركه كالقتل والسرقة فلا يشترط
فيه النية اتفاقا ففيه انه لا يشترط للصحة واما الثبوت المثوبة فلا بد
من النية اتفاقا واما قوله واما تعبدنا بفعله كالوضوء والصلوة فيجب
فيه النية ركنا او شرطا فتقدم انه ينتقض بستر العورة مع انه شرط اتفاقا
ثم العمل اخص من الفعل وهو كل ما يصدر من الحيوان بقصده قلبيا او
قالبيا ذكره الراغب ومنها ان قوله بالنيات متعلق بمحذوف هو الخبر
فقيل تقديره انما الاعمال معتبرة بالنيات او انما اعتبار الاعمال بالنيات
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقال شارح الباء للاستعانة
او المصاحبة ليعلم منه وجوب المقارنة او المقاربة لكنها تشعر وجوب

[illegible]

استصحابها الى اخر العمل لانه الظاهر من المعية فالاولى اولى انتهى ولا يخفى
انه حينئذ لا استفاد المقارنة او المقارنة فالحمل عليه اعلى غايته ان معية
النية في الاعمال الشرعية مختلفة الكيفية بناء على التوسعة العرفية الشاملة
للحالة القبلية والبعدية ومنها ان رواية الاعمال بالنيات لمقابلة الجمع
بالجمع واما وجه افراد النية مع جمع الاعمال على رواية كونها مصدرا وانما جمعت
في رواية لاختلاف انواعها والاولى حمل النية على ارادة الجنسية ومنها
ان المراد بالنية قصد المكلف للشئ المامور به ومحلها القلب
اجماعا وانما استحب بعض العلماء انضمام اللسان بالجنان
للتقوية والا فاجمع المحدثون على عدم ثبوت النية باللسان عن
النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة والتابعين ثم قيل ان جميع
النيات المعتبرة في العبادات لا بد لها من المقارنة للفعل الا الصوم
والكفارات فانه يجوز تقديمها على الفعل والشروع انتهى وتفصيل
محل النية في العبادات الشرعية محلها الكتب الفقهية واما اعتبار
الشافعي رحمه الله تصور اركان الصلوة حال النية مقرونة بالتحريمة
بوصف المعية فلا يظهر وجه تخصيصه بالصلوة دون سائر
العبادات مع انه حرج ظاهر بالنسبة الى الخواص فضلا عن العوام و
الله اعلم بما استدل به في هذا المقام وقال البيضاوي النية لغة
القصد وشرعا توجه القلب نحو الفعل ابتغاء لوجه الله وامتثالا
لامره وهي في الحديث محمولة على المعنى اللغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده
وتقسيمه لقوله فمن كانت الى اخره انتهى ونازع فيه شارح بما لا طائل
تحته وتوضيحه ان مجرد قصد القلب في تصحيح العمل كاف واما المعنى

مطلب

ولكل امرئ ما نوى هذا يشير الى ان حسن العمل
منوط بحسن النية والى ان تعيين المنوى
شرط فلو كان على انسان صلوات لا يكفيه
ان ينوي الصلوة الفائتة بل شرط ان
ينوي كونها ظهرا او غيره فلولا هذا
القول لاقتضى الكلام الاول ان يصح
الفائتة بلا تعيين فمن كان هجرته الى الله
ورسوله وهو ترك الوطن الذي بين
الكفار والانتقال الى دار الاسلام لله
ورسوله وليست مخصوصة ان يكون
من مكة الى المدينة فهجرته الى الله ورسوله
فان قلت الشرط والجزاء قد اتحدا قلنا اتحاد
لان التكرار قد يفيد الكمال كما قال انا ابو النجم
وشعري شعري اي شعري كامل والمعنى فهجرته كاملة
ومن كانت هجرته الى دنيا بغير تنوين لانها تانيث
ادنى يصيبها دنيا كالكبرى واكبر يصيبها او امراة
يتزوجها انما ذكرها مع كونها مندرجة تحت
دنيا تعريضا لمن هاجر الى المدينة في نكاح
مهاجرة فقيل له مهاجر ام قيس وتنبيها على
زيادة التحذر من ذلك وهذا من باب ذكر الخاص
بعد العام لمزية فهجرته الى ما هاجر اليه اي لا ثواب على هجرته • ابن ملك شرح المشارق

الشرعي

الشرعي فيحتاج اليه من زيادة قصد الامتثال وتحصيل الاخلاص
لاجل ثواب العمل وقبوله وهذا معنى قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين وفي كلام حجة الاسلام ان النية هي الارادة
الباعثة للقدرة المنبعثة عن معرفة كمال الشئ لان الافعال الاختيارية
لا تصح الا بعمل مهيج لارادة باعثة لقدرة خادمة لها بتحريك العمل
وهي يعني النية روح العمل تؤثر بنفسه بخلاف العمل فان المقصود منه
تاثيره في القلب ليميل الى الخير وينفر عن الشر الموصلين الى الانس والمعرفة
اللذين هما سبب سعادته في الدارين والنية عبارة عن نفس الميل فعلم
سر قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله انتهى وقد جعلت رسالة
في حل هذا المبنى وتحقيق ما فيه من المعنى وانما لكل امرئ ما نوى
والمعنى لكل شخص من الرجل او المرءة جزاء ما نواه في عمله من
خير او شر فهو من باب حذف المضاف او تقديره لكل احد جزاء نيته
والاولى على رواية ليس للمرء من عمله الا ما نواه وفي نسخة
صحيحة وانما لامرئ ما نوى فالمراد بالمرء جنسه وقد تكون النكرة
فيها بمعنى العموم كقوله تعالى علمت نفس ما احضرت ولو لم يكن
في سياق النفي ففي هذا المقام اولى فانه في الجملة وقع في سياقه لان انما
بمعنى ما والا والحصر هنا حقيقي مع زيادة الكل المفيد للاحاطة وافادة
الاختصاص من اللام فتبين بهذا التقرير زيادة افادة هذه الجملة من جهة
العموم الشامل للاعمال الشرعية وغيرها على الجملة الاولى المختصة
بالعبادات المستقلة وتوضيحه ان مفاد الاولى ان اصطلاح العمل
بحسب النية الموجدة له ومفاد الثانية ان جزاء العامل بحسب

القدرة هي الصفة التي يتمكن بها
يعني من الفعل والترك بالارادة

نيته من خير او شر وهاتان كلمتان جامعتان وقاعدتان كليتان ثم قيل
يفيد هذه الجملة ما لا تفيده الاولى وهي اشتراط تعيين المنوي كمن
صلوة وقتية او فائتة حيث لا يكفيه ان ينوي الصلوة فقط حتى
يعينها ظهرا او عصرا مثلا وايضا اذا عمل عملا ذا وجهين من وجوه
الثواب كالتصدق على الاقارب الفقراء ولم ينو الا وجها واحدا فليس له
الا ذلك وبهذا يندفع ما قيل من ان الجملة الثانية تاكيد للجملة الاولى
اذ من المعلوم ان الافادة خير من الاعادة وقد قال بعض المحققين ان
هذه الجملة من جوامع الكلم الصادرة عن منبع الحكم الالهية ومهبط
الانوار القدسية اللاهوتية يستضئ طائفة بعباراتها وطائفة
باشاراتها وكل حزب بما لديهم فرحون ومن اشاراتها ان مدار الاعمال
القالبية على الاحوال القلبية فما افادت منها ملكة فاضلة وتوجها
نحو الحضرة الربانية كان وسيلة الى المقصد الاعلى وذريعة الى السعادة
العظمى وما اوقع منها خلقا رديا وبعدا عن تلك الحضرة كان موجبا للشقاوة
ومنتجا للندامة وبحسب ذلك يتفاوت الاعمال جودة ورداءة
فكل عمل اوجب زلفاك من مولاك كان خيرا لك وما كان بخلافه كان
شرا لك ثم ان للنفس تمويهات مزخرفة وتلبيسات مموهة فربما
صورت لك السراب عذبا فراتا وارتك الماء الزلال ملحا اجاجا
فاشكل الميز بين ما يدنيك من اللذة الكبرى وما يرديك من موجبات
الردى في الدنيا والاخرى فما احوجك الى التمسك بالعروة الوثقى
واعتلاء الى ذروة التقوى بمتابعة شرع المؤيد من السماء وذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء وقال الطيبي في هذه الجملة اشارة الى

ماتثمره

ماتثمره النية من القبول والرد والثواب والعقاب ففهم من الكلام
الاول ان الاعمال لا يكون محسوبة الا بالنية ومن الثاني انها انما يكون
مقبولة بالاخلاص وتبعده عن الرياء والسمعة وتوضيحه انه اشار في
الجملة الاولى الى ان الاعمال الشرعية تتوقف صحتها على النية اللغوية و
اشار في الثانية الى اعتبار النية الشرعية بقوله ان حاصل المرء كل ما نواه
سواء كان محمودا او مذموما فيعلم منه انه يمكن ان يجعل العادات عبادات
كالماكل والمشارب والمناكح والملابس والطيب ونحوها من المباحات
اذا نوى القوة على الطاعة او قصد اقامة السنة او دفع الرائحة الموذية
عن الخلق لا استيفاء اللذات وقد تنعكس القضية بان تصير العبادات
عادات فلا يتفرع عليه مثوبات بل عقوبات كمن قعد في المسجد للتفكه
بالمحادثة والتلذذ بالمجالسة وللمناظرات على سبيل المباهاة ونحوها
من المباحات او الممنوعات ففي الخبر من تطيب في الله جاء يوم القيمة
وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه
انتن من الجيفة وكذا ورد وعيد من تعلم القران لغير الله ونحو ذلك
في الجملة كل عمل صدر عن العبد لداعي الحق فهو العمل الذي ينفعه
وما لا فلا يفيده بل قد يضره فقد روي ان رجلا في بني اسرائيل مر
بكثبان رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته
بين الناس فاوحى الله الى نبيهم قل له ان الله صدقك وشكر حسن
صنيعك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وهذا احد
معاني حديث نية المؤمن خير من عمله لان نيته قد تنفعه من غير
عمله واما عمله فلا ينفعه بدون نيته في خبر البيهقي لا عمل لمن لا نية له

الكثبان جمع كثيب وهو تل الرمل

فمن كانت هجرته اى اذا عرفت ان الاعمال الشرعية لاتصح بدون النية
اللغوية وان سائر العبادات البدنية لاتثاب مالم تقترن بالنية الشرعية
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله وهى فى الشريعة مفارقة دار الكفر الى دار
الاسلام خوف الفتنة وفى معناه الهجرة من دار البدعة الى دار السنة وفى
الحقيقة مفارقة ما يكره الله عز وجل الى ما يحبه كما ورد المهاجر من هجر
ما نهى الله عنه وهى اعم انواع الهجرة واتمها والمعنى فمن قصد بهجرته وجه الله
وابتغاء رضاه فهو كناية عن تخليص النية وتحسين الطوية وذكر الله توطئة
لذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيما للهجرة اليه فهجرته الى الله ورسوله
كناية عن شرف الهجرة وانها بمرتبة عليه او كونها مقبولة مرضية
فلا يضر اتحاد الشرط والجزاء فى العبارة الصورية وتكرير الاسمين
لتعظيم الهجرة لديه وتكريم المهاجر والمهاجر اليه ومجمل القضية فمن
كانت هجرته الى الله ورسوله قصدا ونية فهجرته الى الله ورسوله
ثمرة ومنفعة وقال المص قوله فهجرته الى الله ورسوله معناه مقبولة
انتهى ولا يخفى ان الجار والمجرور على هذا القول له فهجرته والاظهر ان التقدير
فهجرته الى الله ورسوله مقبولة على حذف الخبر فالجار حينئذ يتعلق بقوله
فهجرته وان فى الكلام وضع الظاهر موضع المضمر فان من احب شيئا اكثر
ذكره كما قيل اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع ولا يبعد
ان يكون التقدير فتكفيه هجرته اليهما ثم اعلم ان هذا الكلام تفصيل لما سبق
من المرام فى قوله انما لكل امرئ ما نوى وانما فرض القصة فى الهجرة لانها السبب
الباعث على هذا الحديث وذلك ان رجلا من اهل مكة كان يهوى امراة
يقال لها ام قيس فهاجرت الى المدينة فهاجر الرجل لاجلها لا لدينا فعرض النبى

صلى

صلى الله عليه وسلم به فى حديثه تنفيرا له عن مثل قصده وكان الرجل
بعد ذلك يدعى بمهاجر ام قيس فان قلت اذا كان القصد مشتركا بين العبادة
وامور العادة فما حكمه قلت الحكم بغالب الامر فقد صرح علماؤنا كما
فى الذخيرة والتجنيس وغيرهما ان الرستاقى اذا سعى يوم الجمعة الى المصر
يريد اقامة الجمعة واقامة الحاجة فان كان معظم مقصوده اقامة الجمعة
ينال ثواب السعى الى الجمعة وان كان قصده اقامة الحاجة لا غير او كان معظم
مقصوده اقامة الحاجة لا ينال ثواب السعى الى الجمعة ثم اعلم ان العمل اما
رياء محض بان يراد به غرض دنيوى فقط ولو مباحا فهو حرام لا ثواب فيه
واما مشوب برياء ولا ثواب فيه ايضا للخبر الصحيح من عمل عملا اشرك
فيه غيرى فانا برئ منه هو للذى اشرك وحمل الغزالى الاشتراك فيه على
المساواة والظاهر انه يحمل كلام الامام فيما لم يشترط فيه النية اللغوية
لقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا بل محله العبادة التى يعتبر فيه النية الشرعية وهى الاخلاص فى خلوص
الطوية كما هو من اخلاق الصوفية لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين واما من قصد بجهاده اعلاء كلمة الله و
نيل نحو غنيمة نقص من اجره ولم يبطل لخبر مسلم ان الغزاة ان غنموا
تعجلوا ثلثى اجرهم والا تم لهم اجرهم وقد قيل من حج بنية التجارة كان
له ثواب بقدر قصده الحج ومن عقد عملا لله ثم طرأ له خاطر رياء
فان دفعه لم يضر اجماعا وان استرسل معه ففيه خلاف والذى
رجحه الامام احمد وجماعة من السلف ثوابه بنيته الاولى وقيل ومحله
فى عمل يرتبط اجره باوله كالصلوة والحج دون نحو القراءة ففيها لا اجر بعد
حدوث

الرياء ولو تم عمله خالصًا فاثنى عليه ففرح لم يضر لخبر مسلم تلك عاجل
بشرى المسلم ومن كانت هجرته لدنيا اللام للتعليل اى لاجل عرضها ومتاعها
او حصول غرضها وانتفاعها او بمعنى الى كما فى نسخة صحيحة وهو اولى
لانه قابله بقوله الى ما هاجر اليه حيث لم يقل لما هاجر اليه كذا قيل و
الاظهر ان يقال الى هنا بمعنى اللام كقوله تعالى والامر اليك وحينئذ لفظ
الجلالة فى موضعها والهجرة غير مختصة بصوب المدينة لكونه صلى الله
عليه وسلم فيها بل المعنى فمن كانت هجرته لاجل رضى الله ورسوله فهجرته
منهية اليهما والى رضاهما والمعنى هو غاية طاعته ومن كانت هجرته
لغرض الدنيا وما فيها فهجرته منهية اليها والى هواها والمعنى هو نهاية
شهوته لا يتجاوز عنها وبهذا التقرير يستغنى عما قالوه من التقدير هذا
وقد قال المالكى فى استعمال دنيا منكرا اشكال لانها تانيث الادنى وهو
افعل التفضيل فكان من ظاهره الدنيا كالكبرى الا انها وردت على خلاف القياس
لانسلاخها عن معنى الوصفية واجرائها مجرى الاسمية وقيل النكتة فيه
الايماء الى تجريد الدنيا وترك زوائدها وهو ماخوذ من الدنو والدناءة
وقد تكسر داله ولا يبعد انها نكرت اشارة الى ما يسمى دنيا من انواع ما فى
الدنيا وترك تنوينه تخفيفا لكثرة استعمالها ويؤيده انه روى منونا
يصيبها حال مقدرة اى يقصد اصابتها ويحصلها فشبه قصد الدنيا
وتحصيلها باصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود او امراة ينكحها
بفتح الياء وكسر الكاف اى يتزوجها كما فى نسخة ثم او للتنويع لا للشك فهو
من عطف الخاص على العام اشعارا بان النساء اعظم ضررا ما فى الدنيا وايماء
بانه لما كان قصد النكاح الذى هو سنة عظيمة من سنن اهل الفلاح

اذ كان

اذا كان يبطل ثواب الهجرة فكيف غيره من الامور المباحة والمكروهة ولا يبعد
ان مهاجر ام القيس المذكور كان يحبها لمالها وجمالها فجمعهما فى التعريض
به ويحتمل انه كان يطلب نكاحها وغيره من الناس هاجر لتحصيل دنيا من
جهة ما تعرض بهما فهجرته الى ما هاجر اليه اى من اصابة الدنيا وتزوج المراة ولم
يذكرهما صريحا للاعراض عنهما وعدم الاحتفال بامرهما والزجر عن قصدهما — الاحتفال الاجماع
بخلاف ما تقدم والله اعلم والمعنى من كانت هجرته لدنيا او انتهت هجرته اليها
او كانت نهاية هجرته اليها لا يحصل له ثواب الهجرة سواء حصل غرضه من
الدنيا وما فيها ام لا فعلم ان الطاعة فى اصل صحتها وتضاعف مرتبتها مرتبطة
بالنيات وبها ترتفع الى خالق البريات فلا بد للساعى من تصحيح النية و
للبانى من احكام اساس لبنيه فانها بدون العمل منتج للمثوبة والعمل بدون
تصحيح النية موجب للعقوبة اما مثال الثانى فقد ورد من تعلم علما مما
يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة — العرف الريح طيبه او منتنه واكثر استعماله فى الطيبة ق
يوم القيمة واما مثال الاول فقد ورد فى مسند ابى يعلى الموصلى مرفوعا
ان الله يقول للحفظة يوم القيمة اكتبوا لعبدى كذا وكذا من الاجر فيقولون
ربنا لم نحفظ عنه ذلك ولا هو فى صحيفتنا فيقول الله انه نواه ونقل
الاستاذ ابو القاسم ان زبيدة رؤيت فى المنام فقيل لها ما فعل الله بك فى
ذلك المقام فقالت غفر لى جميع الاثام فقيل لها بكثرة عماراتك الابار والبرك
والمصانع فى طريق مكة وانفاقك فيها من الذهب والفضة فقالت
هيهات هيهات ذهب ذلك كله الى اربابه واصحابه وانما نفعنا منه
النيات فغفر لى بها السيئات هذا وبلسان العارفين معناه ان اعمال الظاهر
متعلق بما وقع فى القلوب من انوار الغيوب وان كشوف اسرار الطريقة

وانوار الحقيقة فى الباطن بما بدء من جمال الفهم والالهام اذا انفتح
ضيا سنا برق صفة الفعل من دنو صفات الجلال والاكرام والنية
جمع الهم فى تنفيذ العمل للمعمول له وان لا يسنح فى السر ذكر غيره • وللناس
فيما يعشقون مذاهب ثم نية العوام فى طلب الاغراض فى الفعل مع نسيان
الفضل ونية الجاهل التحصن عن سوء القضاء ونزول البلاء ونية اهل
النفاق التزين عند الخلق وعند الخلاق ونية العلماء اقامة الطاعة
وادامة العبادة لحرمة ناصبها لا لحرمة جانبها ونية الصوفية ترك
الاعتماد على ما يظهر منهم من الطاعات الصورية والحالات المعنوية
ونية اهل الحقيقة ربوبية تولت عبودية وانما لكل امرئ ما نوى
من مطالب السعداء ومناقب الاصفياء وهى الخلاص عن الدركات
السفلية من الكفر والشرك والجهل والمعاصى والاخلاق الذميمة و
الحجب النفسية والفوز بالدرجات العلية وهى المعرفة والتوحيد
والعلم والطاعة والاخلاق المحمودة والجذبات الالهية والفناء عن
انانيته والبقاء بهويته او من مقاصد الاشقياء وهى ما يبعد عن الحق
فى مقام الاصطفاء فمن كانت هجرته بخروجه من مقامه الذى هو غاية
مرامه سواء كان منزلا من منازل النفس او مقاما من مقامات القلب
الى الله وتحصيل رضاه ورسوله باتباع اعماله والتوجه الى طلب
الاستقامة فى استدامة احواله فهجرته الى الله ورسوله فتخرجه العناية
الالهية من ظلمات الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء وتجذبه
من حضيض العبدية الى ذروة العندية ويذهل عن عالم الناسوت
ويفنى فى عالم اللاهوت ويبقى بالحى الذى لا يموت ورجع اليه الانس
ونزل

ونزل بحلة القدس واشرقت عليه سبحات الوجه الكريم وحل بقلبه
روح الرضا العميم ووجد فيه الروح المحمدى واحبابا وعرف ان له مثوى
وما باهذا حال اخص الخواص واما العوام فهجرتهم بسبب الاقامة بشرط
جاهدوا فينا من الكفر الى المعرفة ومن الشرك الى التوحيد ومن الجهل الى
العلم ومن المعصية الى الطاعة ومن مقابح الاخلاق الى محاسنها و
اما الخواص فهجرتهم بجذبات لنهدينهم سبلنا من حجب اوصاف
الخلق الى درجات بتجليات صفات الحق ومن كانت هجرته لدنيا من
تحصيل شهوة الحرص على الجاه والمال ونيل المنال فيبقى مهجورا عن الحق فى
اوطان الغربة وديار الظلمة له نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة
التى تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التى لا تحرق الا الجلد ولا تخلص الى القلب
فانها بالنسبة الى نار فرقة القلوب وحرقة القطيعة عن غيب الغيوب
كنسيم الحياة الى سموم الممات ولذا قالوا الحجاب اشد العذاب وانشدوا • فى
فؤاد المحب نار هوى • احر نار الجحيم ابردها • وما احسن من قال من ارباب
الحال • يا غافل القلب من ذكر المنيات • عما قليل ستثوى بين اموات • ان
الحمام له وقت الى اجل فاذكر مصائب ايام وساعات لا تطمئن الى الدنيا و
زينتها • قد حان للموت يا ذا اللب اذ يأتى وكن حريصا على الاخلاص فى العمل
فانما العمل الزاكى بنيات • هذا وفى معنى الهجرة طلب العلم وصحبة الصوفية
بل كل حركة وسكون يحتاج الى تصحيح النية • وفى الخبر ان الله لا ينظر
الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم رواه امام المحدثين
اى المصنفين فى علم الحديث من المتاخرين احدهما او منهما ابو عبد الله
محمد بن اسمعيل بن ابرهيم بن المغيرة بضم فكسر ابن بردزبه بموحدة مفتوحة

سبحات وجه الله انواره
ق

فراء ساكنة فذال مهملة مكسورة فزاى ساكنة فموحدة فهاء ساكنة
ومعناه بلسان اهل بخارا الحارث بمعنى الزارع كان مجوسيا ومات عليه البخارى
منسوب الى بخارا بلد معروف من اعظم بلدان ما وراء النهر وفى بعض
النسخ زيد الجعفى بفتح الجيم وسكون العين المهملة فالفاء نسبة الى اليمان
بن اخنس الجعفى لان المغيرة اسلم على يده هذا وقد ولد سنة اربع وتسعين
ومائة وتوفى بخرتنك قرية على فرسخين من سمرقند سنة ست و
خمسين ومائتين فعمره ثنتان وستون سنة قال خرجت كتابى
الصحيح من زهاء ستمائة الف حديث لست عشرة سنة وما وضعت
فيه حديثا الا اغتسلت وصليت فيه ركعتين فضائله اكثر من ان يحصى
واوفر من ان يستقصى وقد افردت بالتاليف روى انه عمى فى صباه فراى
الخليل عليه السلام فى المنام فدعا له وتفل فى عينيه وبرك عليه فابصر باذن
الملك العلام فمن ثم لم يقرا كتابه فى كرب الا فرج وقد روى هذا الحديث فى سبع
مواضع من صحيحه وعدد احاديث صحيحه سبعة الاف ومائتان وخمس
وسبعون وباسقاط المكرر اربعة الاف وقد كتب عن احمد بن حنبل ويحيى
بن معين وخلايق يزيدون على الف وروى عن مسلم خارج صحيحه و
الترمذى وابن خزيمه قيل والنسائى وابو الحسين مسلم بن الحجاج
بفتح الحاء وتشديد الجيم الاولى ابن مسلم القشيرى بضم القاف وفتح
الشين المعجمة منسوب الى قشير بن كعب بن ربيعه بطن من العرب •
النيسابورى بفتح النون والسين المهملة معرب نيسابور المعجمة مدينة بخراسان
وهو الامام الهمام النبيل والبحر الحبر الجليل ولد سنة اربع ومائتين وتوفى
سنة احدى وستين ومائتين واحاديث كتابه بعد اسقاط المكرر
اربعة

لعلهما صلوة الاستخارة

اربعة الاف ايضا اخذ عن احمد وحرملة وخلايق وروى عنه الترمذى
حديثا واحدا رضى الله عنهما كذا فى النسخ جميعها وفيه توسعة والا
فالانسب ان يقال رحمهما الله لان الترضية تختص عرفا بالاصحاب •
المصطفوية فى صحيحيهما انما خصهما لان لهما كتبا غيرهما ليست فى
رتبتهما وهو متعلق برواه لا حال من الضمير الراجع الى الحديث كما ذكره •
الكازرونى اللذين بفتح الذال وكسر النون هما اصح الكتب المصنفة اى المؤلفة
احترازا من الصحف المنزلة واما قول الشافعى ما اعلم كتابا بعد كتاب الله
اصح من موطا مالك فذاك قبل وجودهما ثم الاول اصح منهما على الاصح من
الاقوال غيرهما وقد رواه غيرهما كالامام احمد وابى داود والترمذى والنسائى
وابن ماجه وغيرهم حتى صار شبيها بالتواتر عندهم وقد روى البخارى انه
صلى الله عليه وسلم خطب به فقال يا ايها الناس انما الاعمال بالنيات
وخطب به عمر رضى الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما اخرجه البخارى الحديث الثانى عن عمر رضى الله عنه
ايضا اى عادت عنه الرواية عودا يقال آض فلان الى اهله اى رجع
قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم المستفاد من كلام
الرضى ان ما فى بينما كافة لانها تكف المقتضى وتمنعه عن اقتضاء المضاف
اليه وقد روى فيما بينما وفى بعض الروايات بينا على اشباع الفتحة ليكون
الالف الحاصلة دليلا على عدم اقتضائه للمضاف اليه لانه كانه وقف
عليه فان الالف قد يؤتى بها للوقف عليها كما فى انا والظنونا ثم بين فى
اصله مستعمل فى الزمان والمكان واما اذا كف بما او الالف واضيف
الى الجملة فلا تكون الا للزمان لانه لا يضاف الى الجمل الا حيث من ظروف المكان

مطلب

والمعنى فى اثناء اوقات شريفة وازمنة لطيفة نحن حاضرون لديه
وواقفون بين يديه ذات يوم اى ساعة نهار ففائدة زيادة ذات
فى البيان عدم تجوز التوهم فى اطلاق القوم على مطلق الزمان
وهو ظرف عند لما فيه من معنى الاستقرار فى الخبر اذ طلع علينا
رجل اى ظهر لنا شخص بصورة رجل من جنسنا والتنوين فيه
للتعظيم او للتنكير والمعنى فاجانا وقت طلوعه حين كنا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفى مجلس حضوره وحال ظهور نوره رجل
عالى الجناب شديد بياض الثياب باضافة الشديد الى البياض
وفى نسخة بتنوين شديد ورفع ما بعده وكذا الكلام فى قوله شديد
سواد الشعر بفتح العين ويسكن وفيه ايماء الى استحباب البياض و
النظافة فى الثياب وان زمان طلب العلم اوان الشباب وفى حديث
الترمذى ان الله نظيف يحب النظافة وصح ان من خير ثيابكم البياض
فالبسوه وكفنوا فيها موتاكم وقدم البياض على السواد لفضله
وجمع الثياب دون الشعر اشعارا بان جميعها كذلك او للتفنن
فى العبارة باستعمال الجمع تارة واعتبار الجنس اخرى وهذا بالتحقيق
اخرى ورواية النسائى عن ابى هريرة وابى ذر اذ اقبل رجل احسن
الناس وجها واطيب الناس ريحا كان ثيابه لايمسها دنس واعرب
ابن حجر فى عبارته عن ابو هريره وذر انتهى وغرابته لا تخفى لايرى
بضم الياء من يرى قاله المص وروى بالنون المفتوحة كذا فى شرح
مسلم عليه اثر السفر برفع الاثر ونصبه كما يقتضيه اختلاف
الاثر والاثر العلامة من نحو الشعث والغبرة والسفر ماخوذ من

الشعث الغبار والشعث متغير الراس

السفر

السفر وهو الكشف لانه يكشف احوال الرجال واخلاقهم فى احوال
الانتقال ولا يعرفه منا اى معشر الصحابة احد قدم منا للاهتمام ومؤدا
وحاصل معناه انه حينئذ اما ان يكون ملكا او جنيا اذ لو كان بشرا من
المدينة لعرفناه او غريبا كان اثر السفر فى سيماه وفى هذا الحديث تصريح
بانهم رواه وسمعوا كلامه واما حديث الامام احمد عن غير عمر
فسمع رجع النبى صلى الله عليه وسلم ولا نرى الذى يكلمه ولا
نسمع كلامه فاما محمول على تلون حال جبريل ان كانت القضية واحدة
واما على تعدد القصة لتاكيد تعليم الامة وهذا اولى من قول ابن حجر يرد
حديث عمر الاصح منه واما قول الفاكهانى رواه ابو العباس العذرى لا
نرى ولا نعرفه بالنون فانما يصح مع عدم قوله منا احد حتى جلس
متعلق بمحذوف دل عليه طلع اى سلم واستاذن واتى ودنا
حتى جلس مائلا الى النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى بين يديه
فى الحديث كنا نجلس بين يدى النبى وكانما على رؤوسنا الطير او
متصلا اليه فيكون كالتفسير له قوله فاسند ركبتيه الى
ركبتيه اى اوصل ركبتيه الى ركبتى النبى عليه السلام لان
الجلوس على الركبة الى التواضع اقرب والى كمال الادب و
ايضا لهما ابلغ فى الاصغاء وحضور القلب والصفاء والاستيناس
بالتوحش عن الناس وكذا حكمة وضع الكف فى قوله ووضع
كفيه على فخذيه بفتح الفاء وكسر الخاء وجوز فى اللغة كسر اوله
وسكون ثانيه اى فخذى النبى كما فى رواية النسائى هذا وقد ابعد
ابن حجر عن التحقيق حيث قال فى جلس الى ههنا بمعنى عند

اومع هذا وفي رواية لابي ذر والنسائي عن ابي هريرة انه عليه
السلام كان يجلس مع اصحابه فلا يعرفه الغريب فبنيت له
مصطبة من طين فجاء جبريل وهو عليها فقال السلام عليكم
يا محمد فرد عليه صلى الله عليه وسلم قال ادنوا يا محمد قال ادنه
فما زال يقول فيقول ادنو امرارا ويقول ادن حتى وضع يديه على
ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وصيغة عليكم بلفظ الجمع
للتعظيم اوله ولمن معه على وجه التعميم كما قال الفقهاء انه يندب
السلام بصيغة الجمع على الواحد نظرا لمن معه من الملائكة ولا
ينافي تخصيصه بالنداء بعد تعميم الثناء وقال يا محمد لعل نداءه
بذلك قبل التحريم او لانه لم يكن داخلا في التعميم او التحريم محمول على
ما اذا اريد به مجرد العلمية غير التعظيم المستفاد من الدلالة الوصفية
الموجبة للتفخيم واما ما ورد في الصحاح من نداء بعض الصحابة
باسمه فذلك اما قبل التحريم واما على قصد ما ذكرنا من التعظيم
وقال شارح ناداه باسمه اذ الحرمة يختص بالامة في زمانه وهو
ملك معلم انتهى وفيه انه في هذا المقام تنزل الى مرتبة التعلم او
الى حالة تعليم غيره في السؤال والجواب فمقتضاه انه كان يتادب
في الخطاب لا سيما في اول الباب والله اعلم بالصواب وقال الفاكهاني
ونداؤه هنا كان تعمية لحاله اولا وهذا بعيد عن مقام جلاله وحسن
سؤاله اخبرني عن الاسلام وهو لغة الانقياد للاحكام و
لذا اجاب عنه عليه السلام بالاركان الخمسة من ظواهر احكام
الشريعة وانما قدم السؤال عنه وان كان التصديق مقدما بحسب

المصطبة بكسر الميم كالدكان للجلوس ق

الدكان بالكسر سكى

الرتبة

الرتبة لانه جاء لتعليم مراتب الشريعة فبدء بالادنى ثم ترقى الى الاعلى
ثم الى مشاهدة المولى فيكون هذه الرواية هي الاولى من رواية الترمذي
تقديم الايمان كما في رواية الصحيحين عن ابي هريرة فلعلها رواية بالمعنى
هذا وقد ذكر ابو عبد بن ابي حفص الكبير عن ابيه عن محمد بن الحسن
عن ابي حنيفة عن علقمة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر ان جبريل سأله عن
شرايع الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تشهد اي
شهادتك واقرار عبادتك ان لا اله الا الله ان مخففة من المثقلة
وضمير الشان محذوف ويدل عليه عطف قوله الاتي وان محمدا الخ
والمقصود من هذه الكلمة اثبات التوحيد في الجملة بحسب
ظاهر الشريعة والا فتفصيله على وجه الحقيقة اثبات ذات الله
بوحدانيته منعوتا بالتنزه عما يشابهه اعتقادا فقولا وعملا
فيقينا وعرفانا ومشاهدة وعيونا فثبوتا ودواما كما ستقف
عليه مفصلا وتماما وقال الغزالي للتوحيد لباب وقشران
كالجوز فالقشرة العليا هي القول باللسان المجرد والثانية الاعتقاد
بالقلب جزما واللب ان ينكشف بنور الله سر التوحيد بان يرى
الاشياء الكثيرة صادرة عن فعل ويعرف سلسلة الاسباب مرتبطة
بمسببها ولب اللب ان لا يرى في الوجود الا واحدا ويستغرق في
الواحد الحق غير ملتفت الى غيره ابدا واغرب ابن حجر بقوله فلو قال
اعلم بدل اشهد او اسقطها فقال لا اله الا الله محمد رسول الله
لم يكن مسلما وايده بحديث امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا مع
انتفائه في رواية صحيحة حتى يقولوا وقد كثرت الروايات الثابتة

عنه صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة على ان
المراد بهذه الكلمة ضم الاخرى من الاقرار بالنبوة لتلازمهما في اعتبار الشريعة
وان الاقتصار على هذه الكلمة من باب الاكتفاء او للبناء على ان
هذه علم للاقرار بالتوحيد والنبوة فكيف اذا كملت الكلمة بضم
محمد رسول الله فقوله وان محمد رسول الله ايماء الى الاقرار بصحة
النبوة وهما اصلان متلازمان في اقامة الدين ضرورة توقف الاسلام
على الشهادتين وقد يقال الشهادة تجيء في اللغة على ثلاثة معان الاول
العلم كقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون
اى تعلمون والثاني بمعنى الحضور والابصار كما قال تعالى وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين والثالث بمعنى الاخبار عن العلم والحضور كقوله
تعالى وما شهدنا الا بما علمنا وهذا المعنى هو المناسب لمقام الاسلام
واما العلم والمشاهدة فهما من مراتب العلماء الكرام ومناقب الاولياء
العظام ومنه قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وشهد الله انه لا اله
الا هو وقال المحققون مجرد التوحيد هو الاحتجاب بالجمع عن التفصيل
وهو محض الجبر المؤدى الى الاباحة واسناد القول والفعل الى الرسول
وسائر الخلق احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذى هو صرف القدرة المؤدى
الى التعطيل والتنويه والجمع بينهما هو الحق المحض قال في العوارف الجمع
اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمن شاهد غيره فما ثمة جمع والتفرقة
شهود لمن شاهد بالمباينة فقوله امنا بالله جمع وما انزل الينا تفرقة
اقول فقول لا اله الا الله جمع وقول محمد رسول الله تفرقة كما قيل اياك
نعبد تفرقة واياك نستعين جمع وفي جمع المثالين ايماء بجواز التفرقة

على الجمع

الجبر اسناد الفعل الى الله والجبرية اثنان متوسط يثبت للعبد كسبا في الفعل كالاشعرية وخالصة لا تثبته كالجهمية تعريفات

على الجمع كما للسالك المجذوب المسمى بالمريد وتقديم الجمع على التفرقة كما
للمجذوب السالك المسمى بالمراد وهو اكمل من المريد في مقام المريد كما اشار اليه قوله
سبحانه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب وقال الجنيد القرب
بالوجد جمع وغيبته بالبشرية تفرقة وكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة
بلا جمع تعطيل ويقيم الصلوة اى تديمها بمحافظة شرائطها ورعاية اركانها
والصلوة لغة الدعاء نقل الى افعال مخصوصة واقوال معلومة لان
الدعاء جزء الصلوة ويؤتى الزكوة اى تعطيها مصارفها من زكى نمى او
اطهر وهي اسم للقدر المخرج من النصاب لانه يزيد بركة المخرج عنه و
يطهره او يطهر قلب صاحبها عن خساسة البخل ونجاسة حب الدنيا
طلبا لحب المولى ورسمهما بالواو على خلاف القياس بناء على اصلهما ثم
اعلم ان الرواية بنصب تقيم وتؤتى وما بعدهما ويؤيده حديث
بنى الاسلام على خمس واما من جعل الواو استينافية على زعم ان اثبات
الشهادتين يكفى في اجزاء احكام الاسلام فاجيب بان الانقياد بهما اقل
وتبوا بعهما من المذكورات ونحوها اكمل على انه قد يقال المراد ببقية الافعال
الخمسة هو الانقياد بقبول فرضيتها واعتقاد ركنيتها اذ انكار وجوبها
كفر اجماعا لانها من المعلوم بالدين ضرورة وتصوم رمضان فيه
جواز اطلاق رمضان عن غير ذكر شهر وهو علم للشهر المشهور من رمض
اذا احترق فاضيف اليه الشهر وسمى به لارتماضهم من حر الجوع
او الاحتراق ذنوبهم بالصبر على حرارة الجوع ومرارة العطش والصوم لغة
الامساك وشرعا امساك مخصوص بوصف مخصوص وتحج البيت
الحج بفتح الحاء وكسرها لغة القصد او قصد المعظم وشرعا قصد بيت الله

مطلب

فى وقت معين بشرائط معلومة والبيت اسم جنس غلب على الكعبة
علما ان استطعت اليه اى الى البيت او الحج المفهوم من تحج يعنى اذا مكن
لك الوصول اليه سبيلا تمييز عن نسبة الاستطاعة اى ان استطعت
سبيل البيت او الحج فاخر ليكون اوقع فى النفس وهى الطريق الذى فيه سهولة
ويستعمل فى كل ما يتوصل به الى الشئ وهو المراد هنا ولذا فسرت فى الحديث
بالزاد والراحلة رواه الحاكم وصححه لكن ضعفه اخرون والحاصل ان الاستطاعة
عند ابى حنيفه بمجموع البدن والمال وعند مالك بالبدن وعند الشافعى
بالمال وفى كتب الفقه تفصيل الاحوال ومن جملة تفاريعه انه هل
يجب على الفور او التراخى ففيه خلاف مشهور بين اصحابنا وكذا فيما بين
اصحاب مالك والشافعى واما من حج حجة الاسلام ثم ارتد العياذ بالله
ثم عاد الى الاسلام فقال ابو حنيفه واحمد والمشهور من مذهب مالك
يجب عليه حجة الاسلام خلافا للشافعى ثم الاستطاعة تطلق على سلامة
الاسباب وصحة الالات وهى تتقدم على الفعل ويطلق على عرض فى الحيوان
يفعل به الافعال الاختيارية ولا يكون الا مع الفعل وهى على ما فسرت
استطاعة خاصة بالمعنى الاول فلا يرد ما قيل من ان الاستطاعة التى
بها يتمكن المكلف من فعل العبادة مشروطة فى الكل فكيف خص الحج بها و
تنكيره للعموم وتقديم اليه عليه للاختصاص اى سبيلا ما الى البيت
او الحج على اى وجه كان قريبا او بعيدا بشرط اختصاص انتهائه اليه لا الى
غيره وايراد الافعال على صيغة المضارع لافادة الاستمرار التجددى
المناسب لكل منها فى التوحيد الاستمرار الدائم مدة الحيوة الى الممات
وفى الصلوة دونه ثم فى الصوم والزكوة دونهما وقدم الاهم واخر ما وجب

فى العمر

فى العمر مرة وهو الاشق الاتم ولذا قيد بالاستطاعة والله اعلم وقد نزل
عليه صلى الله عليه وسلم يوم عرفة وهو على ناقته فى حجة الوداع اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا قال اى الرجل
صدقت فعجبنا له اى قال عمر فتعجبنا لاجل السائل او من كلامه المتقابل حال
كونه يسأله ويصدقه اذ سواله تقتضى عدم علمه وتصديقه يوجب
خلاف حاله ثم زال التعجب الناشى عن الجهل بسبب الشئ بعلمهم انه جبريل
اتاهم فى صورة متعلم لتعليمهم امر دينهم قال فاخبرنى عن الايمان هو فى
اللغة التصديق الذى معه امن وطمانينه وتحقيق وحقه ان يتعدى
بنفسه الا انه لما كان متضمنا لمعنى الاعتراف عدى بالباء فى قوله قال ان
تؤمن بالله كذا قرره بعض الشراح وفيه ان الاقرار شرط لاجراء الاحكام
او شطر المفهوم الايمان كما هو عند بعض الاعلام فالاكتفاء به لا يكون الحد
على وجه النظام فالاولى ما قال بعضهم من ان المراد بالمحدود الايمان الشرعى
ومن الحد الايمان اللغوى فانه متعد بالباء كما فى القاموس امن به ايمانا
صدقه فالمعنى ان الايمان هو تصديق وجوب وجود ذات الله المستجمع
لصفات الكمال من نعوت الجمال والجلال وحسن الافعال وبكل ما جاء
من عنده على طريق التفصيل او سبيل الاجمال قال ابن صلاح هذا الحديث
بيان اصل الايمان وهو التصديق والاسلام وهو انقياد الاحكام
وحكم الاسلام يثبت بالشهادتين وانما اضاف اليهما الاعمال المذكورة
لانها اظهر شعائره ثم الايمان قد يطلق على الاسلام كما فى حديث وفد عبد
القيس هل تدرون ما الايمان شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
واقام الصلوة وايتاء الزكوة الحديث وقد يطلق الايمان على الاسلام كحديث

مطلب

الايمان بضع وسبعون شعبة ادناها اماطة الاذى عن الطريق
واعلاها شهادة ان لا اله الا الله وقد يطلق الاسلام ويراد به المعنى
الاعم لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وكخبر ابن ماجه ما الاسلام
قال تشهد ان لا اله الا الله وتشهد انى رسول الله وتؤمن بالاقدار
كلها خيرها وشرها حلوها ومرها ومنه ما روى الايمان اعتقاد بالجنان
وعمل بالاركان واسم الاسلام يتناول اصل الايمان وهو التصديق والطاعات
فان كل ذلك استسلام فعلم انهما يجتمعان ويفترقان وان كل مؤمن مسلم
من غير عكس كما يدل عليه قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
اسلمنا وخبر احمد الاسلام علانية والايمان فى القلب وفى حديث سعد
تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاد وهذا
تحقيق موافق لمذهب جمهور العلماء من الاشاعرة والماتريدية حيث
جعلوا الايمان مجرد التصديق والاقرار شرط لاجراء الاحكام وهو مذهب
الامام وبه اخذ علم الهدى والاشعرى فى اصح الروايتين عنه على ما ذكره
الكردرى وقيل الاقرار ركن والتصديق شرط وهو قول ساقط علامة
للتحقيق واما على ما ذهب اليه بعض الحنفية من ان الاعتراف شطر للايمان
لكنه يسقط بالاعذار فى بعض الاحيان فكل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن
على ما هو المتعارف فى الزمان واما عند الشافعى وهو المنقول عن على كرم
الله وجهه مرفوعا ان الايمان هو المعرفة بالجنان والاقرار باللسان
والعمل بالاركان والظاهر ان المراد به الايمان الكامل وعليه جميع اهل السنة
خلافا للمعتزلة حيث قالوا كما ذكر فى الكشاف الايمان الصحيح هو ان
يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله وكذا عند الخوارج الا ان

المعتزلى

المعتزلى يقول مرتكب الكبيرة يخرج عن الايمان ولا يدخل فى الكفر والخارجى
يحكم بكفره فاذا كان الامر كذلك فلا وجه لاسناد ما قال على الى انه كذا
عند الشافعى واتباعه على ما ذكره بعض الشراح من اشياعه والا فيلزم
منه انه خالف اهل السنة وتابع اهل البدعة وليس كذلك فانه لم
يقل بالتفريع الذى ذكره الخوارج والمعتزلة وبطلان ما ذكروه ظاهر اذ
حيث جاء فى الكتاب والسنة عطف العمل على الايمان فدل على مغايرته
للعمل بالاركان ومما يدل على بطلان ما ذهبوا اليه انه لو امن شخص
ولم يلحق تكليف عمل ومات فهو مؤمن عند الله اجماعا ثم اعلم ان المراد
بالاركان الاتيان بالاوامر المفروضة والانتهاء عن الزواجر المحرمة
واغرب شارح فى تفسير الاركان بالاعضاء السبعة وهى العين و
اللسان والاذن واليد والبطن والفرج والرجل وان ابا حنيفة واتباعه
انكر قبول الايمان للزيادة والنقصان ووافقه امام الحرمين من الاشاعرة
وجوزهما اخرون قال المصنف وهو مذهب السلف والمحدثين قال
الفخر الرازى وغيره الخلاف مبنى على ان الطاعة اذا اخذت فى مفهومه
قبلهما والا فلا لان الايمان اسم للتصديق الجازم مع الاذعان وهذا لا يتغير
بضم طاعة ولا معصية اليه ثم قال المص قال المحققون من اصحابنا المتكلمين
ان نفس التصديق لا يقبلهما والايمان الشرعى يقبلهما بزيادة ثمراته
وهى الاعمال ونقصها قالوا وفى هذا توفيق بين ظواهر النصوص التى جاءت
بالزيادة وبين المعنى المفهوم من اللغة قال وهذا الذى قاله هولاء
وان كان ظاهرا حسنا فالاظهر والله اعلم ان نفس التصديق يزيد لقوة النظر
ولظاهر الادلة ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم

بحيث لا يعتريهم الشبه ولاين لزلزل ايمانهم بعارض ولا يشك عاقل
في ان تصديق ابي بكر لا يساويه تصديق احاد الناس قول واذا كان الايمان
التصديق على وجه التحقيق فلا يقبل الزيادة والنقصان الا باعتبار ثمراته
من الاعمال او من استظهوره وانكشاف نوره في صدور ذارباب الاحوال اذ
التصديق عند اهل التدقيق اذعان النفس وقبولها بما يجب قبوله عليها وهو
تقليدي وتحقيقي والتحقيقي اما استدلالي او ذوقي والذوقي اما كشفي
واقف على حد العلم او عيني غير واقف عليه والعيني اما مشاهدة او شهود و
الاول هو الاعتقاد الجازم المطابق الممتنع الزوال وهو اول ما لا بد منه في صحة
العمل بالاركان والثاني الاعتقاد الجازم المطابق الممتنع الزوال الثابت بالبرهان
والثالث الممتنع الزوال الثابت بالوجدان والثلاثة مراتب الايمان بالغيب
والاخير ان علم اليقين والرابع هو المشاهدة الروحانية مع بقاء الا
ثنينية ويسمى عين اليقين والخامس هو الشهود الحقاني عند تجلي الوحدة
الذاتية وزوال الاثنينية ويسمى حق اليقين ومجمل الكلام في مقام المرام
ان ايمان العوام هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان وايمان الخواص
عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى
وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله وابانة
الخلق الى الفناء في الله واخلاء السير للبقاء في الله واما قول المص في
شرحه لمسلم اتفق اهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على
ان من امن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلدا في النار فمعترض
على ما قاله ابن حجر بانه لا اجماع على ذلك وبان لكل من الائمة الاربعة
قولا انه مؤمن عاص بترك التلفظ بل الذي عليه جمهور الاشاعرة

وبعض

ف
عزف زهد فهو عزوف

عزف عزوفا زهد

و بعض محققي الحنفية كما ذكره المحقق الكمال ابن الهمام وغيره من علماء
الانام ان الاقرار باللسان انما هو شرط لاجراء احكام الدنيا فحسب اقول
واذا كان الامر كذلك فينبغي ان يحمل كلام النووي على امتناع اقراره مع قدرته
وقت مطالبته ولذا اجمعوا على كفر ابي طالب حيث طالبه صلى الله عليه
وسلم بالاقرار ولم يعترف خوف من الملامة والعار مع انه كان عارفا
بحقية نبوته عليه السلام لما راى من اثار الانوار وثبوت دار القرار
باستدلاله العقلي حيث قال لا بد من دار اخرى لجزاء الخلق والتمييز بين
الفجار والابرار اذ الامر منعكس في هذه الدار حيث اكثر الابرار في المحنة
وجمهور الفجار في النعمة والحاصل ان امتناعه عند مطالبته مع وجود
قدرته مبطل لمعرفته كما لو سجد لصنم باختياره او استخف بنبي او
بالكعبة او برمي القران في القاذورات ونحو ذلك من المكفرات فانه يحكم
بارتداده وبطلان اعتقاده لذلك ولا يفيده تصديقه القلبي هنالك
اذا انقلب ايمانه كفرا ولا يبعد ان يقال الاقرار حينئذ صار شطرا فيكون
ذا وجهين كما قال اصحابنا في الاحرام انه من وجه شرط ومن وجه ركن
وبه يجمع بين الاقوال المختلفة والله اعلم وايضا لو لم يعتبر ما قاله لم
لزم ان يكون بعض اليهود والنصارى مؤمنا عند الله وهو خلاف
الاجماع قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اي عما اقروا بنبوته فلم
ينفعهم الايمان بالله ووحدانيته هذا وقد اتفق اهل الحق وهم الاشاعرة
والحنفية على انه لا عبرة بايمان بلا اسلام وعكسه اذ لا ينفك احدهما
عن الاخر في الشريعة وان كانا متغايرين في اصل اللغة فعلم انه باختلال
احد من الامرين ينتفي لازم الايمان في الدارين لكن الحنفية اشد مبالغة

فى رعاية الملة الحنفية ومن ثم كفروا باقوال وافعال كثيرة نظرا منهم الى انها
تدل على الاستخفاف بالشريعة كتعمد صلاة بلا وضوئها ودوام ترك سنة
استخفافا بها واستقباح سنة كتحنيك العمامة وهو جعل طرفها تحت
حلقه وامثالها حتى روى ان ابا يوسف رحمه الله ذكر فى مجلسه انه صلى الله عليه
وسلم كان يحب الدباء فعارضه بعض الجهلاء بقوله انا ما احب الدباء فسل
له السيف وقال جدد ايمانك والا قتلتك وملائكته جمع ملك على غير قياس
والتاء لتانيث الجماعة وهم اجسام لطيفة نورانية مبراة من كدورات نفسانية
وظلمات حيوانية مقتدرة على تشكلات مختلفة معصومون عن المخالفة
منهم وسائط بين الله وبين انبيائه المبعوثين الى الخليقة ولكل مقام معلوم
ومرام مقسوم وفى حديث مسلم عن عائشة مرفوعا خلقت الملائكة من نور
وخلقت الجن من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم وكتبه اى ما انزل
الله على انبيائه اما مكتوبا فى الالواح او مسموعا من وراء حجاب او من ملك
مشاهد او هاتف وذلك بان يعلم ان كلها وحى من الله مشتمل على احكامه
واخباره واعلامه ويعتقد ان القران كلام الله غير مخلوق بل ازلى قديم
قائم بذاته منزه عن حرف وصوت وحدوث شئ فى صفاته وهو المكتوب
فى مصاحفنا المحفوظ فى صدورنا المقروء بالسنتنا قال الزمخشرى وغيره

مطلب
كتب منزلة

وهى مائة كتاب واربعة منها خمسون على شيث وثلاثون على ادريس و
عشرة على ادم وعشر على ابرهيم والتورية والزبور والانجيل والفرقان •
ورسله بان يعرف انهم بلغوا ما انزل اليهم وقاموا بما اوجب عليهم وانهم
معصومون عن الكبائر والصغائر عمدا لا سهوا وخطا بشرط التذكر فى الحال او
التنبيه عليه بحسن المقال وهذا الترتيب فى التعريف مما تقتضيه حكمة عالم

الوسائط

الوسائط والتكليف والا فمقالى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك
مقرب ولا نبى مرسل معلوم لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ فيه اشارة الى
تمكينه فى وقت كشوف المشاهدة واستغراقه فى لجة بحر الوحدة حيث لا يبقى فيه
اثر البشرية ولا تصور الاثنينية الا انه سبحانه كان يرده فى بعض الاوقات
من هذه النسبة الجمعية الى النظر فى تربية اصحابه العلية وتدبير احوال
امته المرضية ليجرى عليه احكام التلوين بعد تحققه فى مقام التمكين ولئلا يذوب
فى نيران كبرياء الازل او يغرق فى بحر الفناء ومقام حق اليقين ومن هنا كان
يقول لعائشة احيانا كلمينى يا حميراء واليوم الاخر اى يوم القيمة لانه
اخر ايام الدنيا ولانه لا ليل بعده ولا نهار اى ويؤمن
بوجود الابد الدائم الذى لا ينقطع وما فيه من حشر الاشباح
مع الارواح والمحاسبة والمجازاة ومواقفه من الصراط
والميزان ودخول الجنة ودرجاتها والنار ودركاتها وفى رواية
والبعث الاخر فكان البعث الاول هو الخلق بعد العدم وتؤمن
بالقدر بفتحتين مصدر قدر يقدر وقد يسكن داله وهو
ما قضاه الله وحكم به من الامور كذا فى جامع الاصول واعاد
العامل اما لبعد العهد كقول الشاعر اذا علم اليحيى اليمانى اننى
اذا قلت اما بعد انى خطيبها او لشرف قدره وتعاظم امره
لانه محار الافهام ومزل الاقدام فلذا اهتم بشانه ثم قرره
بالابدال بقوله خيره وشره اى حلوه ومره وفى رواية لمسلم وبالقدر
كله وليس تؤمن فى اصل ابن حجر من شرحه فهو ساقط من الكتاب
او من صاحب الكتاب ويؤيد الثانى عدم تكلمه فى هذا الباب والله

اعلم بالصواب قال المؤلف معناه نعتقد ان الله تعالى قدر الخير و
الشر قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات بقضاء الله تعالى وقدره
وهو مريد لهما انتهى فالطاعات تحبها ويرضاها ويثيبها بخلاف
الكفر والمعاصي قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر والارادة لا تستلزم
الرضا وقد قال سبحانه انا كل شيء خلقناه بقدر وفي الخبر كل شيء
بقدر حتى العجز والكيس واجمع السلف والخلف على صحة قول ما شاء
الله كان وما لم يشا لم يكن ولانه سبحانه اعظم من ان يقع في ملكه ما
لا يشا او يشا ما لا يكون من الاشياء وقد قيل قدر الخير والشر قبل
خلق الخلق بخمسين الف سنة هذا ولو كان العبد يخلق الشر والمخالفات
وهي اكثر وقوعا من الطاعات لكان اكثر ما يجري في الوجود على خلاف
مراد المعبود وذلك امر لا يرضاه امير بلده ولا زعيم قرية وقال الغزالي
كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت
والنحل ونحوها من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي
الالباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير
عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات
ذلت المخلوقات على خالق المصنوعات انتهى فالايمان بالقدر هو
التصديق بان ما قدره الله في ازله لا بد من وقوعه وما لم يقدره مستحيل
وقوعه فكل حادث في العالم فعله وخلقه واختراعه لا خالق سواه ولا
محدث الا اياه خلق الخلق وصنعتهم واوجد قدرتهم وحركتهم قال
تعالى خالق كل شيء والله خلقكم وما تعملون وما تشاؤن الا ان يشاء
الله وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين مرفوعا قال كان الله ولم يكن

قلت

قلت في الذكر كل شيء ثم خلق الله السموات والارض ثم ان الله خلق الخلق
على ما علم منهم وعلى ما قدره عليهم قال تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر
اي بحسب ما قدرنا قبل ان نخلقه وعن انس مرفوعا من لم يرض بقضائي
فليطلب ربا سوائي ثم القضاء هو الحكم بنظام جميع الموجودات على
ترتيب خاص في ام الكتاب ولا ثم في اللوح المحفوظ ثانيا على سبيل الاجمال و
اما القدر فهو تعلق الارادة بالاشياء في اوقاتها وهو تفصيل قضائه
السابق بايجادها في المواد الجزئية المسماة بلوح المحو والاثبات كما يسمى
الكتاب بلوح القضا واللوح المحفوظ بلوح القدر وفي وجه هذا التحقيق
كلام القاضي البيضاوي فذكر القدر دون القضاء من باب الاكتفاء
او لكون الايمان بالقدر مستلزما للايمان بالقضاء ولعل الاوجه ان
يقال انما اختار لفظ القدر لقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر و
قوله وكان امر الله قدرا مقدورا وذكر الراغب ان القدر هو التقدير و
القضاء هو التفصيل فهو اخص وقد قال ابو عبيدة لعمر رضي الله عنهما
حين اراد ان لا يدخل في الشام وقت الطاعون اتفر من القضا وقال
افر من قضاء الله الى قدره اي القدر ما لم يكن قضاء فمرجو ان يدفعه
الله فاذا قضى فلا وقيل القدر التقدير والقضاء الخلق قال الجزري
في النهاية القضاء والقدر امران متلازمان لا ينفك احدهما
عن الاخر لان احدهما بمنزلة الاساس والاخر بمنزلة البنا وقال
بعضهم مثل هذا بان القدر ما احد للبس والقضاء بمنزلة اللبس و
يؤيده ما ذكره الحكيم الترمذي انه كان في البدء علم ثم ذكر ثم مشيه
ثم تدبير ثم تقدير ثم اثبات في اللوح ثم ارادة ثم قضاء فاذا قال كن

فكان على المشيئة التي علم فذكر ثم شاء فدبر ثم قدر ثم اثبت ثم قضى فعلم
منه انه ما من شيء حيث استقام في العلم الازلي الى ان استقر في اللوح
ثم استبان في عالم الوجود لا يتعاق به امور من الله سبحانه وقال بعض
العارفين ان القدر كتقدير النقاش الصورة في ذهنه والقضاء كرسمه
تلك الصورة للتلميذ بالاسرب ووضع التلميذ الصبغ عليها متبعا الرسم
الاستاد هو الكسب والاختيار الجزئي وهو في اختياره لا يخرج عن رسم الاستاد
كذلك العبد في اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر ولكنه متردد
بينهما فتدبر لتعلم ان كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل لا يسئل عما
يفعل وهم يسئلون وهو اعلم باحوال خلقه منهم قال تعالى هو اعلم بكم اذ
انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم وقال عز وجل
هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن اذ لا يكفر احد بخلقه لقوله تعالى
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فالمعنى فمنكم
من هو كافر في علمه ومنكم من هو مؤمن في علمه كما في حديث خلقت هؤلاء
للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي ومن ثم قال بعض العلماء
يجب السكوت عن كيف في صفاته وعن لم في افعاله ثم اعلم ان الايمان
بالقدر على قسمين احدهما الايمان بانه استولى علمه بفعل عبيده من خير
وشر وما يجازون عليه وانه كتب ذلك عنده وامضاه وان اعمال
العباد يجري على ما سبق في علمه وكتابه وثانيهما انه تعالى خالق افعال عباده
كلها من خير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية وهذا القسم
ينكره القدرية والاول لا ينكره منهم الا قليلون وكفرهم بانكاره كثيرون
ومحل الخلاف حيث لم ينكروا العلم القديم والا كفروا كما نص عليه الشافعي

هم الذين يزعمون ان كل عبد خالق
فعله ولا يرون الكفر والمعاصي
بتقدير الله

واحمد

واحمد وغيرهما ثم الخير ما يصلح به حال الرجل او ما يرغب فيه الكل والشر بخلافه
وكل منهما اما مطلق لم يزل مرغوبا فيه كالعلم او عنه كالجهل او مقيد يكون بالنسبة
الى احد خيرا والى آخر شرا كالمال وكان الخير ضربان اخروية وهي النجاة عن العقوبة
ودخول الجنة ثم مشاهدة الجمال الاحدية ومطالعة الجلال الصمدية ودنيوية
وهي اربعة نفسانية وهي الايمان والعرفان وحسن الخلق والحكمة والعفة
والشجاعة والعدالة وجسمانية وهي الصحة وحسن الصورة وطول العمر
والعبادة وخارجية وهي المال والجاه والاهل والنسب كذلك الشر على هذه
الرتب ثم اعلم بان الايمان بالقدر يستلزم العلم بتوحيد ذات الحق لان اتيان
المقدورات واحكامها المختلفة على ما هو حقها في ازمنة وامكنة مخصوصة
يدل على توحد الحكم بتقديرها المقتضي لتوحد المقدر لها ويستلزم ايضا العلم
بصفاته كسعة علمه ورحمته على العالمين وآثار قدرته وانوار حكمته للمقدر للمخلوق
ونفوذ قضائه فيهم مطيعين او مكرمين والعلم بكمال صنعه وافعاله العلية
وان الحوادث مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان الحذر لا يقطع القدر
وقال بعض العارفين ان الله قدر وجود الكائنات بمظاهر تجلي الاسماء والصفات
فلكل ذرة من الذرات لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح والتحميد والتهليل
والتمجيد تنزيها لله وحمدا له على ما اولاه من مظهريتها للصفات الجمالية
والنعوت الجلالية فالاشياء كلها مقادير لاسماء الله وصفاته دون ذاته
فانه لا يسعها الا قلب المؤمن المنور بتجلياته في الكلام الانسي والحديث
القدسي لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن
ولذا قيل القلب عرش الرب وقال ابو يزيد قدس سره لو وقع العالم الف الف مرة
في زاوية من زوايا قلب العارف ما احس به ولعل من هنا قيل ان الانسان

هو العالم الاكبر فتدبر ولا ينظر بعين الحقارة الى الاكبر والاصغر وقد
كتب الحسن البصري الى الحسن بن علي رضي الله عنهما يسأله عن القضاء
والقدر فكتب اليه الحسن بن علي من لم يؤمن بقضاء الله وقدره خيره
وشره فقد كفر نسأل الله العافية ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر وان الله
تعالى لا يطاع استكراها ولا يعصى بغلبة لانه تعالى مالك لما ملكهم والقادر
على ما اقدرهم عليه فان عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا وان عملوا
بمعصية فلو شاء لحال بينهم وبين ما عملوا فان لم يفعل فليس هو الذي
جبرهم على ذلك ولو جبر الله تعالى الخلق على الطاعة لاسقط عنهم الثواب
ولو اجبرهم على المعصية لاسقط عنهم العقاب ولو اهملهم كان ذلك
عجزا في القدرة ولكن له فيهم المشية التي غيبها عنهم فان عملوا بالطاعة
فله المنة عليهم وان عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم والسلام قال
صدقت قيل يؤخذ من هذا الحديث تكفير القدرية بانكار القدر لانه
جعل الايمان به من جملة اركان الدين التي يكفر منكر واحد منها ويشهد له
تبري ابن عمر منهم وخبر القدرية مجوس هذه الامة والاشبه عدم
كفرهم لتعارض شبه عندهم فلهم نوع عذر انتهى والمختار الذي عليه جمهور
المتكلمين والفقهاء من اتباع المجتهدين انه لا يكفر احد من المخالفين الا
بانكار ما كان من ضروريات الدين كفناء العالم وحشر الاجساد في
المعاد وعلمه تعالى بالجزئيات والكليات بخلاف ما اذا لم يكن من ضروريات
كقول المعتزلة ان الشر غير مراد له سبحانه وان القرآن مخلوق وامثاله
الا اذا اريد بالمخلوق المختلق فان قائله حينئذ يكفر بلا خلاف وذلك
التفصيل لان الجهل به تعالى من بعض الوجوه ليس بكفر هذا واعلم ان

الايمان

الايمان لا يشترط فيه الاستدلال والبرهان بل يكفي اعتقاد جازم في ذلك
العرفان اذ المختار الذي عليه السلف والائمة الاربعة واتباعهم من الخلف
صحة ايمان المقلد واما نقل منع الصحة عن الاشعري امام السنة فكذب
عليه كما قال الاستاذ ابو القاسم القشيري وايضا لما فتح الصحابة رضي الله عنهم
اكثر العجم قبلوا ايمان عوامهم كاجلاف العرب من اقوامهم وان كان
بعضهم تحت السيف او اسلم تبعا لغيره ولم يأمروا احدا اسلم بترديد نظره
ولم يسألوه عن دليل تصديقه واما خلاف الباقلاني والاسفرائني و
ابي المعالي فمبني على المتابعة لما ابتدعه المعتزلة ومن الهذيان انه يشترط
لصحة الايمان ما لم يعرفه هؤلاء الاعيان وهم الذين فهموا عن الله واخذوا
عن رسوله واثبتوا سنته وطريقته وبلغوا شريعته واما البراهين
التي حررها المتكلمون ورتبها الجدليون فانما احدثها المتأخرون ولم يخض في
شيء منها السلف الصالحون ومن ثم اختار الغزالي وغيره ان الذين لا اطلاع
فيهم لفهمها انهم لا يخوضون فيها اي يحرم ذلك عليهم مخافة ان يقعوا في
شبهة لا يمكن ازالتها عنهم ولذا قال الشافعي لان القى الله بجميع المعاصي ما عدا
الكفر اهون علي من ان القاه بشيء من علم الكلام هذا مع انه يقل ان يرى مقلد
في الايمان بالله سبحانه لانا نجد كلام العوام محشوا بالاستدلال في مقام
المرام واما ما نقل بعضهم من ان الاجماع على تأثيم المقلد بترك الاستدلال
فمحمول على الاستدلال بالآيات المنصوبة في الآفاق والانفس واختلاف
الاحوال التي هي ظاهرة عند ارباب الكمال بل واضحة عند الكفار والجهال
اما ترى قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
وقالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض ثم اعلم ان جمعا من الحنفية

ذهبوا الى ان الايمان غير مخلوق وبالغ جمع منهم فكفر من قال بخلقه
ولعله مبنى على ان التصديق لم يحصل الا بالتوفيق او بما اثبت الله في مقام
التحقيق كما قال الله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وانما ينسب الى العبد اسنادا
مجازيا حيث دخل تحت كسبه مما يسمى اختيارا جزئيا فيكون نظير قوله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى فالايمان من حيث انه فعل الله غير مخلوق بل هو فيض
وهبي ومن حيث انه دخل تحت اكتساب قلب العبد فهو امر كسبي وهذا قريب
من اصطلاحات الصوفية في مقام الجمع والتفرقة وهذا القول مما انفرد به
ابو حنيفة من السلف الصالحين بل نقله الاشعري عن احمد وجماعة من
المحدثين ومال اليه لكن وجهه بان المراد بالايمان حينئذ ما دل عليه وصفه
تعالى بالمؤمن فان ايمانه هو تصديقه في الازل بكلامه القديم بوجوده ووحدانيته
وليس تصديقه هذا محدثا ولا مخلوقا تعالى ان يقوم به حادث بخلاف
تصديقه لرسله باظهار المعجزة فانه من صفات الافعال وهي حادثة عند
الاشاعرة قديمة عند الماتريدية انتهى ولا يخفى بعدهم عن قصد هذا المعنى
لان ما دل عليه وصفه تعالى بالمؤمن فهو غير مخلوق قطعا ثم الايمان
باق حكما شرعيا مع النوم والغفلة والاغماء والجنون وغلبة الحال ونظير
ذلك بقاء حكم النكاح ونحوه من العقود في هذه الاحوال هنا وقد منع جماعة
من العلماء الاعلام ومنهم ابو حنيفة واصحابه الكرام ان لا يقول احد انا مؤمن
ان شاء الله واجازه الكثيرون قال السبكي وهم اكثر السلف من الصحابة
والتابعين ومن بعدهم من الشافعية والمالكية والحنابلة ومن المتكلمين
الاشاعرة وهو قول سفيان الثوري وقال المص وفي شرح مسلم عن اكثر
اصحابنا المتكلمين ان لا يقول انا مؤمن مقتصرا عليه بل يضم اليه

ان شاء الله

كالخالقية والرازقية فان الاشعرية يردون ذلك الى صفة القدرة

اي باعتبار ظهور الخلق ومتعلق الرزق

ان شاء الله واجازه وغيره التخيير وهو حسن اذ من اطلق نظر الى انه
جازم في الحال ومن قال ان شاء الله اما للتبرك او للجهل بخاتمة الاعمال قال ابن حجر و
وجه جوازه انه ليس لقصد بالاستثناء فيه الا التبرك اتباعا لقوله تعالى ولا
تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فانه يعم طلب الاستثناء حتى في قطعي
الوصول وقد صرح به في لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله مع ان خبره تعالى
قطعي التصديق تعليما للعباد في صرف الامور كلها الى مشيئته انتهى ولا يخفى
انه خلط بين الاستثناء بالتعليق المستفاد من الاية الاولى عند قصد
فعله او وعده بقوله في زمن الاستقبال وهو مما لا يخالف فيه احد من ارباب
الكمال وبين الاستثناء المتبرك الذي يقال في قطعي الحصول كما في الاية الثانية
ايماء بانه لا يجب عليه شيء من الافعال وانما الكلام فيما يكون ذا وجهين متحقق
في الحال وقابل الزوال في الاستقبال وان الاولى ماذا من الاقوال والظاهر انه
لا يستثنى ليكون الجواب على طبق السؤال اذ السائل ما قصد بسؤاله الا اتصافه
بالايمان في زمان الحال اذ من المعلوم ان احدا لم يطلع على المآل وكذا لا يحسن
الاستثناء عرفا في قطعي الوقوع اصلا لانه اذا سئل انت مكي او مدني او جائع او
عطشان او شاب او طويل لا يقال ان شاء الله وكذا اذا سئل ان الرب واحد او محمد
نبي فلا يقال نعم ان شاء الله لا يحصل التردد في تصديقه والشك في تحقيقه و
لذا قيل في توجيه منعه ان تركه ابعد عن التهمة بعدم الجزم في الحال وتقدير انه
قصد غير التعليق فربما اعتادت نفسه التردد في الايمان لكثرة اشعار النفس
بواسطة الاستثناء بتردده في ثبوت الايمان واستمراره انتهى واجاب عنه ابن
حجر بما لا طائل تحته فتدبر ولعل ما صدر من الاستثناء عن بعض السلف مبني
على كثرة خوفه ان لا يكون داخلا في المنافقين حيث قال تعالى ومن الناس من يقول

امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين ومن ثم قال البخارى عن ابن
ابى مليكة ادركت ثلاثين صحابيا كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم
من احد يقول ان ايمانه على ايمان جبريل وميكائيل لان ايمانهما مقطوع بهما
لعصمتهما واما غير المعصوم فهو غير جازم الا بحسب الظاهر لان تحقق السابقة
واللاحقة غير معلوم الا عند المطلع على السرائر ولذا لما سئل ابو يزيد الحسنات
احسن او ذنب كلب فقال ان مت على الايمان فهى احسن منه والا فرب
الحيوان خير منها وعند الشافعية خلاف غريب فى الكافر فقال بعضهم يقال
هو كافر ولا يقال ان شاء الله ومنهم من يقول هو كافر ان شاء الله قال
فاخبرنى عن الاحسان اى فى الاتيان باعمال الاركان او المراد به ايقان
الاسلام والايمان او الاخلاص فانه غاية الاستحسان حيث قيل
الاخلاص تصفية العمل من طلب عوض وكسب غرض وتخليصه من رياء
وسمعة ولو طرا وعرض وابعد ابن حجر حيث قال الفيه للعهد الذهنى
المذكور فى الايات الكثيرة من القران نحو للذين احسنوا الحسنى وهل
جزاء الاحسان الا الاحسان انتهى ولا يخفى ان المراد بالحديث المعنى الاخص
من افراد الاحسان كما لا يخفى على ارباب العرفان وكما سياتى فى جواب جبريل
ما يكون شافيا كافيا فى ميدان البيان ودالا على انه اراد به مقام المشاهدة
او المراقبة على التنزل فى الامكان قال ان تعبد الله كانك تراه يعنى فى غاية
الخضوع ونهاية الخشوع كما يقتضيه مقام الادب عند شهود الرب والمعنى
حال كونك مشبها بمن ينظر الى الله ولم يلتفت الى ما سواه فيكون فانيا
عن نفسه باقيا ببقاء مولاه وهذا من جوامع الكلم فان العبد اذا قام بين يدى
سيده معاينا له وفى حضرته لم يترك شيئا من تحسين عمله فى خدمته مما

قدر عليه

قدر عليه فى حالته وهذا المعنى موجود فى عبادة العبد مع عدم رؤية
الله فينبغى ان يعمل بمقتضاه فان لم تكن تراه اى مثل الرؤية المنعوتة فانه يراك
اى فكن بحيث انه يراك او فلا تغفل فى العمل فانه يراك ففيه الحث على الاخلاص
فى الاعمال ومراقبة العبد ربه فى جميع الاحوال قال القشيرى ولم يتم المراقبة الا
بعد تحقق المحاسبة وقال بعض العارفين الاول اشارة الى مقام المكاشفة
ومعناه اخلاص العبودية عن رؤية الغير المعبر عنها بالاثنينية بنعت
ادراك القلب عيان جمال ذات الرب والثانى الى مقام المراقبة فى الاجلال وحصول
الحياء من العلم باطلاع ذى الجلال وهاتان الحالتان من ثمرة معرفة الله وخشيته
ولذا جاء فى خبر ان تخشى الله كانك تراه فعبر بالخشية عن العمل مجازا عن المسبب
باسم السبب او الحالة الخشية اعم من حالة العبادة فينبغى ان يكون السالك
دائما على ذلك المنوال فانه المقام الكمال ولا يبعد ان يقال معنى تعبد الله تكون
عبدا له فى جميع الاحوال بوصف الخشية فى الحال والمال لتنال حسن المال
وقد سئل ابن عطاء ما افضل الطاعات فقال المراقبة لله على دوام
الاوقات والحاصل ان الخلق يراقبون ظاهرك والله رقيب باطنك هذا
وليس معناه فان لم تكن تعبد الله كانك تراه فاعبده كانك يراك فانه خطأ
بين لا يخفى على ذوى الادراك واما ما توهمه بعض الصوفية من ان المعنى
فان لم تكن بان تكون فانيا تراه باقيا فلا يساعده اثبات الالف فى تراه مع عدم
ملايمته بما بعده من قوله فانه يراك وانما لم يقل ههنا صدقت لان الاحسان
هو الاخلاص وهو سر من اسرار الله تعالى لا يطلع عليه ملك مقرب
ولا نبى مرسل كما جاء فى الحديث المسلسل الربانى الاخلاص سر من اسرارى استودعته
قلب من احببت من عبادى كذا قيل وفيه بحث ظاهر فالاولى ان يقال انه سقط

المراقبة استدامة علم العبد
باطلاع الرب عليه فى جميع احواله
تعريفات

من بعض الرواة نسياناً واختصاراً لانه في بعض روايات صحيح مسلم وشرح السنة
مسطور واما ما وقع في شرح ابن حجر هنا من قوله قال صدقت فلا يوجد في اصل
من الاصول المعتمدة ولا في نسخة من الشروح المعتبرة نعم رواه الترمذي في جامعه
وفيه صدقت في المواضع الثلاثة وقيل النكتة في تركه على الاصح من الرواية انه
لما صدقه في البعض علموا تصديقه له في الباقي واما ما قيل من ان في الحديث
دلالة على ان رؤيته تعالى ممكنة فمردود عليه فان كاف التشبيه في المبنى يمنع عن
ارادة هذا المعنى واما تقرير ابن حجر قوله وتقييده بقوله وامكانها في
الدنيا عقلا هو الحق ففيه انه ليس الكلام في الامكان العقلي والحديث الذي
هو المعتمد في الدليل النقلي يشير الى انه لا يمكن في الدنيا بل انه مختص تحققه
بالعقبى نعم جزاء هذا الاحسان الذي هو المشاهدة والمراقبة ليس الا الاحسان
في الجنة بالرؤية والزلفة كما يشير اليه قوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان
قال فاخبرني عن الساعة اي قيام الساعة كما صرح به في رواية مسلم
اي وقت وقوع القيمة وهي جزء من اجزاء الازمنة عبر بها عنها وان طال
زمنها اعتبارا باول حالها فانها تقع بغتة او لسرعة حسابها او على العكس
لطولها وهذا باختلاف احوال اهلها او لانها عند الحق كساعة عند الخلق و
ليس المراد بها الساعة المتعارفة عند اهل الهيئة وهي جزء من اربعة وعشرين
جزء من اجزاء الليل والنهار ثم انها كما يطلق على القيمة وهي الساعة الكبرى
يطلق على موت اهل القرن الواحد من المدن والقرى ويسمى الساعة
الوسطى كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين سالوه عن الساعة فاشار الى
اصغرهم ان يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم اذ المراد
به انقضاء عصرهم ولذا اضاف اليهم وعلى موت كل واحد وهي الساعة
الصغرى

الصغرى ومنه حديث من مات فقد قامت قيامته ثم الساعة الكبرى
قد يراد بها القيمة كما هنا وهي بالنفخة الثانية وقد يراد بها النفخة الاولى فانها
ايضا تقع بغتة في ساعة واحدة حتى من تناول اللقمة لا يقدر على بلعها وهو
المراد بقوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها
قال ما المسؤل عنها اي عن وقتها والعائد الى اللام هو المستتر فيه اذ يقال سالت
المسالة عن زيد وسالت عنها زيدا اي ليس الذي سئل عن الساعة باعلم
من السائل اي عنها نفي ان يكون صالحا لان يسال عنه في امر الساعة لانها
من مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو على سبيل الكفاية لما عرف ان المسؤل عنه
يجب ان يكون اعلم من السائل فلا يقال لا يلزم من نفي الاعلمية نفي اصل
العلم عنهما مع انهما متساويان في عدم العلم بها وسياق الكلام يقتضي ان
يقول لست اعلم بعلم الساعة منك لكنه عدل عنه ليفيد العموم لان
المعنى كل سائل ومسؤل متساويان في هذا الامر المجهول هذا خلاصة ما
حققه الطيبي فان قلت فلم سال جبريل عنها مع علمه بان غيره تعالى لا يعلمها
فالجواب انه لتنبيههم بذلك على انه ليس له الجواب عما لا علم له به في هذا الباب
وعلى عدم الاستنكاف من قول لا ادري الذي هو نصف العلم كما نبههم
بما له الجواب عنه مما قد سلف له بحسن السؤال الذي هو نصف العلم
فتم على الوجه الاحكم والله اعلم وقد روي عن علي كرم الله وجهه و
ابردها على كبدي اذا سئلت عما لا اعلم ان اقول لا اعلم وقال بعض السلف
اذا اخطا العالم فقال لا ادري فقد اصيبت مقالته وقد قالت الملائكة
لا علم لنا الا ما علمتنا ويقول الرسل لا علم لنا وسئل النبي صلى الله عليه وسلم
اي بقاع الارض افضل فقال لا ادري حتى اسال جبريل فسال له فقال لا ادري

حتى اسال الله ثم ذهب فاتاه جبريل فقال ان الله عز وجل يخبرك ان خير
بقاع الارض المساجد وشر بقاعها الاسواق رواه البزار وسال النبي صلى
الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن معنى قوله تعالى خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال لا ادري ثم ذهب فجاءه فقال ان الله يامرك
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وسئل مالك
عن اربعين مسالة فاجاب في اربعة وقال في ست وثلاثين لا ادري قال
فاخبرني عن امارتها بفتح الهمزة اي علامتها ويقال امار بلا هاء لغتان
لكن الرواية بالهاء قاله المص وفي نسخة عن اماراتها فافردها واراد جنسها اي
علاماتها الدالة على اقترابها قال ان تلد الامة ربتها اي سيدتها او سيدها
والتانيث باعتبار النفس فيشمل بنتها وابنها وفي رواية ربها اي سيدها
وفي اخرى بعلها بمعنى ربها ومنه قوله تعالى اتدعون بعلا التذكير باعتبار
البعل رب الشي ومالكه ق
الشخص فيشمل جنس ولدها ولدا قيل المعنى مالكها ومولاها لاجل انها
سبب عتقها او مولاها بعد سيدها وعدم تانيثها لاجل الادب مع الله
سبحانه وهذا اشارة الى قوة الاسلام والمسلمين واستيلائهم على
الكفرة والمشركين فتكثر السراري حتى تلد السرية بنت سيدها وهي في حكم
سيدها او هي من علامات القيمة لان بلوغ الغاية منذر بالانحطاط
المؤذن بقيام الساعة وقيل اشارة الى كثرة بيع السراري لفساد الزمان
وفسق اهلها حتى يستعبد المرء امه جاهلا بحالها وقيل عبارة عن كثرة
العقوق واضاعة الحقوق فيعامل الولد امه معاملة السيد امته من
المهنة والمهانة ويلايمه رواية ان تلد المراة وخبر لا تقوم الساعة حتى يكون
الولد غيظا والمال فيضا وكناية عن كثرة بيع السراري حتى يتزوج الانسان

امه

امه وهو لا يدري ويناسبه رواية بعلها بمعنى زوجها والتحقيق
ما ذكره الطيبي من انه اشارة الى ان الاعزة تصير اذلة لان الام مربية
للولد ومدبرة لامره فاذا صار الولد ربا سيما اذا كان بنتا انقلب الامر كما ان
القرينة الاتية تدل على عكس هذه القضية وهي ان الاذلة ينقلبون اعزة
فيتلايم المعطوفان انتهى ويؤيده ما ورد من انه اذا ضيعت الامانة و
وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة قال المولف قوله ربتها اي سيدتها
ومعناه ان يكثر السراري حتى تلد الامة السرية بنتا لسيدها وبنت
السيد في معنى السيد وقيل يكثر بيع السراري حتى تشتري المراة امها
ويستعبدها جاهلة بانها امها وقيل غير ذلك وقد اوضحته في شرح مسلم
بدلائله وجميع طرقه وان ترى اي تبصر او تعلم خطاب عام ليدل على بلوغ
الخطب مبلغا لا يختص به روية راء دون غيره الحفاة بضم الحاء جمع حاف
وهو من لا نعل في رجله العراة بضم اوله جمع عار وهو من لا شي على جسده كذا
ذكره ابن حجر والظاهر ان المراد بهم العراة العرفية وهم الذين ليس لهم
ما عدا ستر العورة العالة بتخفيف اللام جمع عائل من عال افتقر اي
الفقراء واصله عولة بفتحتين ومنه قوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى
قال المص قوله العالة اي الفقراء ومعناه ان اسافل الناس يصيرون اهل
ثروة ظاهرة رعاء الشاء بكسر الراء وبالالف الممدود جمع راع والشاء اسم
جنس للشاة والمعنى حفاظ الغنم وفي رواية لمسلم رعاء البهم بضم الموحدة
جمع بهمة بفتحها صغار الضان والمعز وفيه غاية التحقير بحالهم وفي
اخرى للبخاري رعاء الابل البهم بضم اوله جمع بهيم بمعنى الاسود الصرف
على انه نعت للمضاف او المضاف اليه فان قيل القضية متحدة لا متعددة فكيف

الجمع بين الروايات المختلفة فالجواب انه صلى الله عليه وسلم جمع بينها
فنقل كل راو ما ثبت عنده حفظها او حدث الاختلاف بسبب نقل المعنى
عند نسيان المبنى او بتداخل الروايات فى المسندات يتطاولون فى البنيان
يتفاضلون فى رفعه ويتفاخرون فى حسنه وهو مفعول ثان ان جعلت الروية
فعل البصيرة او حال ان جعلتها فعل الباصرة والمعنى ان اهل البادية واشباههم
من اهل الفاقة تبسط لهم الدنيا فيتوطنون البلاد ويبنون القصور المرتفعة
ويباهون العباد فهو اشارة الى تغلب الارذال وتذلل ارباب الكمال وتولى الرياسة
من لا يستحقها وتعاطى السياسة من لا يحسنها ومن ثم صح من اشراط
الساعة ان توضع الاخيار وترفع الاشرار وصح ايضا فى الاخبار لا يقوم
الساعة حتى يكون اسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع اى لئيم بن لئيم وبالغ فى رواية
فى تحقيرهم فوصفهم بانهم صم بكم اى جهلة لا يسمعون كلام الحق ولا يتكلمون
بالصدق ولعل تخصيص الامارتين من بين الامارات مع كثرة العلامات
عليها ورد فى الروايات بجهالة خطبهما ونباهة شانهما وقرب وقوعهما ثم انطلق
اى ذهب الرجل فلبثت اى مكثت وتوقفت لا ادرى من الرجل مليا بفتح
فكسر فتشديد تحتية اى وقتا طويلا وهو ثلاثة ايام كما فى رواية داود و
الترمذى قال المؤلف قوله مليا هو بتشديد الياء اى زمانا كثيرا وكان
ذلك ثلاثا هكذا جاء مبينا فى رواية ابى داود والترمذى وغيرهما
انتهى وهذا مخالف لرواية ابى هريرة من انه صلى الله عليه وسلم ذكره فى
المجلس اللهم الا ان يقال ان عمر لم يحضر فى الحال بل قام فاخبر الصحابة ثم
اخبر عمر بعد ثلاثة ذكره فى شرح مسلم على ما نقله بعض الشراح وحديث ابى
هريره هو قوله فادبر الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ردوه فاخذوا ليردوه

فلم يروا شيئا فقال هذا جبريل الحديث وقال ابن حجر وفى رواية ابى
داود والترمذى وغيرهما انه لبث ثلاثا وظاهره انها ثلاث ليال
انتهى وهو مخالف لما نقل عن شرح مسلم ثم انه جعل لبث فى حديث الاربعين
اصلا ثم قال وفى رواية فلبثت اخبارا عن نفسه وهو مخالف لما عليه النسخ
المصححة اذ كلها بلفظ المتكلم ثم رايت فى شرح الفاكهانى قال الشيخ محى الدين
هكذا ضبطناه لبث اخره ثاء مثلثة من غير تاء وفى كثير من الاصول المحققة
لبثت بزيادة تاء المتكلم وكلاهما صحيح انتهى ولا يخفى انه يشير الى ان ضبطه مخالف
لسائر الاصول فى متن مسلم ولعله اعتمد فى اربعينه هذا على ما اتفقوا عليه
لانه اصح مبنى واوضح معنى واما لبث بصيغة الماضى الغائب فيحتاج الى
تكلف بان يقال فيه التفات او ضميره الى جبريل او النبى صلى الله عليه وسلم
والكل بعيد فالاول هو النقل السديد ثم قال اى النبى صلى الله عليه وسلم
يا عمر اتدرى من السائل قلت الله ورسوله اعلم لان الامارات السابقة
والتعجب فى الحالة اللاحقة اوقعه فى التردد اهو بشر ام ملك وهذا القول
يكفى فى الشركة على ان اسم التفضيل كثيرا يراد به اصل الفعل مع ما يقتضيه مقام
الادب من التفويض الى علم الرب ثم الى رسوله ليتوصل به الى حقيقة سؤله
وحقية ماموله فان ادب التلميذ اذا ساله استاذه عن شئ يعلم ان يقول
فى جوابه انت اعلم فان سماع الحكمة من لسان لقمان اجلى واحكم قال فانه جبريل
جزاء شرط مقدر اى اذا كلمتم العلم وفوضتم الامر الى الله ورسوله و
راعيتم الادب فى جواب سوله فان ذلك الرجل جبريل على تاويل الاخبار اى
تفويضكم ذلك سبب الاخبار بانه جبريل هنالك وقرينة المحذوف قوله
الله ورسوله اعلم فالفاء فصيحة لانها تفصح عن شرط مقدر فتدبر ووقع

في اصل ابن حجر قال هذا جبريل وهو مخالف للاصول المعتمدة ومتون الشروح
المعتبرة ومع كونه ليس من الرواية لا وجه له من جهة الدراية ثم اعلم ان
جبريل بكسر الجيم والراء اشهر الروايات واكثر القراءات ومنها فتح الجيم وكسر الراء
ومنها فتحهما مع زيادة همزة بعدها وبدونها اتاكم جاءكم قيل كان ذلك قبل موته
عليه السلام يعلمكم دينكم وفي رواية ابن حبان يعلمكم امر دينكم اي يقرر امر دينكم بطريق
السؤال والجواب فيتمكن في النفوس اشد التمكن في مقام الصواب لان الحصول
بعد الطلب اعز من المنساق من غير التعب واشار الى ان الاسلام والايمان
والاحسان هو الدين الكامل من بين الاديان هذا وجبريل ملك متوسط بين الله
ورسله ومن خواص الملك ان يتمثل للبشر فيراه جسما قاله البيضاوي قال
بعض المحققين والسر في التوسط ان المكالمة يقتضي المناسبة بين المتخاطبين
فاقتضت الحكمة توسط جبريل ليتلقف الوحي بوجهه الذي في عالم القدرة من
الله سبحانه تلقفا روحانيا من اللوح ويلقيه بوجهه الذي في عالم
الحكمة الى صاحب النبوة فربما يتنزل الملك الى الصورة البشرية وربما يترقى
النبي الى الرتبة الملكية ويتعرى عن الكسوة البشرية فيرد وحي الرب على القلب
في لبسة الجلال وابهة الكبرياء ويأخذ بمجامعه فاذا سري عنه وجد المنزل
ملقى في الروع كما في المسموع وهذا معنى قوله يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو
اشد علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل الي الملك رجلا فيكلمني
فاعي ما يقول رواه مسلم ورواه البخاري ايضا في كتاب الزكوة لكن مع تغيير
يسير لان ظاهر رواية البخاري انه لم يعرفه الا في اخر الامر وورد ما جاءني
في صورة لم اعرفها الا في هذه المرة وفي حديث صحيح لابن حبان والذي
نفسي بيده ما شبه علي منذ اتاني قبل مرته هذه وما عرفته حتى ولى ثم لم يخرج

البخاري

لقفه تناوله بسرعة ق

البخاري عن عمر فيه شيئا وانما اخرج هو ومسلم عن ابي هريرة نحوه
فالحديث متفق عليه معنى وكان الاولى ان المصنف يذكر ما اتفقا
عليه عن ابي هريرة والله اعلم بقصده في هذا المبنى وهذا الحديث متفق
على عظم موقعه وجلالته وكاد ان يكون مدار الاسلام عليه وهو حقيق
بان يسمى ام السنة كما سميت الفاتحة ام القران لتضمنها جمل المعاني
المندرجة في مفصل المباني ومن ثم قيل لو لم يكن في هذه الاربعين بل في سنن
سيد المرسلين غيره لكان كافيا باحكام الشريعة وشافيا لقواعد الطريقة
والحقيقة والله سبحانه اعلم قال ابرهيم الخواص ليس العلم بكثرة الرواية و
انما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنة وان كان قليل العلم

الحديث الثالث عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن
الخطاب رضي الله عنهما توفي بمكة وهو ابن اربع وثمانين بعد ابن الزبير
بثلاثة اشهر وقبره معروف قال ابن سيرين كانوا يرون انه اعلم الناس
بالمناسك بعد ابن عفان وقال ابو اسحق الهمداني كنا عند ابن ابي ليلى
في بيته فجاءه ابو سلمة بن عبد الرحمن فقال عمر كان عندكم افضل ام ابنه فقالوا
لا بل عمر فقال ابو سلمة ان عمر كان في زمان له نظراء وان ابن عمر كان في زمان ليس له
نظير روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الفي حديث وستمائة وثلاثين حديثا كان
واسع العلم كثير الاتباع وافر الصلاح كثير الزهد في الدنيا اعتزل الفتنة فلم
يقاتل مع علي ولا مع معاوية ودعائه لما بانت الفئة الباغية ندم على عدم
قتاله مع علي كرم الله وجهه قيل وذكر له الخلافة يوم التحكيم فقال بشرط
ان لا يجري فيها محجم دم فروى عنه عمرو بن العاص لما راى انه لا يوليه شيئا ان استخلف
ويكفي من مناقبه ما روته اخته حفصة ام المؤمنين عنه صلى الله عليه وسلم

اولعه به اغراه

انه قال ان عبد الله رجل صالح لو انه يقوم الليل فلم يترك قيامه بعد
وقال جابر ما منا الا من نال من الدنيا ونالت منه الا عمر وابنه واولع
بالحج ايام الفتنة وبعدها قيل حج ستين حجة واعتمر الف عمرة وحمل على الف فرس
في سبيل الله قال نافع مولاه اعتق الف رقبة وازيد وكان ارقاؤه يقبلون
على الطاعة ويلازمون المسجد والعبادة ليعتقهم فقيل له انهم يخدعونك
فقال من خدعنا بالله انخدعنا له وروى ابن الزناد عن ابيه قال اجتمع في الحجر
مصعب وعروه وعبد الله ابناء الزبير وعبد الله بن عمر فقالوا تمنوا فقال عبد الله
بن الزبير اما انا فاتمنى الخلافة وقال عروه اما انا فاتمنى ان يؤخذ عني العلم وقال
مصعب اما انا فاتمنى امرة العراق والجمع بين عايشة بنت طلحه وسكينه
بنت الحسين وقال ابن عمر اما انا فاتمنى المغفرة قال فنالوا كلهم ما تمنوا ولعل
ابن عمر قد غفر له وسبب موته ان الحجاج سنه عليه حين قال له ابن عمر
بعدما اخر الصلوة جدا ان الشمس لا تنتظرك فقال لقد هممت ان
اضرب الذي فيه عيناك فقال له عبد الله ان تفعل فانك سفيه مسلط
فتغيظ عليه فامر رجلا فسم زج رمحه فزحمه في الطواف ووضع الزج على قدمه
فمرض اياما ولما دخل الحجاج يعوده فساله عن الفاعل فقال وما تصنع به قال
قتلني الله ان لم اقتله ابن عمر قال لست بفاعل قال ولم قال لانك الذي امرت به
وروى عنه انه قال قتلني الذي امر بادخال السلاح الحرم ولم يكن يدخل به
فاوصى ان يدفن في الحل فلم تنفذ هذه الوصية لاجل الحجاج فدفن بذي طوى
في مقبرة المهاجرين وقيل بفخ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول جمله حاليه بني الاسلام اي اسس الانقياد الشرعية والاستسلام
للحقيقة على خمس اي خمس قوائم او دعائم وصرح به عبد الرزاق في روايته

اوخصال

اوخصال او قواعد وفي بعض الروايات على خمسة بالتاء وهي رواية لمسلم
اي اركان او اشياء او اصول ويقال انما حذف التاء لان اسماء العدد انما
يكون تذكيرها بالتاء وتانيثها بسقوط التاء اذا كان المميز مذكورا اما اذا لم
يذكر فيجوز فيها الامران كما صرح به النحاة في قوله تعالى يتربصن بانفسهن اشهر و
عشرا اي عشرة ايام وكحديث من صام رمضان واتبعه ستا من شوال
كان كمن صام الدهر كله ففي الحديث يجوز من جهة النحو وجود التاء وعدمها
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله بجر الشهادة مع
ما بعدها على انه عطف بيان او بدل الكل من الكل وهو الاحسن وقال الكازروني
هو الرواية ويجوز رفعه بتقدير مبتدا اي احدها او بحذف خبر اي منها
وهذا اولى لان المختار عند تعارض حذف المبتدا والخبر عند النحاة حذف
الخبر قال الكافيجي ويجوز النصب بتقدير اعني قال الحسن رضي الله عنه في مجمع
شهود جنازة للفرزدق ما اعددت لهذا المقام فقال شهادة ان لا
اله الا الله منذ كذا فقال الحسن هذا العمود فاين الاطناب فهو تمثيل
شبه الاسلام بخيمة عمودها كلمة التوحيد واطنابها الاعمال الصالحة
وفي رواية للبخاري تعليقا ايمان بالله ورسوله وهي اظهر في العمودية
اللهم الا ان يقال المراد بالاسلام هو الايمان وبالخمسة اركان
الاسلام فيكون تشبيها للمعقول بالمحسوس لانه اوقع في النفوس فشبه
بحالة خباء اقيمت على خمسة اعمدة وقطبها الذي يدور عليها الاركان
هو الشهادة وبقية شعبه بمنزلة الاوتاد فيكون الايمان مغايرا للاركان
كمغايرة الخباء للعمود والاوتاد واقام الصلوة اصله اقوام فحذف الواو
لنقل حركتها الى ما قبلها وقلبها واجتماع الساكنين عندها وعوض التاء

عنها وتركت تخفيفا عند المضاف اليه لقيامه مقامها واما ما قيل من انه
مصدر فغير صحيح وكذا ما ذكره ابن حجر من انه حذفها للازدواج خارج عن
المنهاج وايتاء الزكوة اى اعطائها مستحقيها وتمليكها اياهم وحج البيت
بفتح الحاء وكسرها لغتان مصدران وصوم رمضان هكذا رتبت العبادات
كما فى سائر الروايات وفى رواية بتقديم الصوم على الحج وهو محمول على ان ابن عمر
رضى الله عنهما سمع الحديث مرتين فرواهما فى وقتين او روى بعض الرواة
بالمعنى اذ الواو لمجرد الجمع فى المبنى والاو رمضان فرض فى شعبان فى السنة الثانية
من الهجرة والحج سنة ست او تسع بالمثناة فوق والظاهر ان المراد بهن جميع
ما تعبد الناس فى ابدانهم واموالهم لان العبادة اما بدنية محضة كالصلوة
او مالية محضة كالزكوة او مركبة منهما كالحج اوكالاخيرين لدخول التكفير
بالمال فيهما واما عدم ذكر الجهاد لانه غالبا فرض كفاية على العباد بل ذهب
جماعة كثيرة الى ان فرض الجهاد قد سقط بعد فتح مكة المشرفة على ما صرح
به القرطبى وذكر انه مذهب ابن عمر والثورى وابن سيرين الا ان ينزل العدو
بقوم من العباد او يامر الامام بالجهاد والله اعلم ثم اعلم ان هذا تعريف الاسلام
الكامل عند اهل السنة والجماعة فمن تركها ولو كلها ما عدا الشهادة على
خلاف فرضيتها فاسق على ما ثبت به عند الجمهور من الجمع بين ادلة الكتاب والسنة
وخالف احمد واخرون فاخذوا بظاهر خبر مسلم بين الرجل وبين الشرك
والكفر ترك الصلوة وحديث من ترك صلوة متعمدا فقد كفر فكفروا
تاركها مطلقا اى سواء استحل تركها او انكر فرضيتها ام لا وبالغ اسحق فقال
عليه اجماع اهل العلم وقال غيره عليه جمهور اهل الحديث واجرت طائفة
ذلك فى الاركان الثلاثة ايضا وهو رواية عن احمد اختارها طائفة من اصحابه

وبعض

مطلب
تاريخ فرضية الصوم والحج

وبعض المالكية ثم اعلم ان لكل من تلك الاركان احكاما ظاهرية تبين تفاصيلها
فى الكتب الفقهية ولها انوار وحقائق واسرار ودقائق ذكرها ارباب
القلوب من الطائفة الصوفية اما التوحيد فسيجى بعض بيانه فى محل
اليق بشانه واما الصلوة فقد قيل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
معراجان فى عالم الحس وهو من المسجد الحرام الى الاقصى ثم الى عالم الملكوت و
مقام دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ومعراج فى عالم الارواح والاسرار
من الشهادة الى الغيب من الغيب الى غيب الغيب وهكذا الى ان ينتهى الى نور
الانوار وروح الاسرار فلما اراد صلى الله عليه وسلم ان يرجع الى هذا
العالم قال الرب تعالى المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه وان تحفة
امتك الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسمانى بالافعال والروحانى •
بالاذكار ولذا ورد الصلوة معراج المؤمن فالاركان السبعة وهى القيامان
والركوعان والسجودان والقومة بين الركوع والسجدة على مثال الطباق
السبع والقعود للتشهد مطلع شمس الشهود ومنتهى سر الوجود فاذا
وصل الى ذلك المقام وانتهى الى عتبة جلال الملك العلام يقول التحيات
لله باللسان والصلوات بالاركان والطيبات بقوة الايمان فعند ذلك
تتلاقى روحه بروح محمد صلى الله عليه وسلم فيقول السلام عليك ايها النبى
ورحمة الله وبركاته فيجيبه بقوله على لسانه اظهارا لعلو شانه
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكانه فى تلك الحالة يتم تلك هذه
المقامة فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد
ان محمدا عبده ورسوله ثم اتحف محمدا بالصلوة عليه ثم دعا الله وتضرع
اليه ثم سلم على الملائكة الكرام ومن حضره من الخواص والعوام واما الصوم

فى الطريقة هو الامساك عما حرم الله على عبده والافطار بما اباح له فى حكمه
وفى الحقيقة هو الامساك عن الاكوان والافطار بمشاهدة الرحمن واما
الزكوة فهى اشارة الى تزكية احوال الظاهر والباطن بترك الاموال وصرفها
الى اسباب الوصال وتخلية القلب عن الاغيار وتجلية الخاطر لظهور تجليات الانوار
واما الحج فهى الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن المالوفات والتوجه
الى الله بصفاء الطويات والوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة
والتقرب فى المزدلفة الى مقام الزلفة ورمى ما بين يديك من السوى
فى وصول المنى وقطع تعلق الخلق بالقصر والحلق ليحصل محو الاثار النفسية
بموسى الانوار القدسية ثم الطواف بالخروج عن الاطوار السبعية بالاشواط
السبعية حول كعبة الربوبية والسعى بين الصفات ومروة المروات وقس
عليه سائر المناسك ولله در القائل الناسك يا من الى وجهه حجى ومعتمرى
ان حج قوم الى ترب واحجار لبيك لبيك من قرب ومن بعد سرا بسر واضمارا باضمار
رواه البخارى اى فى الايمان والتفسير ملعيا ومسلم فى الايمان والحج خماسيا
وكذا رواه احمد والترمذى والنسائى

الحديث الرابع

عن
ابى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه هذلى سلم قديما بمكة
روى انه قال رايتنى سادس ستة ما على وجه الارض مسلم غيرنا هاجر الى الحبشه
ثم الى المدينة وشهد بدرا والمشاهد كلها وشهد بيعة الرضوان وصلى بالقبلتين
وكان رسول الله يكرمه ويقربه ولا يحجبه وكان ابن مسعود كثيرا يدخل عليه
واذا قام يلبسه نعليه واذا جلس ادخلهما فى ذراعيه وكان يمشى معه وبين
يديه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام وكان معروفا فى الصحابة بانه صاحب
سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسواكه ووسادته وظهوره فى السفر

وروى

وروى فى بعض طرق حديث العشرة المبشرة بالجنة انه احدهم وقال
صلى الله عليه وسلم فى حقه رضيت لامتى ما رضى لها ابن ام عبد و
سخطت لها ما سخط لها ابن ام عبد وقال من احب ان يقرا القران
غضا كما انزل فليقرا على قراءة ابن ام عبد وكان رجلا قصيرا نحيفا يكاد [اى طريا]
قيامه يوازى جلوس طوال الرجال وقد روى عن على انه عليه السلام امر بعض
ابن مسعود ان يصعد شجرة فصعد فنظر اصحابه الى حموشة ساقيه فضحكوا [حمش صار دقيق الساقين ق]
فقال النبى عليه السلام لرجل عبد الله فى الميزان اثقل من احد وقال فيه ابو موسى
لا تسالونى ما دام هذا الحبر فيكم ودخل عليه عثمان بن عفان فى مرض موته
فقال ما تشكو قال ذنوبى قال فما تشتهى قال المغفرة قال الا امر لك بطبيب
قال الطبيب امرضنى قال الا ما تركت لاولادك فقال انى لا اخشى عليهم
الفقر بعد ان علمتهم سورة الواقعة يقرؤنها كل ليلة توفى بالمدينة سنه
اثنتين وثلاثين وهو ابن بضع وستين ودفن بالبقيع روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة حديث وثمانية واربعون حديثا روى
عنه الخلفاء الاربعة وكثيرون من الصحابة ومن بعدهم رضى الله عنهم
قال حدثنا اصل معناه انشا خبرا حادثا لنا رسول الله عليه السلام
وهو الصادق اى فى اقواله وافعاله مع الخلق المصدق اى فيما ياتيه
من الوحى المطلق والجمع بينهما للتاكيد وقيل المصدوق فيما وعده سبحانه او
المصدوق بمعنى المصدق والجملة اعتراضية لا حالية لتعم الاحوال
بالكلية ان احدكم بكسر الهمزة على حكاية لفظه صلى الله عليه وسلم وجزم
به المص فى شرح مسلم وجوز غيره فتحها والخطاب لبنى ادم والمعنى ان واحدا
منكم يجمع خلقه بصيغة المجهول اى يضم ويحرز مادة خلقه وهو ما يخلق

هو منه فى بطن امه اى فى رحمها اربعين يوما حال كونه نطفه كما فى نسخة
صحيحة اى مينا سائلا وفى مدة الاربعين مجتمعه او متفرقه وهو الاظهر
اذ الجمع انما يكون بعد التفرقه وذلك ان النطفه اذا وقعت فى الرحم فاراد
الله ان يخلق منها بشرا طارت فى بشرة المراة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث اربعين
ليلة ثم تنزل دما فى الرحم فذلك جمعها ووقت كونها علقه وقد روى ذلك
عن ابن مسعود والصحابة اعلم الناس بتفسير ما سمعوه واحق بتاويل ما نقلوه
فليس لمن بعدهم ان يرد عليهم كذا حققه الطيبى وجاء تفسير الجمع بمعنى اخر عند
الطبرانى وابن منده بسند صحيح على شرط الترمذى والنسائى انه صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى اذا اراد خلق عبد فجامع الرجل المراة طار ماؤه فى
كل عرق وعضو منها فاذا كان يوم السابع جمعه الله ثم احضره كل عرق له
دون ادم وفى اى صورة ما شاء ركبه ويؤيد هذا المعنى قوله عليه السلام لمن
قال ولدت امراتى غلاما اسود لعله نزعه عرق هذا والخلق فى الاصل
بمعنى التقدير يستعمل فى ايجاد الشئ بمادة وغيرها فالايجاد بالاسباب
والمواد يتعلق بعالم الملك والشهادة وهو مظهر الحكمة والايجاد بغيرها
يتعلق بعالم الملكوت والغيب وهو مظهر الامر والقدرة فالاشباح
لما كانت من عالم الخلق اقتضت المادة والمدة والارواح كما كانت من
عالم الامر لم يقتض شيئا من تلك العده وهذا معنى قوله تعالى الا له الخلق
والامر ثم قالت الصوفية خصوصية الاربعين لموافقه تخمير طينه ادم
وميقات موسى عليه السلام وذلك لاختصاصها بالكمال لتركبها من
عشرة واربع ولكل خاصية فى الكمال اما الاول فلانها غاية الاحاد من غير تكرار
واما الثانى فلانه قد استمر كل مستقيم البنيان على اربعة اركان كالطبايع

والفصو

والفصول الاربعة قال القرطبى وهذا الترتيب العجيب وان خفيت
علينا حكمته فقد لاحت لنا حقيقته وهو انه كذلك سبق فى علمه وثبت
فى قضائه وحكمه والا فمن الممكن ان يوجد انواع الانسان واصناف الحيوان
بل وجميع المخلوقات فى اسرع من لحظه وايسر من النطق بلفظه كيف لا وقد سمع
السامعون انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اقول ولعل حكمة التدريج
فى عالمى الاصغر والاكبر نفى توهم القدم وثبوت تقدم العدم والله اعلم
وقال الخطابى الحكمة فى تاخير كل منها اربعين يوما ان يصادف الرحم لانه لو خلق دفعة
واحدة لشق ذلك على الام ويخاف عليها الغم وايضا فيه اظهار اثار قدرة الله
واشعار اكثار نعمته على عبيده ليعبدوه ويشكروا الله على جميل نعمه وايضا
تقليبه فى هذه الاطوار المباينه تاكيد لامر البعث لان من قدر عليه ابتداء
يقدر على اعادته انتهاء بل هى فى العادة ادخل فيها واهون منها هذا وفى
بطن امه متعلق بيجمع على انه ظرف مكان له وقوله اربعين يوما ظرف
زمان له واغرب الكازرونى فيما اعرب حيث قال فى بطن امه صفة الخلقة
او حال منه اى مادة خلقه الحاصلة فى بطنه او حاصله وقوله اربعين
يوما ظرف لذلك المقدر فتدبر ثم يكون اى عقب هذه الاربعين يصير خلقه
علقة وهى قطعة دم جامد او طرى وهو الاظهر وسمى بها لانها اذ ذاك
يعلق بالرحم مثل ذلك اى مقدار الزمن الذى هنالك يعنى اربعين يوما او
نصبه على انه صفة لعلقة والاشارة الى خلقه والمعنى علقة مماثلة
لخلقه فى انهما يكونان اربعين يوما ثم يكون مضغة اى قطعة لحم
قدر ما يمضغ كذا قاله الشارح والظاهر انه قطعة لحم كانها ممضوغة مثل
ذلك واما ما ذكره الفاكهانى على ما وقع فى اصله ثم يكون فى ذلك علقة مثل

ذلك وفى شرحه فذلك الاول اشارة الى المحل الذى اجتمعت فيه النطفة و
صارت علقة وذلك الثانى اشارة الى الزمان الذى هو الاربعون وكذا القول
فى قوله ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك فهو مبنى على خلاف الاصول المعتمدة
من متون هذه الاربعين ثم الظاهر انه ثم فى هذا الحديث وقع موقع الفاء اذ لا
مهلة بين الاربعين واما قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة (الاربعينين)
مضغة الاية فمقال البيضاوى واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات
انتهى فهو مدفوع بهذا الحديث كما لا يخفى والتحقيق المرضى ما ذكره الرضى من
ان افادة الفاء الترتيب بلا مهلة لا ينافيها كون الثانى المرتب يحصل بتمامه
فى زمان طويل اذا كان اول اجزائه متعقبا لما تقدم كقوله تعالى جعلناه نطفة
فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة نظرا الى تمام صيرورتها علقة ثم قال
فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما نظرا الى ابتداء كل طور ثم
قال ثم انشأناه خلقا اخر اما نظرا الى تمام الطور الاخير واما استبعاد (اى نفخ الروح)
المرتبة هذا الطور الذى فيه كمال الانسانية عن الاطوار المتقدمة
والله سبحانه اعلم ثم اى فى الطور الرابع حين تكمل اجزاؤه وتشكل اعضاؤه
يرسل اليه الملك بصيغة المجهول وفى نسخة بغير اليه وفى اصل ابن حجر
تبعا للفاكهانى ثم يرسل الله الملك وهو مخالف للاصول المحررة نعم
ضبط فى بعض النسخ بصيغة المعلوم من غير ذكر الجلالة فيرجع الى
هذه العبارة مآلا ولعله صحف عليه باليه بالجلالة لديه والمراد
بالملك الموكل بالرحم والمراد بالارسال امره بها والتصرف فيها اذ ثبت فى
الصحيحين انه موكل بالرحم من حين كان نطفة وذلك ملك اخر غير ملك
الحفظ وعجن النطفة بتراب قبره كما ورد فى تفسير قوله تعالى منها خلقناكم

ان الملك

ان الملك يأخذ من تراب مدفنه فيذره على النطفة ولكونه سلالة من طين (بدد فرق)
جاء مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف اجزاء الطين بل بحسب اختلاف
المركبات من الطين فيه حرص النملة والفارة وشهوة العصفور وغضب الفهد
وكبر النمر وبخل الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من ذمائم الصفات
وفيه شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة و
وفاء الكلب وبكور الغراب وهمة البازى ونحوها من محاسن الاخلاق فان قلت
قد ورد فى صحيح مسلم برواية حذيفة بن اسيد لابن مسعود كما فى المشارق انه اذا مر
بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها (فصورها اى قدر تصويرها وخلق اى قدر سمعها ابن ملك)
وجلدها وعظامها ثم يقول يا رب اذكر ام انثى فيقضى ربك ما شاء ثم يكتب
اجله ورزقه فعلم منه ان التصوير بعد الاربعين الاولى وهو مناف لهذه
الرواية فالجواب ان لتصرف الملك اوقاتا احدها حين يكون نطفة ثم ينقلب
علقة وهو اول علم الملك بانه ولد وذلك عقيب الاربعين الاولى وحينئذ
يأمر ربه يكتب رزقه واجله وعمله وخلقته وصورته ثم يتصرف فيه
بتصويره وخلق اعضائه وذلك فى الاربعين الثالثة ثم ينفخ فيه الروح فالمراد
بتصويرها بعد انه يكتب ذلك ثم ينقله فى وقت اخر لان التصوير بعد الاربعين
الاولى غير موجود عادة كذا فى شرح مسلم وقد استفاض بين النساء ان النطفة
اذا قدرت ذكرا يتصور بعد الاربعين الاولى بحيث يشاهد منه كل شىء حتى
الشوة فيحمل رواية ابن مسعود على البنات او الغالب او باختلاف فى خلق
العباد على ما اراد وفى رواية اخرى لمسلم ان النطفة يقع فى الرحم اربعين
ليلة ثم يتسور عليها الملك وفى اخرى لمسلم ان ملكا موكلا بالرحم اذا
اراد الله تعالى ان يخلق شيئا باذن الله تعالى لبضع واربعين ليلة الحديث

وفي رواية في الصحيح يدخل الملك على النطفة بعدما استقرت في الرحم
باربعين يوما وفي اخرى لخمس واربعين فيقول يارب اشقي ام سعيد و
في اخرى عند الشيخين ان الله تعالى قد وكل بالرحم ملكا فيقول اي رب
نطفة اي رب علقة اي رب مضغة والمعنى يقول وقت النطفة يارب
هذه نطفة ونحو ذلك في البقية وفي رواية في سندها السدي وهو مختلف
في توثيقه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة ان التصوير يكون قبل ثمانين
يوما وبه اخذ طوائف من الفقهاء وقالوا اقل ما يتبين فيه خلق الولد احد و
ثمانون يوما لانه لا يكون مضغة الا في الاربعين الثالثة ولا يتخلق قبل
ان يكون مضغة فينفخ اي الله او الملك فيه الروح اي بعد تكميل جسده و
تصوير شكله وفي نسخة بصيغة المجهول قال القاضي عياض واقره المصنف
وغيره ظاهر الحديث ان الملك ينفخ الروح في المضغة وليس مرادا بل انما
ينفخ فيها بعد ان تتشكل بشكل ابن ادم وتتصور بصورته كما قال تعالى فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا اخر اي نفخ الروح
فيه وقال القاضي اتفق العلماء على ان نفخ الروح لا يكون الا بعد اربعة اشهر
اي عقبها كما صرح به جماعة وعن ابن عباس انما ينفخ بعد اربعة اشهر وعشرة
ايام واخذ به احمد قيل وهذا حكمة كون عدة الوفاة اربعة اشهر وعشرا
لانها بالشروع في الخامس من غير ظهور حمل يحسن براءتها منه والعشرة
احتياطا وان الروح ينفخ فيها كما قاله ابن المسيب وتبعه احمد فيما روى
عن ابن عباس ثم اعلم ان ظاهر ايات القران شاهد بان التصوير يكون
من الله وقد ورد في بعض الروايات اضافة ذلك الى الملك الموكل على الرحم
والحمل على ظاهر القران اولى قال تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف
يشاء

يشاء كذلك ذكره بعضهم والاولى ان الاضافة الى الله حقيقية والنسبة
الى الملك مجازية كما جمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس وبين قوله قل يتوفيكم
ملك الموت وهذا جمع لطيف يؤدي الى جمع شريف مستفاد من قوله تعالى
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقد جمع بعضهم بين القران والخبر بان الملك
الموكل بالرحم من اعوان اسرافيل وهو ناظر اليه واسرافيل ناظر الى الصور
المنقوشة في العرش كما ورد به الخبر ان الله تعالى جعل لكل ما خلق صورة مخصوصة
في ساق العرش وتلك الصور حكاية عما في علم الله تعالى الازلي فيأخذ اسرافيل
الصورة المختصة بتلك الذرة ويلقيها الى ملك الارحام وملك الارحام يلقيها
الى الجنين فيتصور بتلك الصورة المختصة فحيث ما اضاف الى نفسه تعالى
التصوير فلانه هو المقدر للصور في الاصل حقيقة وحيث ما اضيف
الى الملك فلانه المباشر لها حيث ما راى في نسخة اسرافيل واما نفخ الملك
في الصورة فسبب يخلق الله عنده فيها الروح والحيوة وقد قال بعض العارفين
في الحديث الشريف معنى لطيف بلسان الاشارة بعد بيان العبارة وهي انه اذا
سقطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب مريد
صادق يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ اذ هي بمثابة ملك الارحام ويضبط
المريد احواله الظاهرة والباطنة على وفق امر الشيخ وتدبيره فالله تعالى
يتصرف ولاية الشيخ المؤيد بتأييد الحق بمرور كل اربعين عليه بشر انظرها
يحولها من حال الى حال ومن مقام الى اخر الى ان يرجع الى حظائر القدس
ورياض الانس التي صدر منها الى عالم الانس فيكون الجنين في رحم القلب
وهو طفل خليفة الله في ارضه فيستحق الان ان ينفخ فيه الروح
المخصوص بانبيائه واوليائه يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده وايدهم

بروح منه فاذا نفخ فيه يكون ادم وقته فيسجد له الملائكة اجمعون
اى ينقادون له ويصلون عليه ويعظمون امره ويكرمون شانه ويومر
اى الملك عطف على فينفخ بكتابة اربعة احكام مقدرة له على جبهته لخبر
البزار كتابة ذلك ككل ما هو لاق باربع كلمات اى هنالك يكون بين عينيه
او بطن كفه او ورقه تعلق بعنقه كما قال مجاهد ويؤيده قوله تعالى وكل انسان
الزمناه طائره فى عنقه واعلم ان الكتابة التى فى ام الكتاب تعم الاشياء كلها وهذا
خصوص كل انسان اذ لكل كتابة سابقه وهى ما فى اللوح ولاحقة تكتب ليلة القدر
ومتوسطة اشير اليها فى الحديث ثم ظاهر سياق هذا الخبر ان هذا الامر
والكتابة بعد الاربعين الثالثة ورواية البخارى ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه
اربعين يوما نطفة ثم تكون علقة مثله ثم تكون مضغة مثله ثم يبعث
اليه الملك فيؤمر باربع كلمات فيكتب رزقه واجله وعمله وشقى او سعيد
ثم ينفخ فيه الروح كالصريحة فى ذلك لكن فى روايات اخر لمسلم وغيره ان كتابة
تلك الامور عقب الاربعين الاولى وبها اخذ جماعة من الصحابة وجمع
بعضهم بان ذلك يختلف باختلاف الناس فمنهم من يكتب له ذلك
عقب الاربعين الاولى ومنهم من يكتب له عقب الاربعين الثالثة
ولا يبعد تكرر الكتابة والله اعلم ثم ظاهر رواية البخارى ان النفخ بعد
الكتابة وفى رواية البيهقى عكسه واما رواية الكتاب فيحتمل البعدية و
القبلية لان الواو لمطلق الجمعية وفى صحيح ابن حبان بخمس وهى الثلاثة
الاتية والاثر والمضجع اى القبر ولا تنافى لان الزائد على تلك الاربع اعلم به
صلى الله عليه وسلم بعد اخباره او هذا الزائد يكتب لبعضهم دون اخرين
يكتب رزقه اى ما ينتفع به حلالا او حراما ماكولا او غيره قليلا
او كثيرا

او كثيرا او الجار بدل كل من قوله اربع اذ المضاف مقدر فيه ويروى يكتب
على الاستيناف معلوما وكذا مجهولا فيتغير اعرابه ما بعده واجله اى مدة
عمره طويلا او قصيرا وعمله صالحا او طالحا وفى رواية حرفه اى صنائعه
الشاملة لاعماله وشقى اى وهو شقى فى الاخرة او سعيد فيها وكان مقتضى
ظاهر العبارة ان يقال وشقاوته وسعادته فعدل عنه اما حكاية لصورة
ما يكتبه لانه يكتب شقى او سعيد او التقدير انه شقى او سعيد فعدل لان الكلام
مسوق اليهما والتفصيل الاتى وارد عليهما كما حققه الطيبى وظاهر الحديث
يدل على ان الامر بالكتابة ابتداء منه تعالى والاحاديث الصحيحة تدل على ان الامر بها
بعد ان يسال الملك عنها فيقول يا رب ما الرزق ما الاجل ما العمل و
هل هو شقى او سعيد ومن تلك الاحاديث ان النطفة اذا استقرت
فى الرحم اخذها الملك بكفه فقال اى رب اذكر ام انثى شقى ام سعيد ما الاجل
ما الاثر باى ارض تموت فيقال له انطلق الى ام الكتاب اى اللوح المحفوظ
فانك تجد قصة هذه النطفة فيها فينطلق فيجد قصتها فى ام الكتاب
انها تخلق وتاكل رزقها وتطا اثرها فاذا اجلها قبضت فدفنت فى المكان
الذى قدر لها ومنها انه يقول يا رب مخلقه او غير مخلقه فان كانت غير
مخلقة قذفتها الارحام دما وان قيل مخلقه قال يا رب اذكر ام انثى وذكر
ما مر ثم السعادة معاونة الامور الالهية للانسان على نيل الخيرات والمبرات
المرضية وتضادها الشقاوة وهى اما قلبيه او بدنيه او ما حول البدن
فالقلبيه هى المعارف والحكم اللدنيه والكمالات العلمية والعمليه والبدنية
الصحة والقوة واللذات الجسمية وما حول البدن من الاموال والاسباب
الدنيوية المعينه للامور الدينيه والاحوال الاخروية وقدم الشقاوة

ليعلم ان الشر كالخير من عند الله وتقديره على ما قضاه ردا على الثنوية المثبتين
شريكا فاعلا للشر في المرتبة الربوبية وما احسن قول الشاعر • وكم اديب
فهم قلبه • مستكمل العقل مقل عديم • وكم جهول مكثر ماله • ذلك
تقدير العزيز العليم • وتحقيق هذا المقام ان يقال ان الله صفتي جمال وجلال
او نعتي لطف وقهر فالسعداء واعمالهم ومآلهم ومنالهم مظاهر اللطف
وفائدة بعثة الانبياء وانزال الكتب من السماء ترجع اليهم اما انت منذر
من يخشاها كما ان فائدة نور الشمس لاهل البصر فهي اشارة وبشارة لهم بالسعادة
والاشقياء وافعالهم ومثويهم ومأويهم مظاهر القهر وفائدة البعثة
لهم الزام الحجة عليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهي الحقيقة
نعي عليهم بالشقاوة قال البيضاوي من وجده مستعدا لقبول الحق اتبعه
في عداد السعداء ومن رآه قاسي القلب ضاريا بالطبع للخلق متابيا عن قبول
الحق كتبه في ديوان الاشقياء هذا اذا لم يعلم من حاله وقوع ما يغير ذلك في
مآله فان علم كتب اوائله او اواخره وحكم عليه وفق ما يتم به عمله وما يختم
به امره كما اشار اليه بقوله فو الذي الفا فصيحة اي اذا كانت الشقاوة
والسعادة مكتوبة فو الذي لا اله غيره اكده بالقسم لتاكيد امر القضاء
في القضية ليعلم ان الكسب لا مدخل له في الحقيقة ان احدكم ليعمل بعمل اهل
الجنة اي فيما يبدو للناس وهو من اهل النار كما في خبر مسلم حتى ما يكون بالنصب
وفي بعض النسخ المصححة والرفع قال الطيبي حتى هي الناصبة وما نافية ولم
تكف يكون عن العمل فهي منصوبة بحتى واجاز غيره ان يكون حتى ابتدائية فيكون على هذا
بالرفع وهو مستقيم ايضا كذا ذكره الشيخ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح
البخاري وقال بعض الشراح يكون في الموضعين بالرفع لا غير لان ما النافية كافة
عن العمل

عن العمل بل لان المعنى على حكاية حال الرجل لا الاخبار من المستقبل نحو مرض حتى لا يرجونه
انتهى ولا يخفى ان وجه النصب ظاهر وروايته اشهر ولعل ابن حجر تبعا للفاكهاني
حيث اقتصر على تعيين الرفع وعلل بان ما الفصيحي وفيه ان ما النافية ما يلغي وان كان
اعتبرها كافة فلا يصح هنا لعدم صحة الاستثناء حينئذ بقوله بينه وبينها الا ذراع
اي قدره وهو مثل يضرب بمعنى المقاربة كحديث من تقرب الي شبرا تقربت منه ذراعا
وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا فالمراد به التمثيل بالقرب من موته ودخوله عقيبه
في جنته فيسبق عليه الكتاب اورد الفاء ليدل على حصول السبق بلا مهلة وعداه بعلى
مضمنا معنى يغلب اي فيغلب عليه كتاب الشقاوة قبل النفخ عند الولادة المستند الى اللوح المأخوذ
من ام الكتاب وهو العلم الازلي المتعلق به في هذا الباب والكتاب في المتن يحتمل ان يكون
مصدرا وان يكون بمعنى المكتوب فيعمل اي في تلك الحالة بعمل اهل النار اي ويموت
على ذلك فيدخلها اي مع اهلها هنالك لان بذر الشقاوة والسعادة قد اختفى في
الاطوار الانسانية لا يبرز الا اذا انتهى الى الغاية الطغيانية او الايمانية وان احدكم
ليعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
اهل الجنة بان يستغفر ويتوب منه فيدخلها اذ الخاتمة نسخة السابقة وفي هذا
الحديث اثبات القدر كما هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة ومن تبعهم
من اهل البدعة قال القاضي وغيره الاول نادر بعد الخلاف الاخيرة فانه كثير وجودا
ولعله لخبر ان رحمتي سبقت غضبي وفي رواية تغلب غضبي فلله الحمد والمنة ثم
الحكمة في اخفاء القضية ان يعلم انه لا عبرة بالصورة بل بالاخلاص وحسن
السريرة وان لا يغتر بحسن الاعمال ولا يقنط من روح الله بقبح الافعال ولا
يحقر اهل الشقاوة في ظاهر الاحوال اذ الامر منوط بمطلق القضاء في الازل
وان يعلم ان ما يجري في العالم من الايمان والكفر والطاعات والسيئات من

الكليات والجزئيات بتقدير الله وايجاده فى عباده وفق مراده اذ لا مؤثر فى
الوجود الا الله الملك المعبود لا علة لفعله ولا معقب لحكمه ثم القدر سر لم يطلع
عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل فلا يجوز البحث عنه فانه تعالى لا يسئل عما يفعل ولذا
قال على كرم الله وجهه لمن سأله عن القدر هو طريق مظلم لا تسلكه فاعاد
السؤال فقال بحر عميق لا تلجه فاعاد السؤال فقال سر خفى عليك فلا تفتشه
فلله در من قال • تبارك من اجرى الامور بحكمة • كما شاء لا ظلما اراد ولا
هضما • فما لك شئ غير ما الله شاءه • فان شئت طب نفسا وان شئت
مت كظما • ثم فى هذا الحديث الشريف ايماء للسالك الى تجريد احواله ومنتهى
اماله من غير اختيار اعماله وفيه سر قول من عرف نفسه فقد عرف ربه ثم
منهم من نظر الى السابقة ومنهم من نظر الى الخاتمة اللاحقة والاول
والاول اولى وفى المرتبة اعلى فان فيه ملاحظة فعل الحق مجردا عن الخلق فهو انسب
الى مقام التوكل وحال التوحيد بل هو مرتبة الجمع بخلاف الاخير فانه يشير
الى منزلة التفرقة رواه البخارى ومسلم وكذا الاربعة وفى بعض روايات
هذا الحديث وانما الاعمال بالخواتيم وفى حديث الشقى من شقى فى بطن امه والسعيد
من سعد فى بطن امه وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال ما من نفس
منفوسة الا وقد كتب الله مكانها من الجنة او النار فقالوا يا رسول الله
افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل السعادة
فسييسرون لعمل اهل السعادة واما اهل الشقاوة فسييسرون لعمل اهل
الشقاوة ثم قرء فاما من اعطى واتقى الايتين وفى رواية للبخارى انما الاعمال
بخواتيمها كالوعاء فانه اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث
اسفله وفى رواية مسلم ان الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له

عمله

عمله بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله
بعمل اهل الجنة واخرج احمد والترمذى والنسائى عن ابن عمر قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان
قلنا لا يا رسول الله اما تخبرنا فقال للذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين
فيه اسماء اهل الجنة واباءهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم ولا
ينقص منهم ابدا وقال للذى فى شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء
اهل النار واباءهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم
ابدا فقال اصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان امر قد فرغ منه فقال سددوا
وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اى عمل وان صاحب
النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اى عمل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيديه فنبذهما وقال فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير واخرج
احمد والترمذى انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر ان يقول فى دعائه يا مقلب
القلوب ثبت قلبى على دينك فقيل له يا رسول الله امنا بك وبما جئت
به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن
كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال اللهم مصرف القلوب صرف
قلوبنا على طاعتك فلنختم الكلام على هذا الحديث العظيم بهذا الدعاء الكريم
الحديث الخامس عن ام المؤمنين كنيته ازواج سيد المرسلين
لقوله تعالى وازواجه امهاتهم اى فى حرمة النكاح وباب التعظيم والتكريم
دون نحو النظر والخلوة وسائر ما يتعلق بالاجنبيات من التحريم ام عبد
الله كناها صلى الله عليه وسلم بابن اختها اسماء عبد الله بن الزبير او
بسقط من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى عبد الله وهو ضعيف كما

ذكره في الاذكار عائشة بكسر الهمزة لا باليحتية كما يقوله العامة رضي الله عنها
اسلمت صغيرة وتزوجها صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست سنين بمكة قبل
الهجرة بثلاث سنين ودخل بها في المدينة في شوال منصرفه من بدر سنة اثنين
من الهجرة وهي بنت تسع وبقيت معه تسعا وعاشت بعده اربعين سنة
مرويّاتها الف ومأتا حديث وعشرة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احدث اي اتى بامر حادث بان ابتدع من قبل نفسه واخترع من عند عقله
في امرنا شاننا او شرعنا وامرنا المهتم عندنا وفي رواية في ديننا هذا في ايراد اسم الاشارة
بدلا او صفة افادة التعظيم وايماء الى ظهور التفخيم واشعار بان امر الدين كمل و
ظهر ظهور المحسوس في مقام التكثير ما ليس منه اي من اصوله او مما ينافيه
بحسب مبانيه او معانيه وفي نسخة ما ليس فيه اي رايا ليس فيه مستند
من الكتاب او السنة او اجماع الامة سواء كان فعلا او قولا او حالا فهو
رد بضم الهاء ويسكن اي فذلك المحدث مردود عن جنابنا ومطرود عن بابنا
فان الدين اتباع اثار الايات والاخبار واستنباط الاحكام منها لارباب الاثار
وقد كمل الدين كما اشار اليه في الكتاب المبين فمن رام الزيادة عليه حاول
امرا غير مرضي لديه لانه من قصور فهمه راه ناقصا بدون احداثه او ما احدثه
مردود فلا يقبل او بمقتضاه لا تعملوا فالضمير الى الشخص او الامر والاول ابلغ و
الثاني اظهر كذا قاله بعض الشراح والصواب ان يقال الضمير الى من او الى ما
فتفكر ثم في ايراد بصيغة المصدر مبالغة عظيمة فتدبر وقال المؤلف قوله
رد اي مردود كالخلق بمعنى المخلوق رواه البخاري ومسلم وكذا ابو داود و
النسائي وفي رواية لمسلم من عمل عملا اي من اتى بشيء من الطاعات البدنية
او الحالات القلبية او بشيء من الاعمال الدنيوية او الاخروية سواء كان محدثا
لاحقا

لاحقا او مقدما على الامر سابقا وكان من صفته انه ليس من امرنا اي اذننا
وحكمنا بل اتى به على حسب هواه واستحسن غرضه فيما نواه فهو رد اي مردود
عليه غير مقبول فيما نسب اليه فهذه الرواية اعم • وفي افادة الدراية اتم • فهذا الحديث
عماد في التمسك بالعروة الوثقى • واصل في الاعتصام بحبل الله الاقوى ورد للمحدثات
والبدع والهوى وقد انشد في هذا المعنى • اذا ما دجا الليل البهيم واظلما • بارق فطيح
شق اسوادهما • فاعلى البرايا من الى السنن اعتزى • واعمى البرايا من الى البدع انتهى • ثم
اعلم ان هذا الحديث اصل عظيم في ابطال المنكرات وحوادث الضلالات وقد
قال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
قال مجاهد السبل البدع وروى الدارمي انه صلى الله عليه وسلم خط خطا ثم
قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سبل
على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا الاية وقال عز وجل فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول قال ميمون بن مهران من فقهاء التابعين الرد
الى كتابه والى رسوله في حياته والى سنته بعد مماته وقال عز وجل قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله وفي حديث مسلم انه صلى الله عليه وسلم كان يقول
في خطبته ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
وشر الامور محدثاتها وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة زاد البيهقي وكل
ضلالة في النار وروى الدارمي ان ابن مسعود انكر على جماعة اجتمعوا في
المسجد يعدون الاذكار بالحصا واشار اليهم ان يعدوا سياتهم وانهم مفتتحوا
باب ضلالة واخرج البيهقي ان ابن عباس قال ان ابغض الامور الى الله تعالى
البدع وان من البدع الاعتكاف في المساجد التي في الدور واخرج ابو داود عن حذيفة
كل عبادة لم يفعله الصحابة فلا تفعلوها وقال الغزالي السكوت عما تكلم فيه السلف

جفاء والكلام فيما سكتوا عنه شقاء وورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال عمل
قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة اى ولو مستحسنة لان من البدع ما
استحسنه السلف ومنها ما استحبه الخلف فمن قبيل الاول جمع القران كما اتفق
عليه الشيخان وكذا جمع عثمان بن عفان وكما وقع لعمر رضى الله عنه في جمع الناس
لصلوة التراويح في المسجد بعد تركه عليه السلام لذلك بعدما فعله ليالى
وقال عمر نعمت البدعة هى لانها وان حدثت في الجملة الا انها ليس فيها رد للفعل
المتقدمة بل مقوية لتلك الحسنة فانه عليه السلام علل تركها بخشية الفرضية
فزال بوفاته عليه السلام توهم عود القضية ومن امثلة الثانى بناء نحو الربط
وخانات السبيل فانها في معنى الخيرات والجارية الداخلة في الاحكام الوقفية
وكالتصنيف في العلوم الشرعية من الاصول والفروع الفقهية وما يتعلق
بها من الالات الضرورية من القواعد الصرفية والنحوية والمعانى والبيان
والمحسنات البديعية وقال الشافعى ما احدث وخالف كتابا او سنة او اجماعا
او اثرا فهو البدعة الضالة وما احدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك فهو
البدعة المحمودة وقال الامام ابو شامة شيخ المص ومن احسن ما ابتدع في
زماننا كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده عليه السلام من الصدقات و
اظهار السرور والزينة فان ذلك مع ما فيه من الاحسان الى الفقراء يشعر بمحبة
سيد الانبياء وتعظيم سند الاصفياء كذا ذكره ابن حجر ثم قال وصلوة الرغائب
اول جمعة من رجب وليلة النصف من شعبان بدعتان مذمومتان
خلافا لمن استحسنهما وحديثهما موضوع كما بينه المص في شرح المهذب
وغيره ممن قبله وبعده انتهى وفيه ان الصلوة خير موضوع واحياء كل ليلة
بالعبادة مشروع واذا لم يصح حديثهما لم يلزم عدم فعلهما نعم لا يعتقد سنيتهما

مع انه

مطلب

مطلب
صلوة الرغائب
اذا اصلوا منفردا اما بالتداعى وهو الجماعة فوق الثلاث فمكروه مطلقا سواء اعتقد سنيتهما او لا كما صرح به في كتب الفروع والاصول فتدبر

مع انه جاء في ليلة شعبان قوموا ليلها وصوموا يومها على ما رواه الترمذى
وفي خبر انه تعالى يغفر ليلتها لاكثر من عدد شعر غنم كلب وفي خبر انه تعالى يغفر ليلتها
لجميع خلقه الا المشرك او مشاحن وقد اخرج البيهقى انه عليه السلام صلى
ليلتئذ وقال في هذه الليلة يكتب كل مولود وهالك من بنى ادم وفيها يرفع
اعمالهم وينزل ارزاقهم ويعين اجالهم وقد سماها الله سبحانه في القران انا
انزلناه في ليلة مباركة فهى من مواسم الخيرات ومنازل المبرات فصلاة مائة ركعة
في كل ركعة قراءة الاخلاص عشر مرة باى طريق لا يكون من البدع المذمومة مع ما
ورد عن ابن مسعود ان ما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ثم قال
ومنه الوقود ليلة عرفة او المشعر الحرام والاجتماع ليالى الختوم اخر رمضان فيكره
ما لم يكن فيه اختلاط الرجال بالنساء فان تضام اجسامهم فانه حرام انتهى و
هو ليس على اطلاقه فان التوقيد المشعر بالتعظيم كتعظيم ليلة المولد والاجتماع
عند ختم القران من المستحبات كما هو في البستان نعم ما يترتب عليه من المفاسد
وتشويش خاطر العابد والساجد والاسراف في المال باعتبار عدم الاحتياج
الى كثرة السراج لاسيما في الليلة القمراء وامثال هذه الاشياء يكون من الامور المنكرة
وقد اغرب بعض الشافعية وعد منها مداومة الامام في صبح الجمعة قراءة سورة
السجدة وسورة الدهر وكذا مداومة الاضطجاع بين سنة الفجر وفرضه لكن
فيه ملحظ لطيف وسر شريف لئلا يتوهم الفرضية بالمواظبة السنية بل
اقول وكان على الائمة الحنفية ان يقرؤا السورتين في بعض الاوقات الرضية
لترفع الوهم بالكلية وقد بلغنى ان اثنين من اهل ما وراء النهر لما رجعوا الى
بلادهم وسئلوا عن غرائب ما راوا في سيرهم ومعادهم فقال واحد رايت
الشافعية بمكة يصلون صلوة الفجر ثلاث ركعات فقال الاخر انما كان

المشاحن المذكور في الحديث صاحب البدعة التارك للجماعة
ق

كذا وجد

ذلك يوم الجمعة لا جميع الأوقات واما ايراد ابن حجر مارواه الطبراني انه صلى
الله عليه وسلم كان يقرؤهما في كل جمعة فمحمول على الاغلبية لا الكلية والا فالمواظبة
دليل الوجوب في القواعد الاصولية واما ادخال ابن حجر صلاة بلال لشكر الوضوء
في البدعة المستحسنة فمدفوع لان الصلوة باعتبار اصلها مشروع مع انه صلى
الله عليه وسلم قررها فهو من السنة المقررة والعبارة المحررة ثم اعلم ان الانسان له روح
نوراني من عالم الملكوت ونفس ظلمانية من عالم الملك ولكل منهما نزاع وسوق الى عالمه
فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتجليتها بانوار الارواح
حتى تجلى فيها ان الموجود الحقيقي ذات الله وصفاته وافعاله فالواجب
على العبد ان يدق بمطرقة كلمة التوحيد تمرد النفس الى ان تؤمن بذلك وتكفر
بطاغوت وجوده ووجود ما سوى الله هذا هو الدين القويم والطريق
المستقيم فمن احدث فيه بتسويل الشيطان غير ذلك بان ايس عن الله و
تعلق قلبه بما سواه ولم ينسلخ عن صفاته وافعاله واثاره ولم ينطمس ظلمات — سوق زين انطماس محوشدن
ذاته في انواره فهو مردود ولا يكون مهديا بل لم يتبع الا شيطانا مريدا ❁

الحديث السادس عن ابي عبد الله النعمان بضم اوله ابن بشير
بفتح الموحدة صحابيان انصاريان رضي الله عنهما ولد على راس اربعة عشر
شهرا من الهجرة على الاصح وحنكه عليه السلام بتمرة وهو اول مولود ولد في الانصار
بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة كما ان عبد الله بن الزبير المولود معه
في عامه اول مولود ولد للمهاجرين بها روى له مائة واربعة عشر حديثا
قتل بقرية من قرى حمص سنة اربع وستين ولم ينفرد برواية هذا الحديث
بل رواه ايضا سبعة من اكابر الصحابة رضي الله عنهم قال سمعت رسول — اهوى اليه اشار اليه
الله صلى الله عليه وسلم يقول وفي رواية انه اهوى الى اذنيه باصبعيه

وفيها

وفيها تاكيد للتصريح بسماعه من النبي عليه السلام وهذا هو الصحيح ولا التفات
الى الخلاف فيه قاله المصنف والمراد به ما نقله الشيخ صلاح الدين بن العلاء
عن يحيى بن معين ان اهل المدينة يقولون لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم
واهل العراق مصححون سماعه منه وليس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا في حديث الحلال بين والباقي يقول عن ان الحلال بين اي واضح غير خفي حله
نظرا الى ما نص الله ورسوله او اجمع المسلمون على تحليله ومنه ما لم يعلم فيه منع
على اظهر القولين كما بين في محله وان الحرام بين في اكثر النسخ المصححة باعادة
ان لتاكيد القضية وهو ما دل دليل ظاهر على تحريمه من كتاب او سنة او
اجماع امة ثم التحريم اما لمفسدة جلية او مضرة خفية كالربو ومذبوح
المجوس واما لمفسدة واضحة او مضرة لائحة كالسم والخمر وكذا سائر المسكرات
مطلب — والمخدرات كالحشيشة والافيون والبنج وكذا جوزة الطيب كما
افتى به ابن حجر ونقل فيه ارباب المذاهب الثلاثة من الشافعية والمالكية
والحنابلة قال وهو مقتضى كلام الحنفية يعني ان وصل الى حد السكر و
اما الافيون فصرح علماؤنا بانه يحرم اكله واذا اعتاد يجب عليه استعماله
وبينهما مشتبهات اي امور مشتبهة لوقوعها بين اصلين متغايرين
او وجودها بين دليلين متعارضين بحيث يعسر ترجيح احد الطرفين
فيقع الاشتباه في الحكمين اذ لكونها ذات جهة الى الحلال لم يجز ان تعد
من الحلال المبين ولكونها ذات جهة من الحرام لم يجز ان تعد من الحرام المبين
لا يعلمهن اي لا يعرف حكمهن كثير من الناس وقد جاء واضحا في رواية الترمذي
ولفظه لا يدري كثير من الناس امن الحلال ام من الحرام يعني لتعارض
الامارتين وتناقض العلامتين واما العارفون المحققون والعلماء المجتهدون

وقليل ما هم لا يشتبه ذلك عليهم فاذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ولم يكن نص
او اجماع الامة اجتهد فيه المجتهد فالحقه باحدهما الدليل شرعي ظهر له فاذا
فقد فالورع تركه كما يدل عليه الحديث فيما بعده قال المص وللعلماء فيه ثلاثة
اقوال الحكم بالحل والحرمة والتوقف فالاول دليله عليه السلام كالراعي يرعى حول
الحمى فيدل على ان ذلك حلال والثاني دليله قوله عليه السلام [illegible] لدينه وعرضه استبراء
والثالث دليله التعارض وقوله عليه السلام الحلال بين والحرام بين فالمشتبه
ليس منهما قلت فينبغي ان يقال مكروه ثم رايت القرطبي صوب الكراهة
ونسب الامام احمد واسحق وغيرهما المشتبه بما اختلف في حل اكله كالخيل
او شربه كالنبيذ او لبسه كجلود السباع او كسبه كبيع العينة وفسره احمد
مرة باختلاط الحلال والحرام قيل ومنها اموال السلاطين لكن في زماننا
لا يخفى حكمها على اهل الدين نعم منها شرى شيئا في الذمة وقضى
ثمنه من مال حرام ومنها معاملة من في ماله حرام ولذا قيل هذا
زمان المشتبهات والورع عن المحرمات والاظهر ما اعتمده الغز
من ان كل اكثر ماله حراما حرمت معاملته ثم لما كان سياق
الكلام وتفصيل الاحكام للارشاد الى التحرز من الحرام وذلك
لا يحصل الا بالانتهاء عن المشتبه لتمام النظام قال فمن
اتقى الشبهات فيه وضع المظهر موضع المضمر تفخيما لشانها
فتدبر فمن اجتنبها في المعاملات واحترزها في الاستعمالات
استبرا اي طلب البراءة لدينه من الذم الشرعي وعرضه من
الطعن العرفي لاتهامهم اياه بمواقعة المحظورات اذ لم يتق
الشبهات قال المظهر اي صار دينه وحمى عرضه عن وقوع الناس فيه

واما

واما قول ابن حجر فقد استبرئ بالهمز وقد يخفف ففيه ان لفظ
فقد غير موجود في الاصول وتخفيف الهمز المتحرك غير صحيح الا
حال الوقف عند بعضهم وحمل الشارح المظهر العرض على النفس
حيث قال طهر دينه وبدنه من العقوبة ففي النهاية كذا وجد
العرض موضع المدح والذم من الانسان سواء كان في نفسه
او سلفه ولما كان موضعه النفس حمل عليها اطلاقا للمحل على الحال
والحاصل ما اشتبه امره في الحل والحرمة ينبغي اجتنابه لئلا يجره الى
الوقوع في الحرام وانه لو وجد في بيته ما لا يدري اله ام لغيره فالورع
تركه كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في التمرة التي وجدها في بيته
وقال اخشى ان تكون من الصدقة ولا يحرم لانه في يده والاصل ان لا
يكون من الصدقة كما ان الاصل في الثوب الطهارة وكذا ترك المعاملة
مع من ماله شبهة ربا ونحوه اولى ما لم يتيقن حرمته فانه صلى الله
عليه وسلم رهن درعه عند يهودي بشعير اخذه لقوت اهله
او ضيفه مع اكلهم الربوا واثمان الخمور كذا ذكره شارح ففعله صلى
الله عليه وسلم لبيان الجواز او لعلمه ان شعيره هذا فيه شبهة لما كان
هنالك من قرينة او لم يكن موجودا الا عنده فكان ضرورة هذا وفي
عطف العرض على الدين اشعار الى ان طلب براءته مطلوب للمتقين
ومن ثم ورد ما وقى به العرض فهو صدقة وجاء في الاثر من وقف موقف
تهمة وفي رواية من عرض نفسه للتهمة فلا يامن من اساءة الظن
به وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجلين راياه مع امراة على رسلكما انها
صفية خوفا عليهما ان يظنا به شيئا فيهلكا فقالا يا رسول الله

من كنانته فلا نتهمك فقال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى
الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شرا وروي ان انسا خرج لصلوة
الجمعة فراى الناس راجعين منها فدخل محلا لا يرونه وقال من لا يستحي
من الناس لا يستحي من الله قيل ورفعه الطبراني فلو امر احدا بويه باخذ
شبهة او اكلها فقال احمد لا يطيعهما وقال بعض السلف يطيعهما و
توقف اخرون ومن في الشبهات وقع في الحرام اي من سهل على نفسه
واكثر تعاطي الشبهات افضاه الحال مندرجا الى ارتكاب المحرمات
المقطوع بحرمتها وان لم يعتمد ما هنالك اذ قد يأثم اذا قصر في
التحري بذلك او المعنى انه يعتاد المساهلة في المعاملة ويجسر على شبهة
اغلظ منها ثم اخرى الى ان يقع في الحرام عمدا في الحالة الاخرى او المعنى
وقع في الجملة في ارتكاب المحرمات لان الذي ارتكبها من المشتبهات
ربما كان حراما فيقع فيه بخلاف المحتاط فانه اذا امتنع من الشبهات
فبالاولى ان لا يرتكب المحرمات ولذا جاء في خبر الترمذي لا يكون
احد من المتقين حتى يترك ما لا باس به وقال الحسن ادركنا قوما
كانوا يتركون سبعين بابا من الحلال خشية الوقوع في باب من الحرام
ومن ثم قيل الصغيرة تجر الى الكبيرة والكبيرة الى الكفر وقال بعض
السلف المعاصي بريد الكفر وقيل انه حديث ويؤيده قوله تعالى
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى الترمذي
عن ابي هريرة ان الرجل ليصيب الذنب فيسود قلبه فان هو
تاب صقل قلبه وفي رواية ان العبد اذا اذنب ذنبا كانت نكتة
سوداء في قلبه كلما زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران وفي
رواية

رواية ان هذه القلوب تصدى كما تصدى الحديد قيل فما جلاؤها
يا رسول الله قال ذكر الموت وتلاوة القران وحاصله ان من اكثر من موافقة
الشبهات اظلم قلبه لفقدان نور الورع فيقع في الحرام ولا يشعر بالحرام وحاصله
انه ما قارب الشيء خالطه غالبا ومنه قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها
نهى عن المقاربة حذرا من المواقعة واليسير من الخمر ليس محذورا في نفسه
وانما حرم لئلا يتدرج منه الى الكثير المحذور وكذا الخلوة بالاجنبية لا
محذور فيها لا لكونه داعية بالتدريج الى الوطي المحرم وكذا قبلة الصائم
اذا حركت شهوته انما تكره لئلا يندرج الى الوطي المفسد للصوم ومنه قوله
عليه السلام لعن الله السارق يسرق البيضة فيقطع يده اي يتدرج من
سرقة ما لا قطع فيه الى سرقة ما يقطع به هذا وفي رواية للصحيحين
ومن اجترا على ما يشك فيه من الاثم اوشك ان يقع فيما استبان اي الحرام
الذي ظهر وتبين وفي رواية لغيرهما ومن يخالط الريبة يوشك ان يجسر
على الحرام المحض وفي حديث مرسل من يرعى بجانب الحرام يوشك ان يخالطه
ومن تهاون بالمحقرات يوشك ان يخالط الكبائر وجعل الامران الحرام البين
ابتلاء للعامة والشبهة اختبار للخاصة كالراعي اي حاله كحال الراعي للابل
ونحوها يرعى اي دوابه حالا وصفة لان الراعي في المعنى كالنكرة حول الحمى بكسر
الحاء ما يحمى من الارض لاجل الدواب ويمنع دخول الغير وهو لغير جائز الا للنبي
صلى الله عليه وسلم لقوله لا حمى الا لله ورسوله وقد حمى صلى الله عليه
وسلم حرم المدينة عن ان يقطع شجره او يصاد صيده وفي معناه الخليفة
اذا حمى لابل الصدقة كما روي عن صنيع عمر رضي الله عنه يوشك قال المص
هو بضم الياء وكسر الشين اي يسرع ويقرب ان يرتع بفتح الياء والتاء اي الراعي

يرعى ماشيته فيه اى فى الحمى لعدم الاحتماء بناء على تساهله فى المحافظة وجراته
على الرعى والمخالفة فيستحق العتاب والعقاب وهذا ضرب مثل وفائدته تجليه
المعانى المعقولة بصور المحسوسات لزيادة كشف المقوله وله شان عجيب فى
ابراز الحقائق ورفع الاستار عن وجوه الدقائق ثم نبّه بكلمة الا على امور خطيرة
فى الشرع فى ثلاثة مواضع من هذا الحديث ارشادا الى ان كل امر دخل حرف التنبيه
لجلالة شانه التنبيه يستحق ان تنبه المخاطب له ويستانف الكلام
لاجله فقال الا وهى مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفى فتفيد التنبيه على تحقق
ما بعدها ولافادة التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به
القسم كقوله تعالى الا ان اولياء الله وان لكل ملك اى من ملوك العرب حمى يمنع
الناس عنه ويعاقبون عليه عليه كما فى الجاهلية فقيل هو عطف على انه يفهم
من لفظه الا انه ومن قوله ان لكل ملك احقق فبهذا التاويل صح العطف
اذ عطف المفرد على الجملة لا يصح الا باعتبار ان يتضمن المفرد معنى الفعل
كما فى قوله تعالى فالق الاصباح وجعل الليل سكنا على قراءة الكوفيين والاولى
ان يقال هنا انها واو الابتداء التى سمتها النحاة واو الاستيناف الدالة
على انقطاع ما بعدها عما قبلها فى الجمل كما ذكره صاحب المغنى او هى عطف — اذ عطف الجملة على المفرد ظ
على الكلام السابق ولفظة الا متوسطة اى ان الحلال بين وكذا وكذا
وان لكل ملك حمى او على مقدر يناسب المقام كما ذكره الزمخشرى فى قوله تعالى
اوكلما عاهدوا اى الكفار التودع والتهاون مما تتبع ميلان القلب الى الصلاح
والفساد نبه على ذلك بقوله الا وان حمى الله محارمه اى المعاصى كما فى
بعض الروايات ويطلق المحارم على المنهيات وعلى ترك المامورات قال
المص معناه الذى حماه الله ومنع دخوله هو الاشياء التى حرمها انتهى الحديث

ويشير

ويشير الى قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها الا وان فى الجسد مضغة
اى قطعة لحم قدر ما يمضغ وهى كما قيل صغيرة فى الجرم كبيرة فى الجرم اذا صلحت
بفتح اللام وضمها والفتح افصح صلح الجسد كله اى اعضاء البدن جميعها
من العين والاذن واللسان وساير الاركان واذا فسدت بفتح السين وبضم
والاول هو الرواية على ما صرح به الكازرونى فسد الجسد كله لما روى انه
عليه السلام راى رجلا يعبث بلحيته او يلعب بثوبه فى صلاته فقال لو خشع
قلبه لخشعت جوارحه الا وهى اى تلك المضغة الموصوفة القلب سمى به لتقلبه
فى امره وانقلابه بقضاء الله وقدره وفى الحديث ان القلب كريشة بارض فلاة
تقلبها الرياح وقد قال الشاعر ٭ قد سمى القلب قلبا من تقلبه ٭ فاحذر على القلب
من قلب وتحويل ٭ والمعنى ان صلاح الجسد تابع لصلاح القلب وفساده تابع
لفساده لان القلب مبدا الحركات البدنيه والارادات النفسيه فان صدرت
عنه اراده صالحة تحركت الجسد بحركة صالحة وان صدرت عنه اراده فاسدة
تحرك الجسد بحركة فاسدة فاهم الامور مراعاة القلب فى انقياد الرب فمن صلح
قلبه بالايمان والمعرفة والعلم ونية الخير والاحسان صلح الجسد كله بالاعمال
المرضية والاحوال البهيه واذا فسدت القلب بالجحود والشك والكفران
فسد الجسد بارتكاب الفجور والعصيان فعلى المكلف ان يقبل عليها فى جميع الحالات
ويمنعها عن الانهماك فى الشهوات حتى لا تبادر الى الشبهات ولا يستعمل جوارحه
باقتراف المحرمات ثم اعلم ان الجمهور ذهبوا الى ان العقل فى القلب ويؤيده قوله — مطلب
تعالى افلم يسيروا فى الارض فيكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله عز وجل ان فى
ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى عقل فلعدم انفكاكه عنه كانه عينه ونسب
الى ابى حنيفه ان محله الدماغ وهو مذهب الحكماء بدليل انه اذا فسد فسد

ولا يبعد ان يكون له تعلق ما بالدماغ فى حال من احواله فيختل باختلاله
والحاصل انه كالملك فى القضية والاعضاء كالجند او كالرعية وفيه
من الاشارة انه حمى الله سبحانه فلا ينبغى ان يتعرض لما يقتضى من نقصان
شانه وشبه بالعين والبدن كمزرعته فان عذب ماؤها عذب زرعها
وان ملح ملح وهو كالعين الاعضاء كالانهار وهو كالارض والاعمال
كالنبات كما يشير اليه قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى
خبث لا يخرج الا نكدا ثم الانسان تميز عن الحيوان بالقلب الذى هو محل
العقل الكامل فيميز بين مصالح الامور ومنافعها وبين مفاسدها
ومضارها ويطلع به على الكليات والجزئيات يفرق به بين الواجبات
والجائزات والمستحيلات واذا عرفت ان هذا القلب لم شرف من حيث
صورته الكلية بل من حيث هو محل لتلك الخاصية الالهية علمت
انه اشرف الاعضاء واعز الاجزاء وان غيره مسخرة له ومطيعة فيما
استقر فيه ان خيرا فخير وان شرا فشر فعند ذلك انكشف لك معنى قوله
اذا صلحت الى اخر ما هنالك وقيل الحواس مع القلب بمنزلة بيت للملك له
خمس طاقات يشاهد من كل منها ما لا يشاهده من الاخر ثم مما يصلحه تدبر القران
وخلو الجوف وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين واتمه الاعظم
اجتناب المحرمات واحتراز الشبهات فان اكل الحلال ينوره ويصلحه واكل
الشبهة والحرام يصديه ويقسيه ويظلمه ولذا قال تعالى كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا قال الغزالى الطعام بذر الافعال ان دخل حلالا خرج حلالا
وان دخل حراما خرج حراما وان دخل شبهة خرج شبهة انتهى وقيل انه يخاف
على اكل الحرام ان لا يقبل له عمل ولا يسمع له دعاء لقوله تعالى انما يتقبل الله من

المتقين

المتقين ولما شرب ابو بكر رضى الله عنه جرعة من لبن استقاها فاجهده
ذلك حتى تقيا فقيل له اكل ذلك فى شربة فقال والله لو لم تخرج الا بنفسى
لاخرجتها سمعت رسول الله يقول كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به
وقد قال يوسف بن اسباط اذا تعبد احد قال الشيطان انظروا من اين مطعمه
فان كان مطعمه سوءا قال دعوه لا تشتغلوا به دعوه يجهد وينصب
فقد كفاكم شره وسئل سفيان الثورى عن فضل الصف الاول فقال
انظر كيف كسرتك التى تاكلها من اين تاكلها وقم فى الصف الاخير وهذه
مصيبة عظمى وبلية كبرى فى زماننا هذا اذ المكاسب فسدت والمحارم
كثرت مع ضرورة المخالطة والحاجة الملجية الى المعاملة وعلى هذا فالخلاص
بعيد والامر شديد وقد بلغنى عن شيخ مشايخى العالم الربانى مولانا اسمعيل الشيروانى
انه قال من يوم دخلت الصرة والوظيفة فى الحرمين الشريفين ذهبت الولاية
وسبب ذلك انهم كانوا قبل ذلك يتعيشون بالمكاسب الشرعية من التجارة و
الزراعة والمواهب الغيبية والفتوحات المكية من حيث لا يحتسبون ثم
ابتلوا فى هذه الازمنة باكل مال الحرام كعشور جده او الشبهة كالصرة فصار
ائمتهم واذانهم وقراءتهم ونحو ذلك كلها معلولة ويبعد كونها خالصة مقبولة
وبحكم البلية اذا عمت طابت لم يبق فى قلوب اهلها تحاش من تناولها بل عرض
لهم مرض الاستسقاء حيث لا اكتفاء لهم بشرب الماء ولا يقنعون
بمقدار الضرورة حتى يكون لهم فى الجملة نوع من المعذرة فان الضرورات
تبيح المحظورات بل يتعدون عن حد الفقراء ويصلون الى مرتبة الاغنياء
وهم يزاحمون المساكين على حقوقهم من سكنى الخلوة ووظيفة الخزمة
ولا يفرقون بين الحل والحرمة فنسال الله العفو والعافية وحسن الخاتمة عند العاقبة

الكسرة پاره نان

قال بعض العارفين القلب صدف سهام القهر واللطف ومظهر الجمال و
الجلال ومنشا البسط والقبض ومبدا المحو والصحو ومنبع الاخلاق
الرضية والاحوال الردية فاذا وقعت هذه المضغة في بحار المنكرات مالت
من تاثير القهريات الى عالم الشهوات وافاضت الى الجوارح مباشرة السيئات
واذا وقعت في بحار المعارف مالت ببعث المحبة والشوق الى المشاهدة
فاستنارت فنورت العقل والحس والروح والصورة فيتولد من حسن
جوارها خشوع الصورة في هيئته وصلاح الجوارح في خدمته ثم له ظاهر
وهو المضغة الصنوبرية المودعة في تجويف الايسر من الصدر وهو محل
اللطيفة الانسانية ولذا نسب اليه الصلاح والفساد في الامور الدنيوية
والاخروية وله باطن وهو اللطيفة النورانية الربانية العالمة
التي هي مهبط الانوار الالهية الصمدانية وبها يكون الانسان انسانا
وبها يستعد لاكتساب الاوامر واجتناب الزواجر وهي خلاصة تولدت
مطلب
من الروح الروحاني ويعبر عنها بالنفس الناطقة قال تعالى ونفس وما سوّاها
وبالروح قال عز وجل قل الروح من امر ربي وهو مقر الايمان كما في القران
اولئك كتب في قلوبهم الايمان كما ان الصدر محل الاسلام كما قال عز وعلا
افمن شرح الله صدره للاسلام والفؤاد مقر المشاهدة لقوله سبحانه
ما كذب الفؤاد ما راى واللب مقام التوحيد لقوله انما يتذكر اولوا
الالباب اي الذين خرجوا من قشر الوجود المجازي وبقوا بلب الوجود الحقيقي
لكن معرفته كما هي متعذرة والاشارة الحقيقية على ارباب الحقائق واصحابها
متعسرة رواه البخاري ومسلم وكذا الاربعة على ما في الجامع الصغير و
ولفظه الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير
من

من الناس فمن اتقى المشتبهات استبرا لعرضه ودينه ومن وقع المشتبهات
وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله تعالى في ارضه
محارمه الحديث وروى الطبراني في الاوسط عن عمر مرفوعا ولفظه الحلال
بين والحرام بين فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وروى الترمذي وابن ماجه
والحاكم في مستدركه عن سلمان مرفوعا ولفظه الحلال ما احل الله في كتابه
والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه **الحديث**
السابع عن ابي رقية بضم الراء وفتح القاف وتشديد الياء اي التحية
قال المص ابنة له لم يولد له غيرها تميم بن اوس الداري نسبة الى جد له
اسمه الدار وقيل الى موضع يقال له دارين ويقال فيه ايضا الديري نسبة
الى دير كان يتعبد فيه وقد بسطت القول في ايضاحه في اوائل شرح مسلم قاله
المص رضي الله عنه كان نصرانيا وقدم المدينة فاسلم وذكر النبي عليه السلام
قصة الجساسة والدجال انه وجده هو واصحابه في البحر فحدث النبي عليه السلام
بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه اذ لم يقع نظيره لغيره في قرابته
فيكون من رواية الاكابر عن الاصاغر قال ابن السكن اسلم سنة تسع هو
واخوه نعيم ولهما صحبة وقال ابو نعيم كان راهب اهل عصره وعابد اهل
دهره في فلسطين وهو اول من اسرج السرج في المسجد واول من قص
في زمن عمر باذنه انتقل الى بيت المقدس بعد قتل عثمان وسكن فلسطين
وكان عليه السلام اقطعه بها قرية وكان كثير التهجد يختم القران في ركعة
قام ليلة بقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية حتى اصبح
مات سنة اربعين ودفن ببيت جبريل او جبرين من بلاد فلسطين وهو
قرية من قرى الخليل روى له ثمانية عشر حديثا لمسلم منها واحد وهو هذا الحديث

مطلب

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين اى دين الاسلام يعنى مدار قوامه
ومعظم مرامه النصيحة مأخوذة من النصح ضد الغش من نصحت العسل
اذا صفيته وهى كلمة جامعة تفسيرها ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن
ان يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها كما قالوا فى الفلاح ليس كلمة
اجمع لخير الدنيا والآخرة منه وزيد فى المشكوة ثلاثا ثم لما كانت النصيحة من
الامور الاضافيه استفصلت لرفع الحالة الابهامية قلنا معشر الشاميين
من الصحابة والظاهر ان السوال وقع من بعض ارباب الحال لكن لما كان يرضى
بقية ارباب الكمال نسب اليهم المقال لمن اى النصيحة لمن والنكته فى الابهام او
لا ثم التبيين ثانيا كون القضيه اوقع فى النفس لما اذا هجمه من اول وهلة و
فى حال غفلة قال اى النبى عليه السلام لله اى بالايمان بوجوب وجوده و
اثار كرمه وجوده وبصفاته الثبوتيه والسلبيه والاضافيه وبافعاله
المحمودة المرضية وبان يعلم ان كل ما سواه فانما احدث بقدرته القوية ومشيته
الجلية وحكمته الخفية وباحكامه بان يعلم انها غير معلله وان المراد
من شرعها منافع عائدة الى العباد ولا يجب عليه شئ ان اثاب فبفضله وان
عذب فبعدله ثم باخلاص الطاعة واجتناب المعصية وهذه الاوصاف
راجعة الى العبد فى نصيحته نفسه فان الله غنى عن العالمين وعن نصح
الناصحين وحكى ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله
من الناصح لله قال الذى يقدم حق الله على حق الناس هذا والمفهوم من
شرح ابن حجر زيادة عز وجل هنا فى المتن وهو غير موجود فى الاصول
ولكتابه بان يعتقد انه كلامه ويعتبر بمواعظه ويتدبر فى عجائبه و
غرائبه ويعمل بمحكمه ويسلم فى متشابهه ويكل علمه الى عالمه ويذب عنه

تاويل

هجم عليه انتهى اليه بغتة او دخل عليه بغير اذن كذا فى القاموس

تاويل المحرفين وطعن الطاعنين وينشر علومه ويبحث عن عمومه وخصوصه
وناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقيده ومجمله ومبينه ويحفظ
مبانيه ويرعى معانيه ويعمل بما فيه والمراد بالكتاب القران لان الايمان به يتضمن
الايمان بجميع الكتب المنزلة او جنس الكتب السماوية لان الجنس المضاف يفيد العموم
كما تقرر فى الاصول ولرسوله بالايمان به وبجميع ما جاء به والانقياد لاوامره
والامتثال لزواجره ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه ونصرة ملته
ونشر دعوته واحياء سنته ومحبة اهل بيته وصحابته والمراد به محمد صلى الله
عليه وسلم او الجنس ليشمل الانبياء والملك ايضا لانهم رسل الى الانبياء
كما قال تعالى جاعل الملائكة رسلا ولائمة المسلمين بان ينقاد لطاعتهم و
لا يخرج عليهم والامام من له خلافة الرسول فى اقامة الدين بحيث
يجب اتباعه على الخلق اجمعين قال الخطابى ومن النصيحة لهم الصلوة خلفهم
والجهاد معهم واداء الصدقات اليهم انتهى ويعنى بالاخير ما اذا كانوا عدولا
فى حكمهم والا فالاخفاء عنهم وصرفها الى المستحقين اولى ان لم يخش ضررا
منهم وفى معناهم العلماء الاعلام بقبول ما رووه من الاحكام واحسان الظن بهم
فيما استنبطوه من فروع الاسلام وعامتهم بارشادهم الى مصالحهم ومنافعهم
والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ودفع الضر عنهم وجلب الخير اليهم وستر
عوراتهم وسد خلاتهم وتوقير كبيرهم وشفقة صغيرهم وان يحب لهم
ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر وقد قال بعض السلف
من وعظ اخاه سرا فهى نصيحة ومن وعظه على رؤس الناس فهى فضيحة
هذا ولم يقل ولعامتهم للاشعار بان عامة الامة اتباع للائمة رواه مسلم
منفردا به عن تميم وليس له فى صحيحه عنه سواه واخرجه البخارى فى

صحيحه تعليقا وفى بعض النسخ رواه البخارى ومسلم وهو كذا فى الاذكار و
المشكوة ورياض الصالحين لكن فيه مساهلة ومسامحة لان العبارة يقتضى
ان يكون البخارى فى صحيحه روى هذا الحديث متصلا مسندا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من طريق تميم الدارى وليس كذلك بل انما اورده فى ترجمه باب
حدون ذكر تميم الدارى نعم تقدم انه روى صدر هذا الحديث فى تاريخه عن ثوبان كذا وجد فى الاثنين
فالصواب الاكتفاء بقوله رواه مسلم والله اعلم

الحديث الثامن

عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت اى
امرنى ربى وفائدة العدول عن التبيين دعوى التعيين والتعويل على شهادة
العقل اذ ليس بامره غيره عز وجل ان اقاتل الناس اى بان اقاتلهم اذ تعدية
الامر تقل بغير حرف الجر نحو امرتك الخير لكن ما امرت به والمراد بالناس عبدة
الاوثان دون اهل الكتاب كما ذهب اليه اكثر شراح الحديث لان غاية مقاتلتهم
ليس ما ذكر فقط بل اما ذاك او اعطاء الجزية او المراد بهم الاعم لكن خص منه
اهل الكتاب بالاية ذكره الطيبى قيل وهو الاولى لان الامر بالقتال انما نزل بالمدينه
مع كل من يخالف الاسلام قال ابن الصباغ فى الشامل لما بعث النبى عليه السلام
فرض عليه التوحيد والتبليغ وقراءة القران لقوله اقرأ باسم ربك الذى خلق
ثم فرض الصلوة بمكة وفرض الصوم بعد السنتين من الهجرة والحج فى السنة السادسة
او التاسعة واما الزكوة فقيل بعد الصيام وقيل قبله واما الجهاد فلم يؤذن له
بمكة واذن له بالمدينة لمن ابتدء به ثم ابتداءهم به دون الحرم والاشهر الحرم ثم
نسخ ذلك وابيح ابتداؤهم فى الاشهر الحرم والحرم واما قول الخطابى ان المراد بالناس
عبدة الاوثان لان اهل الكتاب يقولون لا اله الا الله ثم يقاتلون ويرفع عنهم
السيف حتى يقروا بالشهادتين فيحمول على رواية ابى هريرة من اقتصارها على

لا اله

لا اله الا الله لا على رواية ابن عمر بقوله حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله محمد رسول الله مع ان التحقيق فى المراد بلا اله الا الله
كلمتا الشهادة وان الاقتصار عليها من باب الاكتفاء وصار هذه الكلمه
علما للجملة ولذا ورد فى كثير من الاحاديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن
كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة واما قول ابن حجر ان تخصيص جمع
من الشراح الناس بما قال الخطابى وهم فانما هو وهم منه لعدم فهم كلامهم و
غرض مرامهم على ما قررنا بتبيانه وحررنا برهانه هذا وفى رواية حتى يقولوا و
هى صريحة فى عدم اشتراط لفظ الشهادة وفى الرد على من يقول بعدم صحة التقليد
فى باب التوحيد بل ايمان المقلد صحيح عند ارباب التاييد قال المص وهو مذهب
المحققين والجماهير من السلف والخلف واشتراط تعلم ادلة المتكلمين و
معرفة الله تعالى والا لم يكن من اهل القبلة خطا ظاهر فان المراد بالايمان هو التصديق
الجازم وقد حصل ولانه صلى الله عليه وسلم اكتفى بالتصديق بما جاء به ولم يشترط
المعرفة بالدليل وقد تظاهرت هذه الاحاديث فى الصحيح يحصل بمجموعها التواتر
والعلم القطعى انتهى ويقيموا الصلوة ويوتوا الزكوة خصهما بالذكر من بين اركان
الاسلام اهتماما بشانهما لانهما امّا العبادات البدنية والمالية واساسهما
والعنوان على غيرهما ولذا سمى الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام وقد قرن
بينهما فى القران اوهما والمعنى حتى يقبلوا احكام الاسلام وينقادوا وتحت الاحكام
والا فبمجرد الشهادتين لا يجوز المقاتلة معهم حيث اتوا بنظام المرام ولا يتوقف
اجراء احكام الاسلام على اداء الصلوة وايتاء الزكوة باجماع العلماء الاعلام و
اغرب ابن حجر فى هذا المقام حيث قال فيه دليل لقتل تارك الصلوة وادعى ان
عليه اكثر العلماء لانه غيّى الامر بالقتال ولا يخفى ما فيه من تزييف المقال اذ القائل

يقتل تاركهما لا يخرجه عن كونه مسلما بل يقتله حدا كقتل القاتل
قصاصا وهو مناف لان يكون غاية للمقاتلة مع ان المقاتلة
مع الكفار والقتل مع الفجار على ان الشافعية لم يقولوا بقتل
تارك الزكوة وقد وقع الاجماع على قتال مانعيها بطريق الامتناع
كما وقع فى زمن الصديق والفاروق ومن تبعهما من اهل التحقيق
ولم ينقل من السلف والخلف انهم قتلوا احدا بترك صلوة او زكوة
بل ولم يشترط احد لمريد الاسلام التزام صلوة ولا زكوة بل روى عن
الامام احمد انه قبل اسلام من اشترط ان لا زكوة ولا جهاد ومن
اشترط ان لا يصلى الا صلاتين ومن اشترط ان يسجد من غير
ركوع وهذا مبنى على ان الاسلام يصح على الشرط الفاسد ثم يومر بالشرائع
كلها وهذا هو المناسب لمقام التدريج فى احكام الاسلام وقد جاء فى
حديث ضعيف على ما قيل انه عليه السلام لم يكن يقتل من اجاب الى
الاسلام الا باقام الصلوة وايتاء الزكوة وهذا لا ينافى قتال اهل
الردة وامتناعهم اداء الزكوة بعد انقيادا احكام الاسلام وحديث
ابى هريرة فى صحيح مسلم كالتصريح ما ذهبنا اليه وهو انه صلى الله عليه
وسلم يوم خيبر حين اعطى الراية لعلى فقال على ما اقاتلهم قال على ان
يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا
ذلك عصموا منك دماءهم واموالهم الا بحقها فجعل مجرد الاجابة
اليهما عاصمة للنفوس والاموال الا بحقهما ومنه حديث معاذ
لما بعثه الى اليمن امرهم ان يدعوهم اولا الى الشهادتين وان من اطاعه امرع ظ
بهما اعلمه بالصلوة ثم بالزكوة نعم نقاتل قوما او اهل قرية انفقوا

على

قتل ظ

على ترك الصلوة وكذا فى ادنى شعائر الاسلام كالاذان على ما صرح به
علماؤنا الاعلام الا انه لا يجوز فعل كل فرد منهم بعلة ترك الصلوة
والاذان اجماعا الا ما قال الامام احمد من ان تارك الصلوة متعمدا كافر
يعنى يصير كافرا بحدوث تركها والجمهور اولوا الحديث بان المراد بقوله
من ترك صلوة متعمدا فقد كفر اى النعمة او قارب الكفر او يخشى عليه الكفر او
محمول على المستحل فاذا فعلوا ذلك اى ما ذكر من الشهادتين والاقامة
والايتاء واطلاق الفعل على المشار اليه مع ان بعضه قول اما باعتبار
انه عمل اللسان المعبر عن عمل الجنان او على سبيل تغليب الاثنين على الواحد
عصموا بفتح الصاد اى حفظوا منى اى من تعرضى دماءهم واموالهم
فان قيل جعل غاية المقاتلة وجود ما ذكر فمقتضى الحديث ان من شهد وا
قام واتى يترك القتال معه وان جحد ما جاء به النبى عليه السلام
لكنه كذلك اجيب بان الشهادة برسالته يتضمن التصديق بجميع ما جاء
به مع ان قوله الا بحق الاسلام يدخل فيه جميع ذلك وانما خصصنا بالذكر
لما قدمناه هنالك والمراد بحق الاسلام القتل بالقصاص والزنا و
القطع بالسرقة وغرامة ما اتلف من مال اخيه المسلم ونحو ذلك وانها
حدود واجبة لاحكام بحق الاسلام والمسلم التزمها باسلامه فيقام عليه
بمقتضى التزامه والمعنى فاذا فعلوا ذلك لا يتعرض لهم بسبب من الاسباب
بحدث هنالك الا بحق الاسلام وحسابهم اى محاسبة بواطنهم على
الله تعالى اى انا احكم فيهم بهذه الاحكام ظاهرا وحسابهم يتعلق الى
الله عز وجل باطنا فرب عاص يصادف عند الله عز وجل خيرا فى الباطن
وبالعكس كحديث نحن نحكم بالظواهر والله اعلم بالسرائر وكحديث ما امرت

ان اشق عن قلوب الناس ولا ابطونهم وقال لاسامة فهلا شققت
عن قلبه وفيه دليل على ان من اظهر الاسلام وابطن الكفر قبل اسلامه
ظاهرا وهو ما ذهب اليه الجمهور وقال مالك واحمد لا تقبل توبة الزنديق
وكذا قال البعض علمائنا رواه البخاري ومسلم ما عدا قوله الا بحق الاسلام
ولما كان الاعتبار لاكثر الكلام صح اسناده الى مسلم في هذا المقام فاندفع
قول ابن حجر وعجيب من المصنف مع شدة تحقيقه وحفظه كيف اوهم
ان كلا من الشيخين خرجه انتهى ويؤيد ما قلنا ان السيوطي
ذكر هذا الحديث في الجامع الصغير وقال رواه الشيخان والاربعة
عن ابي هريرة مرفوعا ولفظه امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا
اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله وذكره في الكبير ايضا وقال رواه ابن جرير و
الطبراني في الاوسط عن انس ولفظه امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها قيل
وما حقها قال زنا بعد احصان او كفر بعد اسلام او قتل نفس فيقتل بها وفي
حصر الثلاثة في معرض البيان دلالة على ان تارك الصلوة لا يقتل فتامل
ولا يغرك قول ابن حجر من ان سياق الحديث والكان في الكافر لكن المسلم اولى
منه بذلك لانه تركها مع اعتقاده وجوبها بخلاف الكافر الاصلي فانه ممنوع
ومدفوع بان المسلم معصوم الذمة الا ان ترك احدى الثلاثة المذكورة
على ما ورد بصيغة الحصر في حديث صحيح بلفظ لا يحل دم امرئ مسلم الا
باحدى ثلاث الحديث كما سياتي في اصل الكتاب هذا وجاء في رواية للشيخين
عن ابي هريرة امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا

فخدیعا

وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وفي رواية
حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله عصم مني الى آخره واخرجه مسلم
عن جابر بهذا اللفظ وزاد ثم قرأ انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر واخرجه مسلم
عن انس ولفظه امرت ان اقاتل المشركين حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله وان يستقبلوا قبلتنا وان ياكلوا ذبيحتنا وان يصلوا صلاتنا
فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم واموالهم الا بحقها لهم ما للمسلمين واخرج
الذهبي عن يونس بن بكير عن قتادة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت طوائف
كثيرة من العرب عن الاسلام ومنعوا الزكوة اي ومنهم من منع الزكوة ولم يكفر
اليه كما صرح به غيره فنهض ابو بكر لقتالهم فاشار اليه عمر وغيره ان يفتر عن قتال
مانعي الزكوة فقال والله لو منعوني عقالا او عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله
عليه السلام لقاتلتهم عن منعها فقال عمر كيف يقاتل الناس وقد قالوا لا اله الا الله
وقد قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا
قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فقال ابو بكر لاقاتلن من فرق
بين الصلوة والزكوة فان الزكوة حق المال وقد قال الا بحقها قال عمر فوالله ما هو الا
رايت الله شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق انتهى وبهذا يندفع قول ابن حجر
ومن العجب ان حديث ابن عمر هذا الذي ساقه المصنف في قتال مانعي الزكوة ولم يبلغه
ابا بكر وعمر رضي الله عنهما مع تشاجرهما واختلاف رايهما فاستدل ابو بكر بالحديث
الثاني وعمر بانه اقتصر على قول لا اله الا الله انتهى ولا يخفى ان عمر وغيره رضي الله
عنهم ذهبوا الى ان اكثر الاحاديث فيه الاكتفاء بالشهادتين في الغاية فلا يجوز
قتال مانعي الزكوة كما لا يجوز قتال تارك الصلوة واختار ابو بكر انه يجوز قتال قوم
تركوا من شعائر الاسلام شيئا من ترك صلوة وزكوة وجمعة وجماعة واذان ونحوها

من حقها ورجعوا الى قوله رضى الله عنه فيكون اجماعا واما قتل احد بترك
صلوة اوزكوة اوجمعة ونحوها مع اقراره بالفرضية فلا يعرف له سند
مرضى فى القضية وحاصل جميع الاحاديث انه امران يقاتل الكفرة حتى يقروا
بالتوحيد والنبوة وان ينقادوا لاحكام الملة ثم اعلم ان فى هذا الحديث اشارة
الى نور التوحيد وظهور التفريد وهو وضوح فناء اثار الخلق بتشعشع انوار
بقاء الحق وله مراتب منها التوحيد النظرى ان علم بالاستدلال او التقليدى ان
علم بمجرد تصديق المخبر الصادق فى مقام الكمال وسلم القلب فى توحيد الرب عن الشبهة
والحيرة والريبة وهو ان يعتقد ان الله متفرد بوصف الالوهية متوحد باستحقاق
العبودية كما اشار اليه فى الحديث ان به يحقن الدماء والاموال ويتخلص من
الشرك الجلى فى الاحوال ومنها التوحيد العلمى وهو ان يصير العبد بخروجه من
غشاوة صفاته وخلاصه من سجف ظلمات ذاته وانسلاخه عن لباس الاغيار
حيران فى فضاء انوار عظمة الجبار ولهان تحت سبحات سطوات الانوار فيعرف
ان الموجد الحق والمؤثر المطلق هو الله الواحد القهار وان كل ذات فرع من نور ذاته
وكل نعت من علم وقدرة وارادة وسمع وبصر عكس من انوار صفاته واثر من اثار افعاله
واسرار مصنوعاته ومنشاؤه نور المراقبة ومنها التوحيد الحالى وهو ان يصير
التوحيد وصفا لازما لذات الموحد بتلاشى ظلمات رسوم وجود الغير الا قليلا
فى غلبة اشراق نور التوحيد واستتار حاله فى نور علم التفريد كما قال بعض اهل
التايد • فلما استنار الصبح ادرج ضوءه • باسفاره اضواء نور الكواكب •
واستغراقه فى مشاهدة جمال وجود الواحد بحيث لا يظهر عند شهوده الا
ذات الواحد ويرى الواحد لا صفته بل يرى ذلك هناك قال الجنيد التوحيد
معنى يضمحل فيه الرسوم ويندرج فيه العلوم ويكون الله كما لم يزل ومنها

التوحيد

حقن منع يقال حقن دم فلان اذا انقذه عن القتل

السجف الستر

التوحيد صفة

التوحيد الالهى وهو ان الله تعالى كان فى الازل موصوفا بالوحدانية
فى الذات وبالاحدية فى الصفات كان ولم يكن معه شئ والان كما كان
كل شئ هالك الا وجهه ولم يقل يهلك لان غرق وحدانيته لم تدع لغيره
وجودا وفى هذا المعنى انشد العارف الانصارى لنفسه شعرا شريف
المبنى ظريف المعنى • ما وحد الواحد من واحد • اذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته • عارية ابطلها الواحد • توحيده اياه توحيده
ونعت من ينعته لاحد • ثم اعلم ان كل جمع ليس بعده تفرقة فهو الحاد و
زندقة فنرجع عن هذا التدقيق ونقول فى مقام التوفيق ان التحقيق هو ان
يقال الشهادة اشارة الى تخلية لوح القلب عن الشرك الجلى والخفى و
سائر النقوش الكونية ثم تجليته بالمعارف والحكم الالهية والاعتقادات
الحقيه واحوال المعاد وغيرها من الامور الاخروية لان من اثبت ذات
الله بجميع اسمائه وصفاته التى دل عليها اسم الجلالة ونفى غيره وصدق رسالة
النبى بنعت الصدق والامانة فقد وفى بعهدة عهده وبذل نهاية جهده
فى بداية جهده وامن بجميع ما وجب من الكتب والرسل والمعاد ولذا
لم يتعرض فى الحديث لاعداد سائر الاعداد ثم اقامة الصلوة ارشاد الى
ترك الراحات البدنية واتعاب الالات الجسدية وهى ام العبادات التى اذا
وجدت لم يتاخر عنها البقية ولذا استغنى عن عد ما عداها وعن ترك السيئات
بعدها فان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم ايتاء الزكوة هو الاعراض
عن الفضول المالية بل عن كل الموجودات الوهمية وبذل المال الذى هو
شقيق الروح لاستفتاح ابواب الفتوح ولرفع المانع عن الاشتغال
بمقامات ارباب الكمال ولعدم الانس بالفانى عن الباقى من مطالعة الجمال

ومشاهدة الجلال والله سبحانه اعلم بحقيقة الأحوال **الحديث**
التاسع عن ابي هريرة قيل بالتنوين وصوبه جماعة لانها جزء علم و
اختار اخرون منع صرفه كما هو الشايع على السنة العلماء من المحدثين وغيرهم لان
الكل صار كالكلمة الواحدة واعترض عليه بانه يلزم عليه رعاية الاصل والحال
معا وكلمة بل في لفظ هريرة اذا وقعت فاعلا مثلا فانا نعرب اعراب المضاف اليه
نظر الحال ونظيره خفي في جنس المقال قال بن حجر ويجاب بان الممتنع رعايتهما من
جهة واحدة لان من جهتين كما هنا وكان الحامل عليه لخفة واشتهار هذه الكنية
حتى نسي الاسم الاصلي بحيث اختلفوا فيه اختلافا كثيرا انتهى ولا يخفى ان هذا
مما لا يسقي الغليل ولا يشفي العليل فالمعتمد ما قدمناه في الخطبة ان هريرة صارت
علما حتى كان يطلق عليها وهي كنية وسبب تلقيبه بذلك ما رواه ابن عبد
البر عنه انه قال كنت احمل يوما هرة في كمي فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذه فقلت هرة فقال يا ابا هريرة واختلف في اسمه على خمسة
وثلاثين قولا اصحها ما ذكره المص بقوله عبد الرحمن وقد روى ابن اسحق عنه
انه ابدل به في الاسلام عن شمس اسمه في الجاهلية ابن صخر رضي الله عنه اسلم
عام خيبر وشهدها ثم لازم النبي صلى الله عليه وسلم الملازمة التامة رغبة
في العلم راضيا بشبع بطنه في باب القناعة ومن ثم كان من احفظ الصحابة
قال البخاري روى عنه اكثر من ثمان مائة ما بين صحابي وتابعي توفي سنة
سبع وخمسين بالمدينة ودفن بالبقيع وما اشتهر ان قبره بقرب عسقلان
لا اصل له وانما ذاك صحابي اخر اسمه حيدرة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم عنه سواء كان نهي تحريم او تنزيه ليشمل
الحرام والمكروه فاجتنبوه اي اجعلوه في جانب واتركوه وفي رواية فدعوه

قاله

قاله في حجة الوداع حين خطب قائلا ايها الناس فرض عليكم الحج فقال اقرع
بن حابس اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم
لوجب ولما استطعتم وهذا الخطاب ونحوه يختص لغة بالموجودين عند
نزوله وعرفا تشمل من بعدهم لما هو معلوم من الدين بالضرورة ان هذه الشريعة
عامة الى يوم القيمة ولقوله حكمي على الجماعة وما امرتكم به فاتوا وفي نسخة
صحيحة فافعلوا منه اي مما امرتكم وجوبا في الواجب وندبا في المندوب
ما استطعتم ما قدرتم عليه فانه سبحانه يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
ولا يكلف نفسا الا وسعها وبهذا الحديث والاية الموافقة له يخص عموم
قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ثم هذا الحديث
موافق لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم واما قوله عز وجل اتقوا الله
حق تقاته فقيل منسوخ والاصح ان تلك مبينة لهذه وانما يتم هذا على
تفسير حق تقاته بامتثال امره واجتناب زجره واما على المشهور من
تفسيره بان يذكر فلا ينسى ويطاع فلا يعصى فالاوجه النسخ فان هذه لما
نزلت تخرجت الصحابة رضي الله عنهم منها وقالوا اينا يطيق ذلك فنزلت
والاظهر ان هذا التفسير بيان للتقوى الخاصة وما سبق للتقوى العامة
وعن احمد انه يؤخذ من الحديث ان النهي اشد من الامر لانه لم يرخص في
شيء منه والامر مقيد بالاستطاعة ويؤيده قول بعضهم اعمال البر يعملها البار
والفاجر والمعاصي لا يتركها الا الصديقون وقد يؤخذ من هذا الحديث
مبنى القاعدة المشهورة وهي ان درء المفاسد اولى من جلب المصالح فاذا تعارضت
مفسدة ومصلحة قدم دفعها على نفعها لان اعتبار الشارع بالمنهيات اشد
منه بالمامورات وهذا يوافق الحكمة البدنية ايضا من ان الاحتماء اولى من استعمال

مطلب التي لا يكون تركها معصية

الدواء فانما اهلك الذين من قبلكم اي صار سبب هلاكهم كثرة مسائلهم
اي ما لم يحتج اليها الضرورات وقيل الاستقصاء يحسن في الاخبارات ويقبح
في الانشائات وذلك كقصة بني اسرائيل في قضية البقرة ونحوها واختلافهم
قال المظهر برفع الفاء لا بكسرها يعني لفساد المعنى اي عصيانهم على انبيائهم
او ترددهم في انبائهم ثم اعلم ان هذا الحديث من جوامع الكلم وقد يتضمن احكاما
منها وجوب ترك المنهيات ومنها وجوب فعل المامورات لان الامر
فيهما للوجوب ومنها تحريم الاختلاف الموجب للاختلال وكثرة السؤال من غير
ضرورة داعية الى تلك الحال لانه توعد عليه بالهلاك والوعيد على الشيء
يقتضي تحريمه وقد قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا اما الاختلاف
فلانه سبب تفرق القلوب ووهن الدين وظهور العيوب كما جرى للخوارج حين
تبرا بعضهم من بعض وانحصوا وذلك حرام وسبب الحرام حرام واما كثرة
السؤال عن غير ضرورة به فمشعر بالتعنت ومفض اليه وهو حرام وقد نهى صلى الله
عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة السؤال وروى احمد انه عليه السلام نهى
عن الاغلوطات وهي المسائل المشكلات وورد سيكون اقوام من امتي
يغلطون فقهاءهم بعضل المسائل اولئك شرار امتي وقال الحسن شرار عباد
الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله وقال الاوزاعي ان الله
اذا اراد ان يحرم عبده بركة العلم القى على لسانه المغاليط فلقد رايتهم
اقل الناس علما وكان ابي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهما من افاضل
الصحابة اذا سئل احدهم عن مسألة يقول اوقعت فان قيل نعم قال فيها
بعلمه او احال على غيره وان قيل لا قال دعها حتى تقع ثم هذا كله فيمن يسأل
تعنتا وتكلفا واما من سال لحاجة وتعلم فهو مثاب لقوله تعالى فسئلوا

وحض عن الامر بحث والشمس زالت والحجة بطلت

اهل

اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون لا سيما اذا كان المسؤول عنه معدن الحقائق ومنبع
الدقائق وان كنت لا بد مستشيرا فمن اعظم البحر تستشرب وفي الحديث
اشارة الى وجوب اتباعه عليه السلام وتسليم ما جاء به من الاحكام من غير معارضة
ولا مدافعة اذ لم يترك شيئا يقرب الى الله الا امر به ولا شيئا يبعد عنه سبحانه
الا نهى عن ذلك وهي امور لا يرشد اليها بمجرد العقل اذ العقل لاقامة رسم
العبودية لا لادراك رسوم الربوبية بل تلك اسرار يكاشف بها من خص القدر
وخطيرة الانس القلب الاصفى للنبي المصطفى لانه من بين الخلق تخلق باخلاق
الحق فذو العرش محمود وهذا محمد قال السهروردي العارف وجاء مثالك
ايها المحجوب في قفص عالم الحكمة مثال الجنين في بطن الام فانه لو قيل له ان الله خلق
السموات والارض والعرش والكرسي والشمس والقمر ما يفهم ذلك ولا يهتدي الى
ما هنالك فانت ايها المتعقل بعقلك ذلك الجنين ما انشقت عنك مشايم
عالم الشهادة ولا انقضت بيضة وجودك بعد ما ولدت فاذا مت يقال
لك فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فستيقظ من رقدتك بموتك
وترى عالما ما رايته بعينيك كما قال بعضهم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
واما اهل الله وخاصته فوجدوا ذلك ذوقا ومالوا الى ما هنالك شوقا وقد قال قائلهم
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج
فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما
تركتكم فانما هلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا
امرتكم بشيء منه فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه هذا وقد قال تعالى

لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم فقيل انها نزلت فما سالوه عن الحج وقالوا
افي كل عام والمعنى ان جميع ما يحتاج اليه من امر الدين لا بد ان يتبين في القران المبين
فلا حاجة الى السؤال وانما المحتاج فهم ما فيه بمساعدة احاديث سيد المرسلين
قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وقد صح ان اعظم المسلمين
جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسالته وعن انس نهينا ان نسال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن شيء وكان يعجبنا ان يجيء الرجل من اهل البادية العاقل
فيساله ونحن نسمع وروى احمد انهم رشوا اعرابيا بردا حتى يسال لهم
ولعل هذا هو السبب لسؤال جبريل عليه السلام

الحديث العاشر

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى طيب اي حسن جيد ماخوذ من الطيب والمعنى طيب الثنا
مستلذ الاسماء وقيل فهو من اسمائه الحسنى لصحة الحديث به كالجميل لحديث ان
الله جميل يحب الجمال رواه البيهقي بسند صحيح عن ابي سعيد واما ما زاد ابن
عدي سخي يحب السخاء ونظيف يحب النظافة فسنده ضعيف وكذا ما
رواه الترمذي ان الله يحب الطيب نظيف يحب النظافة جواد يحب
الجواد في اسناده مقال والحاصل ان معناه متصف بجميع صفات
الكمال ومنزه عن سمت النقصان والزوال لا يقبل من الاعمال والاقوال و
الاموال والاحوال الا طيبا لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه والمعنى الا طاهرا خالصا من المفسدات كالعجب والريا او
حلالا احترازا من مال المغصوبات والربوا واعلم ان الطيب يطلق لمعان
منها المستلذ طبعا نحو هذا طعام طيب نحو قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من
النساء ومنها الحلال ويقابله الخبيث كقوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب

ومنها

ومنها الطاهر كقوله الطيبون الطيبات اي الطاهرون من العيوب الطاهرات
من الذنوب والله عز وجل طيب بهذا المعنى اي هو طاهر منزه عن جميع النقائص
والافات لا يقبل من الاعمال الا طاهرا من المفسدات ولا من الاموال الا طاهرا من
المحرمات ثم اعلم ان انتفاء القبول قد يؤذن بانتفاء الصحة كما في حديث لا يقبل
الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضا وقد يفسر القبول بالثواب ومنه
خبر احمد من صلى في ثوب قيمته عشرة دراهم فيه درهم حرام لم يقبل له صلوة
ما كان عليه ومنه قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فمعنى الحديث لا ينبغي
ان يتقرب الى الملك المتعال الا بما يكون حلالا من خيار المال كما قال تعالى لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون ولا يقبل الا عبدا لله متحليا بفضيلتي العلم والعمل نقيا
من الشبهات نقيا من النجاسات سليما قلبه من الافات ثم هذه الجملة المصدرة
توطئة لما هو الغرض من سياق هذا الحديث وهو استعمال اكل الحلال الجائزة الكمال
المستلزم لاجابة الدعاء في غالب الاحوال ولذا قال وان الله عز اي شانه وجل
اي برهانه امر المومنين بما امر به المرسلين فسوى بين الرسل واممهم في خطاب
المقال لعموم وجوب اكل الحلال فقال اي الله كما في نسخة صحيحة وفي اخرى
اكتفى بقوله تعالى يا ايها الرسل هذا الخطاب والنداء ليس على ظاهره لانهم
ارسلوا في ازمنة مختلفة فالمراد الاعلام بان كل رسول نودي بهذا في
زمانه ليعتقد السامع ان ما نودوا به جميعا حقيق بالاخذ والعمل به
كذا في الكشاف وفيه نفخة اعتزالية لانهم لما لم يثبتوا قدم الكلام
حملوا على ذلك لنظام المرام لكن الحق ان الله متكلم في الازل وان
لم يكن ثم مخاطب فالخطاب على ظاهره واجيب من هذا بان التعلق
التنجيزي اي في حال العدم بان يطلب من المكلف الفعل او الفهم

في حال العدم محال بالاتفاق والمراد بالخطاب للمعدوم كما حققه
شارح المختصر التعلق العقلي وهو ان المعدوم الذي علم الله انه يوجد
بشرائط التكليف يوجب عليه حكم في الازل بما يفهمه ويعقله فيما
لا يزال انتهى وقد يقال يمكن الجمع بين القولين بانه كما تعلق العلم الازلي
بعد الخطاب ظهر على وفقه التعلق التنجيزي بخطاب الرسل واحدا
واحد في هذا الباب ويؤيده ان هذا كله محفوظ في ام الكتاب كلوا
من الطيبات اي الحلالات ولو كانت من المستلذات وقدمه على قوله
واعملوا صالحا اي كل ما يصلح من العبادات لتكون اشارة الى ان
الصلاح من الاعمال لا بد ان يكون مسبوقا باكل الحلال وقال تعالى
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم اي حلالات ما
ملكناكم واعطيناكم اسند الرزق الى نفسه تحريضا لهم على غاية
احتياطهم حتى لا يأكلوا الا الحلال المطلق الذي يستاهل ان يضاف
اليه ومن تبعيضيه صيانة لهم عن الاسراف في الكمية او اشارة الى ان
جملة رزقه وتحصوله اكثر من ماكوله ومع هذا هو حريص على زيادته
تحصيله والامر للاباحة او للوجوب كما لو اشرف على الهلاك في المجاعة
او للندب كموافقة الضيف ومعاونة الصوم قوة العبادة قال سهل
بن عبد الله اداب الاكل ان يكون حلالا وهو ما لا يعصى الله فيه وصافيا
وهو ما لا ينسى الله فيه وقواما وهو ما يمسك النفس والعقل و
تماما وهو ان يودي شكر المنعم وفي الاية اشارة الى ان الحرام رزق و
هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة و دليلنا من الكتاب قوله
تعالى من الكتاب قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها

وقد علمنا ان جميع المكلفين ليس يأكلون حلالا فانهم قد يسرقون و
يغصبون فيتغذون به ومن السنة حديث ان نفسا لن تموت حتى
تستكمل رزقها فدل على ان جميع ما اكلته كل نفس رزقها حلالا او
حراما مع اجماع الائمة على ان الله يرزق البهائم ما يأكله وليس بملك لها
فدل على ان اصل الرزق لا يشترط فيه الملك قال ابو هريرة ثم ذكر اي النبي
عليه السلام الرجل استطرادا بان عقب كلامه بذكر الرجل الموصوف
استبعادا لان الله يقبل دعاء اكل الحرام لبعد مناسبته عن جناب
الاقدس لتكدر روحه وتسود قلبه فافقطه ثم للترتيب في الوجود لا في
رتبة الشهود يطيل السفر منصوب المحل بانه صفة للرجل لانه في المعنى
كالنكرة او حال كما جوز الوجهان في قوله تعالى يحمل اسفارا وقيد الاطالة
لانها اقرب الى الاجابة لان طول الغربة تقتضي زيادة الكربة والمعنى
يطيل السفر في العبادات كالحج وطلب العلم والغزوات ومع ذلك لا
يستجاب له الدعوة فكيف بمن هو منهمك في المعصية او الغفلة
اشعث متفرق الشعر كما هو من لوازم السفر اغبر متغير الوجه في
الاكثر صفتان اخريان او حالان مترادفان من فاعل يطيل او متداخلان
وفي هذين حالين ايضا اشارة الى ان رثاثة الهيئة من اسباب الاجابة
ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين مدفوع بالابواب
لو اقسم على الله لابره ولذا ندب ذلك في دعاء الاستسقاء يمد يديه
اي يرفعهما الى السماء لانها قبلة الدعاء قائلا يا رب اعطني كذا يا رب جنبني
كذا والمراد بهما التكرار والاكثار ويؤيده انه اخرج البزار مرفوعا اذا قال
العبد يا رب اربعا قال الله لبيك عبدي سل تعطه ولذا غالب ادعية القران

مصدرة بذكر الرب فان نعت الربوبية يناسب حالة العبودية
وقد قيل لجعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا نجاه
الله مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله حكى عنهم في اخر آل عمران
انهم قالوه خمسا ثم قال فاستجاب لهم ربهم وفي الحديث ان الله كريم يستحيي
من عبده ان يرفع اليه كفيه لم يردهما صفرا خائبتين رواه احمد و
داود والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي موسى وسبب ذلك
ان في رفعهما اشعارا الى الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار
ولذا قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسالوه بظهورها
فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم واما ما ورد في صحيح مسلم انه صلى الله
عليه وسلم جعل ظهورهما الى السماء فلعله من خصوصية دعاء
الاستسقاء لما فيه الايماء الى انقلاب الاحوال كما ذكر في تقليب الرداء
وروى احمد انه صلى الله عليه وسلم فعله وهو واقف بعرفة وحملوه مطلب
على انه جمع بين الوجهين فالاول لحصول مطلوب من النعماء والثاني
لرفع ما وقع من البلاء وجاء ايضا انه رفع يديه وجعل ظهورهما الى
جهة القبلة وهو مستقبلها وجعل بطونهما مما يليه ولعله لبيان الجواز
او لدفع ما يتوقع به من المحنة فجعل يديه بمنزلة الجنة ثم في رفعهما الى السماء ايماء
الى ان السماء مخزن الارزاق ومعدن اسرار الخلق ومعبد العمال ومحل الضياء و
منزل الصفاء ومطعمه حرام حال من فاعل قائلا وهو مصدر ميمي بمعنى المفعول وكذا
قوله ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي هو بضم الغين وكسر الذال ذكره المظهر و
هو بتخفيف الذال المعجمة في اكثر النسخ المعتبرة وفي المصابيح وردت مشددة
اي والحال انه قد حصل تغذيته وتغميته بالحرام فهو اشارة الى حال صغره كما

ان

ان قوله مطعمه الى حال كبره تنبيها على استواء حاليه في امره وانى للاستفهام
للاستبعاد اي كيف ومن اين يستجاب اي يجاب الدعاء لذلك اي الرجل الموصوف
بالابتلاء او لاجل كون مطعمه ومشربه وملبسه حراما من الابتداء الى الانتهاء
وقد قيل ان للدعاء جناحين اكل الحلال وصدق المقال لكنه في هذا الزمان لا يوجد
الا قليلا في كثير من الاحوال فلنكتف بغيره بما يحفظ روعا لئلا نموت جوعا
وما احسن قول بعض الظرفاء • يقول لي الجهول بغير علم • دع المال الحرام وكن قنوعا
فلما لم اجد مالا حلالا • ولم اكل الحراما مت جوعا • لكن قال بعض العارفين واذا
كنت مضطرا باكل الميتة فينبغي انك ما دمت تلقى غنما لا تاكل من حمار و
ما دمت تجد حمارا لا تاكل من كلب وما دمت تصادف كلبا لا تباشر خنزيرا ففيه
الاشارة الى ان وقت الابتلاء بالمحرمات والشبهات ينبغي ان يراعي ما يوجد اقرب
الى الحلال لان ثم اقل المراتب في هذا الباب ان يحترز عما حرمه فتوى العلماء وهو
ورع العامة ثم يمتنع عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان افتى المفتي بحله
لقوله عليه السلام فيما سياتي وان افتوك وهو ورع الصالحين ثم ترك
ما لا باس به مخافة ما به باس وهو ورع المتقين ثم الحذر عن كل ما لا يراد
بتناوله القوة على الطاعة او يتطرق الى بعض اسبابه معصية او كراهية
وهو ورع الصديقين رواه مسلم وهو احد الاحاديث التي عليها قواعد
الاسلام ومباني الاحكام وعليه العمدة في اكتساب الحلال واجتناب الحرام
واخرج الطبراني عن ابن عباس قال تليت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الاية يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فقال سعد بن ابي وقاص
يا رسول الله ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة فقال له النبي عليه السلام
يا سعد اطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده ان العبد

ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه اربعين يوما وايما عبد نبت
لحمه من سحت فالنار اولى به وقد قيل له لم يستجاب دعوتك دون الصحابة
فقال ما رفعت الى في لقمة الا وانا اعلم من اين جاءت ومن اين خرجت وجاء
في حديث انه اذا خرج الحاج بالنفقة الخبيثة ثم وضع رجله في الغرز اي الركاب
فقال لبيك ناداه ملك من السماء لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك
الحديث الحادي عشر قيل انه مبني على السكون وقيل على الفتحة
التقديرية وقيل بالفتحة اللفظية عن ابي محمد الحسن كناه بذلك وسماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بن علي بن ابي طالب وقع في اصل ابن حجر هنا رضي الله
عنهما وهو في غير محله لتوهم رجع الضمير الى علي وابي طالب فالصواب تاخيره
كما في النسخ المعتبرة على ما سياتي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجر على انه بدل من ابي محمد او بيان للحسن ويجوز رفعه على انه خبر مبتداء
مقدر هو هو ونصبه بتقدير اعني اي ابن بنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها
وريحانته اي طيب قلبه او رزق ربه او راحة روحه ولبه وهو ماخوذ
من قوله عليه السلام في شان الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا
وفي رواية من الجنة ولد في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة على
الاصح ومات سنة خمسين مسموما من زوجته بارشاء يزيد بن معاوية
لها على ذلك كما قيل ودفن بالبقيع وكان من الحكماء الكرماء ومرويه ثلاثة
عشر حديثا وعلقت فاطمة باخيه الحسين يوما من ولادته رضي الله عنهما
اي عن الحسن وعلي ومن جملة مناقبه وعلو مراتبه ما رواه مسلم عن ابي هريرة
انه عليه السلام قال للحسن اللهم اني احبه فاحبه وعن معاوية قال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم يمص لسانه او قال شفته يعني الحسن وانه

لن يعذب

لن يعذب لسانا او شفة مصهما النبي صلى الله عليه وسلم وروي انه حج خمس عشر
حجة ماشيا والنجائب تقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله
ماله ثلاث مرات وربما اجاز الواحد مائة الف وقد احصن سبعين امراة ولما
بايعه الناس بعد ابيه ولي الخلافة سبعة اشهر واحد عشر يوما ثم تركها خشية
سفك الدماء مطابقة لما روى الحسن البصري عن ابي بكرة قال بينما مطلب
رسول الله يخطب جاء الحسن حتى صعد المنبر فقال ان ابني هذا سيد وان
الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين قال حفظت من وفي
نسخة ضعيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا
يريبك هو بفتح الياء وضمها لغتان والفتح افصح واشهر ومعناه اترك
ما شككت فيه واعدل الى ما لا تشك فيه ذكره المص واشار فيه الى ان الى متعلقة
بمقدر كاعدل او اذهب والمعنى خذ ما ايقنته حسنا وحلالا واترك
ما شككت في كونه حسنا ام قبيحا وفي كونه حلالا ام حراما ويقال دع ذاك
الى كذا اي استبدله والامر فيه للندب فعن عمر رضي الله عنه مكسبة فيها
بعض الريبة خير من المسالة ويروى عن زيد بن ثابت انه قال ما شيء
اسهل من الورع اذا رابك شيء فدعه وقال ابو ذر تمام التقوى ترك
بعض الحلال خوفا ان يكون حراما وقيل لابن ادهم الا تشرب من ماء زمزم
فقال لو كان لي دلو لشربت اشارة الى ان الدلو من مال السلطان و
هو مشتبه ثم اعلم ان الريبة تقع في العبادة والمناكح وسائر انواع
المعاملة ومن ثم كان الخروج من الخلاف في كل مسالة افضل باجماع علماء
الامة لانه ابعد عن الشبهة فالمعنى اترك ما تشك فيه من الاموال
انه من نوع الحرام او الحلال او ما تتردد فيه من الاقوال والافعال انه منهي

عنه اولا او سنة او بدعة واعدل الى ما لا شك فيه من الاحوال والمقصود
ان يبنى المكلف اموره فى الدين على اليقين واما بلسان العارفين فمعناه اذا
كنت صحيح الخاطر طاهر الباطن نقى القلب مراقبا للغيب وتعرف لمة الملك من
لمة الشيطان والالهام من حديث النفس وكنت مميزا بين الحق والباطل بنور
الفراسة دع ما يريبك من الاغلوطات القلبية والشبهات النفسانية
والشيطانية الى ما لا يريبك مما ينزل بقلبك وعقلك وروحك من الالهام
الالهى وكما ان ترك ما يريبك مأمور به فترك ما يريب الغير مما يصعب
على افهام العامة اولى كما اشار الى ذلك الامام الاعلى انى لاكتم من علمى جواهره
كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا يا رب جوهر علم ابوح به لقيل لى انت ممن
يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمى يرون اقبح ما يأتونه حسنا
رواه الترمذى بكسر التاء والميم وبفتح الاولى وحكى ضمهما والكل بالذال
المعجمة نسبة لمدينة قديمة على طرف جيحون نهر بلخ وهو ابو عيسى محمد بن عيسى
بن سورة وكان من اوعية الفقه والحديث لقى البخارى وخلقا البخارى
وخلقا كثيرا توفى بترمذ من وراء جيحون فى رجب سنة تسع وسبعين
ومائتين والنسائى بفتح النون والسين مقصورا ويمد منسوب الى نساء
خراسان وهو الامام ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب رحل واجتهد واتفق
الى ان تفرد فقها وحديثا وامامة وديانة ومات بمكة سنة ثلاث
وثلاثمائة كذا ذكره الشارحون ونسبوه لجامع الاصول ونقل ابن حجر
انه مات بالرملة والله اعلم ورواه ايضا ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال
الترمذى حديث حسن صحيح اى حسن باعتبار اسناد وصحيح باعتبار
اسناد اخر والجمع بينهما باعتبار التردد فيه هل هو مترق من درجة الحسن الى

الصحة

باح ظهر

الصحة ام لا بحذف كلمة او كما يحذف من الذى بعده فلا يرد ما قيل من ان
الجمع بينهما فى حديث واحد كالجمع بين المتنافيين لان الحسن قاصر درجته عن درجة
الصحيح كما يظهر لك من تعريفهما فى اصول الحديث وذكر ابن الصلاح وجها
اخر وهو انه اراد بالحسن اللغوى وبالصحيح الاصطلاحى وهو ما تستحسنه
النفس ويميل الطبع اليه انتهى ولا يبعد ان يكون الامر بالعكس بان يراد الصحيح
الثابت سنده قديما الحسن لذاته وصحيح لغيره هذا وعند الترمذى وغيره زيادة
فيه وهى فان الصدق طمانينة والكذب ريبة ولفظ ابن حبان فان الخير طمانينة
وان الشر ريبة وقد اخرجه احمد ايضا عن انس والطبرانى عن وابصة
بن معبد والخطيب عن ابن عمر وروى ابو نعيم فى الحلية والخطيب عن ابن عمر مرفوعا
دع ما يريبك الى ما لا يريبك فانك لن تجد فقد شىء تركته لله وروى
باسناد ضعيف عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل دع
ما يريبك الى ما لا يريبك قال وكيف لى بالعلم قال اذا اردت امرا فضع يدك
على صدرك فان القلب يضطرب للحرام ويسكن للحلال وان المسلم الورع
يدع الصغيرة مخافة الكبيرة زاد الطبرانى وقيل له فمن الورع قال الذى
يقف عند الشبهة ومن ثم تنزه يزيد بن زريع عن خمسمائة الف من ميراث ابيه
فلم يأخذها وكان ابوه يلى الاعمال للسلاطين وكان يزيد يعمل الخوص ويتقوت
منه الى ان مات وقد قيل ينبغى ان الدقيق فى التوقف عن الشبهات انما يصلح
لمن استقامت احواله وتشابهت اعماله بخلاف المنتهك فى المحرمات
ومن ثم قال ابن عمر لمن ساله عن دم البعوض قتلوا الحسين ولم يسالوا و
استاذن رجل بعض السلف ان يكتب من محبرته فقال هذا ورع مظلم
وقال لاخر فى مثل ذلك ما بلغ ورعى ولا ورعك هنالك وقد قال بعض علمائنا

الخوص ورق النخل والخواص بائعه والذى يعمل منه الزنبيل ونحوه

هذا زمان الشبهات اى وقت استعمالها وترك المحرمات والمعنى ان كثرة
الشبهات وقلة الحلالات اوجبت ان يكون الورع منحصرا فى ترك المحرمات
ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انتم فى زمان لو تركتم عشر ما علمتم
لهلكتم ويأتى على الناس زمان لو عملوا بعشر ما علموا لنجوا وفقنا الله لمرضاته
ورزقنا رزقا حسنا مقويا لطاعته **الحديث الثانى عشر**
عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بفتح اوله ذكره المص يعنى بكسر
ثالثه اى لا يهمه من العنا بمعنى الاعتناء والمعنى ما لا ضرورة فيه ولا منفعة
له والضمير المستتر المرفوع راجع الى ما والضمير المنصوب الى المرء بمعنى الشخص
الشامل للرجل والمرأة ومن للتبعيض لان محاسن الاسلام كثيرة ومن جملتها
فعله ما لا يعنيه وتركه مصدر مضاف الى الفاعل الراجع الى المرء وما لا يعنيه
مفعوله والمجموع مبتدء ومن حسن خبره وانما قدم الخبر لاشتمال المبتدء
على ضمير يرجع الى متعلق الخبر فهو من باب على التمرة مثلها زبدا ثم اعلم ان الذى
يعنى الانسان من الامور ما يتعلق بضرورة حياته ومعاشه مما يشبعه
من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويعف فرجه ويكنه ويسكنه و
بضرورة سلامته فى معاده وهو الاسلام والايمان والاحسان على
ما قرر بيانه وسبق برهانه وذلك يسير بالنسبة الى ما لا يعنيه ان سلم من
سائر الافات وجميع الشرور والمخاصمات وكان ذلك من الفوائد الدالة
على حسن اسلامه وثبات مقامه وحقيقة تقواه ومجانبة لهواه
لاشتغاله بمصالحه الاخروية واعراضه عن اعراضه الدنيوية و
اغراضه الشهوية من التوسع فى الدنيا الدنية وطلب المناصب والرياسات

النفسية

النفسيه ومجمل الكلام انه ينبغى للمرء ان يشتغل بالامور التى يكون فيها صلاح
معاشه ومعاده ويتصرف فى الدنيا بمقدار اخذ زاده لحصول مراده ويسعى
فى الكمالات العلميه والحالات العمليه التى هى وسائل الى حصول السعادات
الابدية ووصول النعم السرمدية وقد قال انس استشهد غلام منا يوم احد
فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه
وقالت هنيئا لك الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله
كان يتكلم فيما لا يعنيه وروى انه عليه السلام قال لابى هريرة تريد ان لا
يجرى عليك القلم قال نعم يا رسول الله قال ادّ فرائض الله وكفّ عن المحارم
ودع الكلام فيما لا يعنيك وكان الصديق الاكبر يقول يا ليتنى كنت اخرس
الا عن ذكر الله وقال معروف مقت الله للعبد ان يراه مشتغلا بما لا يعنيه
فانه من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه وقال الغزالى حد ما لا يعنيك
فى الكلام ان تتكلم بما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر حالا وما لا فانك به
تضيع زمانك وتحاسب على ما تنطق به لسانك اذ تستبدل الذى هو
ادنى بالذى هو خير ولو صرفته فى الفكر والدعاء ربما ينفتح لك من نفحات
وجه الله ما يعظم جدواه ولو سبحت بنى لك قصر فى الجنة ومن قدر على
ان يأخذ كنزا من كنوز الجنة واخذ بدله بدرة كان خاسرا فى التجارة ثم حسن
الاسلام عبارة عن كماله وتمامه والاستسلام لاحكامه وهو علامة شرح
الصدر بنور الرب ونزول السكينة على القلب حديث حسن بل صرح ابن
عبد البر بانه صحيح رواه الترمذى وغيره فى الجامع الصغير للسيوطى انه
رواه الترمذى وابن ماجه عن ابى هريرة واحمد والطبرانى عن الحسين
بن على والحاكم فى الكنى عن ابى بكر والشيرازى عن ابى ذر والحاكم فى تاريخه

عن علي بن ابي طالب والطبراني في الاوسط عن زيد بن ثابت وابن عساكر
عن الحارث بن هشام هذا وفي اصل ابن حجر زيادة هكذا المخالف لما في الاصول
فقال اي موصولا ولا ينافيه رواية مالك له في الموطا عن الزهري مرسلا لان
للزهري فيه اسنادين احدهما مرسل وهو ما رواه مالك والاخر موصول
وهو ما رواه الترمذي وغيره والاتصال مقدم على الارسال وبذلك يجاب
عن قول احمد والبخاري وابن معين والدارقطني لا يصح الا مرسلا او يقال وله جواب
اخر وهو ان اسناد المرسل صحيح واسناد الموصول حسن ولا تنافي بينهما
فلا يحتاج الى قول ابن حجر على ان له طرقا مرفوعة اذا اجتمعت احدثت له
قوة ولعل هذا من اسباب تحسين المصنف له انتهى ولا يخفى انه لم يقل
احد بضعف هذا الحديث حتى احتيج الى تحسينه بتعدد طرقه بل لعل
تعدد طرقه باسانيد حسنة اوجب ابن عبد البر ان يقول بتصحيحه فكانه
اراد انه حسن لذاته صحيح لغيره او باعتبار بعض طرقه صحيح ومن ثم قال ابن
عبد البر رواته ثقات ثم هذا الحديث من جوامع الكلم الجزيلة لاندراج المعاني
الجليلة في اندراج المباني القليلة ولعله مستفاض من قوله تعالى فيما وصف
به المومنون الكاملون قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين
هم عن اللغو معرضون ولهذا لما راى عليه السلام من يعبث بلحيته في صلاته
قال لو خشع قلبه خشعت جوارحه وفيه اشارة الى ان اللغو يكون في القول و
الفعل والخاطر وقد قال ابو داود هذا الحديث ربع الاسلام وروي عنه عليه السلام
انه قال في صحف ابرهيم من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وروي
ان رجلا وقف على لقمان الحكيم وهو في حلقة عظيمة فقال الست عبد بني
فلان قال بلى قال فما الذي بلغ بك الى ما ارى قال قدر الله وصدق الحديث

وترك

ولو ترك ما لا يعنيني وعن الحسن من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل
شغله فيما لا يعنيه واخرج الترمذي ان رجلا مات اي شهيدا كما في
رواية فقال اخر ابشر بالجنة فقال صلى الله عليه وسلم اولا تدري فلعله
تكلم بما لا يعنيه او بخل بما يعنيه واخرج العقيلي مرفوعا اكثر الناس ذنوبا اكثرهم
كلاما فيما لا يعنيه **الحديث الثالث عشر** عن ابي حمزة بحاء
مهملة وزاء مفتوحتين بقلة حريفية كناه صلى الله عليه وسلم بها
لاجتنائه اياها انس بن مالك رضي الله عنه الانصاري الخزرجي النجاري
خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صح عنه ان النبي عليه السلام لما قدم
المدينة كان عمره عشر سنين وان امه ام سليم اتت به النبي صلى الله عليه وسلم
اي في السنة الاولى من الهجرة فقالت له خذه غلاما يخدمك فقبله وقد
قالت له يوما يا رسول الله ادع الله له فقال اللهم اكثر ماله وولده وادخله
الجنة وفي رواية اكثر ماله وولده وبارك له فيه قال فلقد دفنت من صلبي سوى
ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين اي ذكورا ولم يرزق الا ابنتين على ما قيل وان
ارضي لتثمر في السنة مرتين وانا ارجو الثالثة واستمر في خدمته صلى الله عليه وسلم
الى ان توفي وهو عنه راض ثم توطن بالبصرة وكان اخر الصحابة بها موتا
سنة تسعين عن مائة سنة او وعشرين سنة مات بقصره بالطف على
فرسخين من البصرة ووصى ثابتا البناني ان يجعل تحت لسانه شعرة كانت
عنده من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل وهو احد المكثرين روى
له الفان ومائتا حديث منها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يومن
احدكم اي ايمانا كاملا بدليل ما سبق في حديث جبريل من تعريف اصل
الايمان انه التصديق فقط ونفي اسم الشيء على نفي الكمال عنه مستفيض شائع

في كلامهم كقولهم فلان ليس بانسان قيل فاذا حصل هذه المحبة يلزم ان يكون
مومنا كاملا وان لم يات بسائر اركان الطاعة اجيب بان هذا مبالغة كان الركن
العظيم فيه هذه المحبة نحو لا صلوة الا بطهور او هذا الحصر بالنسبة الى حقوق
العباد دون حقوق الله سبحانه والمعنى لا يكمل ايمان احدكم بان يترقى من
حضيض التقليد الى ذروة اليقين والتاييد حتى يحب لاخيه اي المسلم
كما في رواية الاسماعيلي وكذا رواية احمد والنسائي ولفظة حتى هنا جارة
لا عاطفة ولا ابتدائية اذ ما بعدها خلاف ما قبلها وان بعدها مضمرة ولهذا
نصب يحب ولا يجوز رفعه هنا لان عدم الايمان ليس سببا للمحبة ما يحب
لنفسه اي من الطاعات والمباحات كما جاء في رواية النسائي من الخير
كذا قاله شارح ولكن رواية الاسماعيلي والنسائي وابن منده حتى يحب
لاخيه من الخير ما يحب لنفسه اي مثل ما يحب لنفسه فان عين ذلك
المحبوب محال ان يحصل في محلين قال المص في شرح مسلم وليس هذا من
الصعب الممتنع كما ظن اذ القيام بذلك يحصل بان يحب له حصول مثل ذلك
من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا تنقص النعمة عن اخيه شيئا من النعمة عليه
ويرحم عليه في جميع الاحوال وذلك سهل على القلب السليم انتهى وكذا من كمال الايمان
ان يبغض لاخيه ما يبغض لنفسه ولم يذكره لان حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه
فيكون من باب الاكتفاء كما اكتفى في الحديث السابق بترك ما لا يعنيه عن فعل
ما يعنيه ثم رايت خبر احمد افضل الايمان ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره
لهم ما تكره لنفسك وتحقيق ذلك ان المؤمنين متحدون بحسب الارواح
متعددون باعتبار الاشباح كنور واحد في مظاهر مختلفة او كنفس واحدة
في ابدان متفرقة بحيث لو تالم البعض تالم الكل كما جاء في الحديث الاخر المؤمنون

كالجسد

كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وذلك
لان ايمانهم من اثر نور الهداية شريعة وطريقة ومن اثر انوار اسمائه وصفاته
حقيقة فارواحهم اتحدت بذلك النور المقتضي للالفة والرحمة فان حزن
واحد حزنوا وان فرح واحد فرحوا وهذا مقام الجمع بالروح وهو ان يجتمع عند تجلي
الروح عن تفرقة الطبيعة وهناك مقام اعلى يقال له جمع الجمع وهو ان يجتمع
عند تجلي الحق له عن تفرقة الغير روحانيا ونفسانيا ملكيا وملكوتيا فلا يرى
غير الله للاختفاء ما سواه من جميع الاشياء كاختفاء النجوم عند اشراق
الشمس في السماء او كالهباء في الهواء رواه البخاري ومسلم ورواه احمد والترمذي
والنسائي وابن ماجه كلهم عن انس لكن لفظ مسلم والذي نفسي بيده
لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه او قال لجاره ما يحب لنفسه ولفظ احمد لا
يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير هذا و
وقد ورد لا حرج على من كره الاستياز بالجمال وروى احمد والحاكم وصححه ان
مالك بن مرارة قال يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى فما احب ان
احدا من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما اليس ذلك هو البغي فقال
لا ذلك من البغي ولكن البغي من بطر او قال سفه الحق **الحديث
الرابع عشر** عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
وسلم لا يحل امرئ بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي
لا يحل اراقة دم شخص وهي كناية عن قتل مسلم اي يشهد ان لا اله الا الله و
اني رسول الله كما في رواية البخاري ومسلم وجامع الاصول وقال اخرجه
الخمسة فوجه حذفه لا يظهر ولعل الاكتفاء به وقع في رواية لهما لكن الاولى
ان يختار لفظ الاشهر والاكثر فتدبر الا باحدى ثلاث اي ثلاث خصال

تداعي اقبل

ثلاث وهي زنا المحصن وقتل النفس بغير حق والارتداد ففصل ذلك بتعداد المتصفين
به المستوجبين القتل لاجله فقال الثيب بالرفع وهو الرواية كما صرح به الشارح الكازروني
فيقدر المبتدا اى احدها او الخبر اى منها او مضاف اى خصلة الثيب وزناه
او يقال الثيب الى اخره وهو الاظهر قياما مل وجوز نصبه بتقدير اعني وجره بالبدل
وهو اسم جنس يشمل الرجل والمراة الزان بحذف الياء تخفيفا كالمتعال وفي نسخة
صحيحة باثبات الياء والمراد بالثيب المحصن وهو المكلف الحر الذي اصاب بعد مطلب
التكليف والحرية نكاحا صحيحا ولابد من تحقق وطي عندنا لمقابلته بقوله
عليه السلام البكر بالبكر ثم للامام لا للاحاد رجمه ولا يجوز قتله بغير ذلك
اجماعا لما ثبت ان عمر رضي الله عنه قال في خطبته ان الله بعث محمدا نبيا
وانزل عليه كتابا وكان فيما انزل الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة
نكالا من الله والله عزيز حكيم وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا
الحديث رواه مسلم وغيره وكان ذلك بمشهد من الصحابة فلم ينكر عليه وفي صحيح
البخاري قال عمر رضي الله عنه خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول
قائل لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله الا وان الرجم
حق على من زنى وقد احصن اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف ورجم
علي ايضا كما في صحيح البخاري وغيره وحكوا على ذلك اجماع الصحابة ومن بعدهم
ممن يعتد به واما البكر والمكلف غير [illegible] فان كان حرا فيجلد مائة وان كان المحصن
رقيقا فيجلد خمسين ولا تغريب عندنا ثم من الحكمة في قتل الزاني ان في الزنا
مفاسد من اختلاط الانساب وتضييع الاولاد ووثوب كل رجل على كل
امرءة بمقتضى طبعه وهواه فيهيج الفتن والحروب بين الانام بعد التشبه
بالبهايم والانعام والله رؤف بالعباد وهو لا يحب الفساد ثم حكم اللواطة
يعرف

يعرف بادلة اخرى تفصيلها في محلها الاخرى والنفس بالنفس اي وقاتل النفس
يقتل قصاصا بالنفس التي قتلها عدوانا بشروطه المعتبرة في الفروع وهو مخصوص
بولي الدم ولا يحل قتله لاحد سواه حتى لو قتله غيره لزمه القصاص وظاهر الحديث
المطابق لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس يؤيد مذهب
ابي حنيفه في ان المسلم يقتل بالذمي والحر يقتل بالعبد خلافا للائمة الثلاثة
في اعتبارهم تساويهما في الحرية لمفهوم قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد وفي الاسلام
لقوله عليه السلام لا يقتل المسلم بكافر ودفع بان المراد بالكافر الحربي بدليل ما روى
الطحاوي في مسنده ان النبي عليه السلام قتل مسلما بذمي وقال انا احق من وفى
بذمته وكذا رواه ابو حنيفه وابو داود في مراسيله وعبد الرزاق والدارقطني و
يؤيده ما رواه الشافعي والدارقطني عن علي من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته
كديتنا واما الحديث الحسن الذي في التاريخ الاوسط للبخاري وسنن ابي داود من
قوله عليه السلام لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد بعهده فمحمول على الكافر الحربي المستامن
جمعا بين الادلة وان المقابلة في الاية رد على اهل الجاهلية في عدم اعتبار المثلية بالكلية
كما يدل عليه قوله سبحانه والانثى بالانثى فان الاجماع على انه يقتل الذكر بالانثى
والانثى بالذكر فتدبروا واما استدلالهم بقوله تعالى ولكم في القصاص فرد بانه
لا مساواة في الانفس كما لو قتل عشرة واحدا او قتل صحيح سليم كبيرا ضعيفا او
رجل امراة مع نقصان عقلها وديتها عن دية الرجل فثبت ان لا اعتبار بالمساواة
في ايجاب القصاص في الانفس وان الكامل يقاد منه للناقص وممن قال بان الحر
يقتل بالعبد سعيد بن المسيب والنخعي والشعبي وقتاده والثوري محتجين بقوله
عليه السلام المسلمون تتكافؤ دماؤهم بل وذهب النخعي والثوري في احد قوليهما
الى ان الحر يقتل به وان كان عبده محتجين في ذلك بما رواه النسائي من حديث الحسن

عن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل عبده قتلناه ومن جدعه
جدعناه ومن خصاه خصيناه قال البخاري وانا اذهب اليه وقال غيره لم يسمع الحسن
من سمرة الاحديث العقيقة وهو مدفوع بان من حفظ حجة على من لم يحفظ وبان
اعتبار الاتصال اولى من اعتبار الانفصال قال بعض العرفاء كما كتب الله سبحانه القصاص
على القتلى كتب على نفسه الرحمة في قتلاه الذين بذلوا الروح الانساني عند شهود الجلال
الصمداني كما قال من احبني قتلته اي بسيف المجاهدة او بنور المشاهدة ومن قتلته
فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اي من كان متوجها اليه بالكلية
كان فيضه به متصلا ابدا بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات لم تتصل به غاية
الاتصال ومن كان ناقصا في دعوى محبته لم يكن مستحقا لكمال مودته ومن كان
الله ديته فله حيوة الدارين والبقاء برب الثقلين والتارك لدينه يعني
به المرتد بعد يقينه وفي رواية لمسلم التارك للاسلام وهو اظهر في المرام
المفارق بقلبه واعتقاده او ببدنه او لسانه للجماعة اي المعهودين وهم
جماعة المسلمين فهو تاكيد لما قبله اي الذي فارق جماعة المسلمين وخرج عن
جملتهم وانفرد عن زمرتهم بالردة التي هي قطع اهل الاسلام ومودتهم فيجب قتله
ان لم يتب واستثناء المرتد من المسلم باعتبار ما كان قبل ردته خصوصا وعلاقة
الاسلام مرتبطة بدليل انه لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا وانما يقتل لان اقراره
على الردة مع اصراره خلل لنظام عقد الاسلام فوجب قتله حفظا للاحكام
والخلف في المراة المرتدة فقال الشافعي واحمد تقتل لقوله عليه السلام من
بدل دينه فاقتلوه رواه الشيخان وهو عام في الرجل والمراة ولان اشارة الحديث
المذكور الى ان العلة تبديل موجودة في المراة وقال ابو حنيفة لا تقتل لنهيه
صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء كما في الصحيحين وهو خاص فيهن فيقدم

على عموم

على عموم من بدل دينه فاقتلوه وفي اثار محمد بن الحسن عن ابن عباس اذا هن
ارتددن لا يقتلن ولكن يحبسن ويدعين الى الاسلام ويجبرن عليه ولان
العلة في قتل الرجل بالردة انه لو ترك على الاصرار الحق بالكفار فكثر سوادهم وحارب
المسلمين فكفت عاديته بالقتل وهذا مفقود في المراة فانها ليست من اهل الحرب
والنكايات فلا يخاف منها الاعانة واما قول ابن حجر هذا منقوض بنحو اعمى
والزمن فمدفوع بانه من النوادر وفي هذا الجنس في الحديث دليل على انه لا يقتل
بالبدعة او بنفي الاجماع استحالي عن نقل التواتر كالروافض والخوارج وكذا تارك
الصلوة لا يقتل واما قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة متعمدا
فقد كفر فليس على ظاهره خلافا لاحمد فان الجمهور اولوه بان معناه قارب
الكفر او شابه الكفار او كفر نعمة ربه او جره الى كفره في اخره او حملوه على مستحله
فيدخله في حل المرتد واما تفسير الشافعي للحديث بانه استحق عقوبة الكفر
فليس ظاهرا في المراد فانه يحتمل استحقاق عقوبته في الدنيا والاخرى
مع انه ليس بقائل بكفره في المعاد واما ما ذكره بعضهم من ان المرتد بدل لكل
دينه والمفارق بعض دينه فدخل في الحديث اهل البغي والخوارج بحيث المقاتلة
معهم حتى رجعوا الى الحق ففيه ان الكلام في القتل لا في المقاتلة اما ترى ان
الاجماع على عدم جواز قتل باغ بانفراده او خارجي او رافضي وحده فانه
لا يلزم من جواز المقاتلة جواز القتل الا ترى ان مانعي الزكوة يقاتلون
بخلاف من تركها من غير قتال فانه لا يقتل فكذا تارك الصلوة فحصلت الموافقة
بين هذا الحديث وما سبق من حديث امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة بل هذا الحديث مبين لاجمال قوله الا
الاسلام فانه محصور في هذه الثلاثة من الاحكام كما جاء مصرحا مرويا

عنه عليه السلام ثم خص من عموم هذا الحديث دفع الصائل فانه لوالى الامر لى
قتله حل اراقة دمه او التقدير لا يحل بتعمد قتله الا في هذه الثلاثة وقد ابعد من
قال بدخوله في المفارق للجماعة ولا يخفى ان الارتداد حال الاشقياء من اهل
القهر الالهي والطرد الكلي لا ينفتح لهم باب القلب فيأتيه الالهام ولا ابواب السمع والبصر
فيدخلها الفهم والاعتبار فارتدوا عن طريق الحق وصراط التوحيد واحتجبوا
بظلمات الكثرة عن نور التفريد فاستحقوا القتل والنار وحبسوا في
ظلمات دار البوار فنسأل الله لطف العزيز الغفار رواه البخاري ومسلم
وتقدم انه رواه الخمسة وقد اخرجه احمد ايضا لكن عن ابي امامة بن
سهل قال كنا مع عثمان وهو محصور في الدار فقال انهم يتوعدونني بالقتل قلنا
يكفيكهم الله يا امير المؤمنين قال ولم يقتلونني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث رجل كفر بعد اسلامه او زنى
بعد احصانه او قتل نفسا فيقتل بها فوالله ما احببت بديني بدلا منذ
هداني الله ولا زنيت في جاهلية ولا اسلام قط ولا قتلت نفسا فبم
يقتلونني **الحديث الخامس عشر** عن ابي هريرة رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن اي ايمانا
كاملا بالله واليوم الاخر اكتفى بطرفي ما يؤمن به لان المدار عليهما او خص
اليوم الاخر بالذكر لان الخير والشر ورجاء الثواب وخوف العقاب كلها
راجعة الى الايمان باليوم الاخر فمن لم يعتقده لم يرتدع عن شر ولم يتقدم
على خير وتكرير الشرطية في كل جملة للاهتمام والاعتناء بكل خصلة مستقلة
فليقل بسكون اللام وبكسرها اي فليقل قولا خيرا او فليذكر خيرا مما فيه
منفعته او ليصمت بضم الميم ذكره المم اي ليسكت ويترك مما فيه

مضرة

مضرة وشرا وللتنويع والمعنى اذا اراد المؤمن ان يتكلم فان كان
ما يتكلم به خيرا يثاب عليه واجبا كان او مندوبا فليتكلم به وان لم
يظهر له خيره سواء ظهر انه حرام او مكروه او مباح فليمسك
عنه فالكلام المباح مأمور بتركه مخافة انجراره الى الحرام او مكروه او
خيفة من غفلة عن حال ذكره ومقام فكره ولذا قال الصديق الاكبر
ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله وفي الخبر ليس يتحسر اهل الجنة يوم
القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وفي حديث اخر
من صمت نجا فاعلم ان الصمت في وقته صفة الرجال لما في الكلام
من الافات الثقال واختلاف الاحوال من حظ النفس واظهار
الامتياز من بين الاشكال وبه يظهر لمعات الطوارق ويطلع شموس
الحقائق كما ان النطق في موضعه من انفس الخصائل واسنى الشمائل ولذا
قال الدقاق من سكت عن الحق فهو شيطان اخرس وقال غيره الجاهل
اذا تكلم فهو كالحمار واذا سكت كالجدار وفيه اشعار بان سكوته
في مقامه خير من كلامه اذ لا ضرر في سكوته مع ظهور الشر في رفع
صوته ولقد صدق من قال وحقق تكلم وسدد ما استطعت فانه
كلامك حي والسكوت جماد فان لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك
عن غير السديد سداد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا
قولا سديدا وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم ان في صحف ابرهيم عليه السلام
على العبد ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن
حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وجاء في خبر انك لن
تزال سالما ما سكت فاذا تكلمت كتب لك او عليك وروى احمد

والترمذي والنسائي ان احدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لم يظن ان تبلغ
ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه الى يوم القيمة وان احدكم ليتكلم بالكلمة
من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه
الى يوم القيمة والاحاديث في هذا المعنى كثيرة المبنى وقال الفضيل
لا حج ولا رباط ولا جهاد اشد من حبس اللسان على العباد وقال
لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب ومعناه
كما قال ابن المبارك لو كان الكلام بطاعة الله من فضة لكان السكوت
عن معصية الله من ذهب وهو صريح في ان الكف عن المعصية
افضل من الطاعة التي لا يكون تركها معصية وفيه اشارة الى ان
الصمت افضل من الكلام لكن ذهب جماعة من السلف الى تفضيل الكلام
ويؤيده هذا الحديث حيث قدم الكلام في معرض الكلام وامر بالسكوت المرام
عند عدم وجود قول الخير خوفا من وقوعه في الشر فيفيد ان قول الخير غنيمة
والسكوت عن الشر سلامة والايمان مشتق من الامان ولا امان
لمن فاتة الغنيمة والسلامة فان الانسان اما ان يتكلم او يسكت فان
تكلم فاما بخير وهو ربح واما بشر فهو خسر وان سكت فاما عن شر
وهو ربح واما عن خير فهو خسر فله في كلامه وسكوته ربحان فينبغي
ان يكتسبهما وخسارتان فينبغي ان يجتنبهما وما احسن ما قال
بعض ارباب الحال زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض
الخير خسران وقد قال تعالى ان الانسان لفي خسر الاية وقد قال عز
وجل ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال محمد بن الحسن اخبرني حاضرا بما كان
هشام بن عروة عن عكرمة عن ابن عباس قال ان الملائكة لا تكتب

الاما فيه

الاما فيه اجر او وزر وقد روى البيهقي عن عايشة قالت ما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم نائما قبل العشاء ولا لاغيا بعدها اما ذاكرا فيغنم واما نائما
فيسلم وروي ان داود الطائي لما اراد ان يقعد في بيته اعتقد ان
يحضر مجلس ابي حنيفة اذ كان تلميذا له ويقعد بين اضرابه من العلماء الضرب النظير
ولا يتكلم في مسالة فلما قوى نفسه على ممارسة هذه الخصلة سنة كاملة
قعد في بيته عند ذلك واثر العزلة وقال بشر بن الحارث اذا اعجبك الكلام
فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم وروي عن معاذ بن جبل انه قال كلم الناس
قليلا وكلم ربك كثيرا لعل قلبك يرى الله سبحانه وقيل ان ابا بكر رضي الله عنه
كان يمسك في فيه حجرا كذا سنة ليقل كلامه واما التزام الصمت واعتقاده
قربة مطلقا او في بعض العبادات كالصوم والاعتكاف فمنهي عنه لخبر ابي داود
ولا صمات يوم الى الليل وروى الاسماعيلي النهي عنه في الاعتكاف وروى
ايضا في الصوم ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره بالاحسان
اليه وتحمل ما يصدر منه وكف الاذى عنه واما ما وقع في رواية من
قوله فلا يوذ جاره فمحمول على ادنى الاكرام فقد قال عليه السلام اتدرون
ما حق الجار اذا استعانك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر
جدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير
هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب
عنه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له وان لم تفعله فادخلها
سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا توذه بقتار قدرك الا ان تغرف
له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه
الله تعالى ذكره الغزالي في الاربعين وكذا البيهقي عن عمرو بن شعيب

عن ابيه عن جده وقد قال تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب فقيل المراد بالاول
الزوجة والقريب وبالثانى الاجنبى وقيل الاول المسلم والثانى الكافر وقيل الاول
المسكن منك والثانى ضده لخبر عايشة يا رسول الله ان لى جارين فالى ايهما
اهدى قال الى اقربهما منك بابا والحاصل ان الجيران ثلاثة كافر فله حق واحد
الجوار ومسلم فله حقان الجوار والاسلام ومسلم قريب فله حقوق ثلاثة الجوار
والاسلام والقرابة وهذا مضمون حديث له طرق متعددة بعضها متصلة
وبعضها مرسلة وروى الزهرى مرسلا ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم
يشكو اليه جارا له فامر صلى الله عليه وسلم بعض اصحابه الا ان اربعين دارا جار
وبه اخذ جمع من السلف وقيل فى جار المسجد من سمع الاذان والاقامة فيقدر
ذلك المقدار فى الدار وقيل من ساكنك فى محلة او بلد فهو جارك وروى مسلم
عن ابى ذر اوصانى خليلى اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه ثم انظر الى اهل بيت من
جيرانك فاصبهم منها بمعروف وفى رواية فاكثر ماءه وتعاهد جيرانك
وروى البخارى فى الادب كم جار متعلق بجاره يوم القيمة يقول يا رب هذا
اغلق بابه دونى فمنع معروفه وفى الصحيحين ما زال جبريل يوصينى بالجار
حتى ظننت انه سيورثه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
بالبشر فى وجهه وطيب الحديث معه وتعجيل ما حضر عنده وقيامه بنفسه
فى خدمته واطعامه ثلاثة ايام بقدر وسعه ثم موادعته بلطف فى
توددة واعتذار فى تقصير حقه وروى ابو الليث السمرقندى والبيهقى
ان ابرهيم عليه السلام كان يسمى ابا الضيفان وكان لقصره اربعة
ابواب يمشى الميل والميلين فى طلب من يتغدى معه وروى البيهقى عن عبد الله
بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل لم اتخذ الله ابرهيم

خليلا

خليلا قال لاطعامه الطعام واما خبر الضيافة على اهل المدر وليست على اهل
الوبر فقيل موضوع وقيل ضعيف والجمهور على ان الضيافة مستحبة وذهب
احمد والليث بن سعد انها واجبة هذا وبلسان العارفين كان الحديث يشير
الى رعاية السالك حال الاقرب فالاقرب فيبدأ بتكميل نفسه ويروضها بذكر
الحق والسكوت عن غيره لغلبات الروحانية واستيلاء سلطان الحقيقة
الفردانية حتى ينسى اولا نفسه فى ذكره ثم ينسى ذكره ثم ينسى كل ذكر فى ذكر ربه
ثم يثنى بتكميل ما هو اقرب اليه قربا معنويا من الجار الذى فى مقام السلوك قريب
فى مقامه والضعيف الذى هو السالك فى طريق الحق الداخل فى الغربة عن مأوى
النفس ولم يصل الى مقام من مقامات اهل الانس فيكرمه ويزكيه ويونسه
بذكر المولى ويحفظه من التذلل لارباب الغنى ومن ادناس محبة الدنيا ليحصل الحيوة
الطيبة وهى ان يصير النفس مطمئنة مستعدة لقبول فيض الحق ويطيب
القلب عن دنس الحدث فانيا عن انانيته بكشف جلاله باقيا بشهود الحق وجماله
رواه البخارى ومسلم وفى الجامع الصغير رواه احمد والشيخان والترمذى وابن
ماجه عن ابى شريح وعن ابى هريرة ولفظه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت انتهى وفى البخارى عن شريح عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن
ثلاثا قالوا ومن ذاك يا رسول الله قال الجار لا يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه
قال شره وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة مرفوعا لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه
وروى البيهقى عن المقداد بن الاسود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان يزنى الزانى بعشر نسوة ايسر عليه من ان يزنى بامرأة جاره ولان يسرق السارق

من عشرة بيوت ايسر عليه من ان يسرق من بيت جاره **الحديث**
السادس عشر عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا اي من الصحابة
وهو ابن عمر او حارثة بن قدامه او سفيان ابن عبد الله على ما ذكره الكازروني
وغيره او ابو الدرداء كما ذكره ابن حجر وقال اخرج الطبراني عنه فقد قلت يا رسول الله
دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ولك الجنة لكن يبعد تعبير ابي هريرة عنه
بهذه العبارة اللهم الا ان يقال بتعدد السائل او لشكه في القائل ويؤيده
انه اخرج احمد عن حارثة بن قدامه عم الاحنف بن قيس انه قال سألت النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قل لي قولا واقلل علي لعلي اعقله قال
لا تغضب فاعدت عليه مرارا كل ذلك يقول لا تغضب لكن نازع في هذا
يحيى القطان بانهم يقولون ان حارثة هذا تابعي لا صحابي قال للنبي صلى الله
عليه وسلم اوصني اي دلني على ما ينفعني دينا ودنيا ويقربني الى الله زلفى
وفي بعض طرق الحديث اخبرني ما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب
اي فيما يتعلق بحظوظ النفس والهوى لا فيما يتعلق بحقوق المولى فردده وزيد
في نسخة لفظ ذلك اي كرر الرجل ذلك السؤال وكرر ذلك السائل السؤال
مرارا اي ثلاث مرات وكانه لم يقنع بقوله لا تغضب فطلب وصية ابلغ
منها وانفع له فيها فلم يزده صلى الله عليه وسلم عليها وفي كل مرة قال لا تغضب
لما علم عليه السلام من حاله ان اختلال امره واضطراب باله من استيلاء
الغضب عليه فامره بما هو اولى بالنسبة اليه او اختصر على جواب موجز
جامع لما لديه فان جميع المفاسد التي تعرض للانسان انما تعرض له من فرط شهوته
واستيلاء غضبه وحدته وضرر ما يقتضيه القوة الغضبية اكثر بالاضافة
الى ما تقتضيه القوة الشهوية فلما سأله الرجل ان يشير اليه بما يتوسل به الى
التجنب

التجنب عن الاخلاق الردية نهاه عن الغضب الداعي الى ما هو اعظم ضررا واكثر
وزرا فان ارتفاع المسبب وفي الحديث اقتباس من قوله تعالى واذا ما غضبوا هم
يغفرون وقوله سبحانه والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله
يحب المحسنين وفي حديث للشيخين ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي
يملك نفسه عند الغضب وذلك لان الغضب من نزغات الشيطان
يخرج به الانسان عن اعتدال حاله فيتكلم بالباطل ويفعل المذموم وينوي
الامر الملوم بل قد يكفر نعوذ بالله من الحور بعد الكور ويؤيده حديث البيهقي
ان الغضب ليفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وعلاجه ان يرى
الكل من الله ويترك متابعة نفسه وهواه ويذكر نفسه ان غضب الله
اعظم وفضله اتم وكم خالف امره لديه وهو سبحانه لم يغضب عليه ويتعوذ
ويتوضأ ويصلي ويشغل نفسه بامر ينفعه في مقام البينه وقد ورد اي من
كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا رواه ابو داود
وفي رواية من كظم الغيظ وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤس
الخلايق يوم القيمة حتى يخيره في اي الحور شاء رواه احمد واصحاب السنن الا النسائي
واخرج احمد ما تجرع عبد جرعة افضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء
وجه الله رواه البخاري وفي الجامع الصغير رواه احمد والبخاري والترمذي
عن ابي هريرة واحمد ايضا والحاكم في مستدركه عن حارثة ابن قدامه و
روى الطبراني عن ابي الدرداء ولفظه لا تغضب ولك الجنة وابن ابي
الدنيا بلفظ لا تغضب فان الغضب مفسدة هذا وفي طريق اخرى ان رجلا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني ولا تكثر علي او قال مرني بامر و
اقلله علي لعلي اعقله قال لا تغضب وفي اخرى قلت يا رسول الله اوصني قال لا تغضب

اي من النقصان بعد الزيادة

علي كي اعقله

ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فاذا الغضب يجمع الشر كله ومن ثم
قال جعفر الصادق الغضب مفتاح كل شر وقيل لابن المبارك اجمع لنا حسن الخلق
في كلمة قال ترك الغضب واخرج محمد بن نصر المروزي ان رجلا اتى النبي عليه السلام
من قبل وجهه فقال يا رسول الله اى العمل افضل قال حسن الخلق ثم اتاه عن يمينه
وقال له ذلك فقال كذلك ثم عن شماله كذلك ثم عن خلفه فالتفت اليه
فقال مالك لا تفقه حسن الخلق هو ان لا تغضب ان استطعت وروى
احمد والترمذي انه عليه السلام قال في خطبته الا ان الغضب جمرة توقد
في قلب ابن ادم اما ترون الى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه فمن احس من
ذلك شيئا فليلزق بالارض وفي رواية فليجلس ولا يعدو به الغضب اى فليلصق
وفي رواية اذا غضب احدكم فليقعد وان غضب وهو قاعد فليضطجع
وروى احمد وابو داود اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب
عنه الغضب والا فليضطجع وفي رواية لاحمد اذا غضب احدكم فليسكت
قالها ثلاثا وقد ورد عنه عليه السلام انه قال اذا غضب احدكم فليتوضا
بالماء فانما الغضب من النار وانما انطفاء النار بالماء وفي رواية ان الغضب
من الشيطان وانما الشيطان خلق من النار وانما تطفا النار بالماء فان
غضب احدكم فليتوضا وفي رواية ابي نعيم عن معاوية فليغتسل وفي الصحيحين
استب رجلان عند النبي عليه السلام واحدهما يسب صاحبه مغضبا
قد احمر وجهه فقال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه
ما يجد لو قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل اما تسمع ما يقول
النبي عليه السلام قال اني لست بمجنون قلت قوله هذا ايضا من الغضب
ونظيره ما سال شيخ كبير طبيبا عن ضعف البصر فقال من اثر الكبر وهكذا ساله
عن ثقل

عن ثقل السمع وضعف الظهر وغير ذلك الى ان غضب الشيخ فقال انت مجنون
كل هذا من الكبر فقال له هذا ايضا من الكبر واخرج الطبراني ثلاث
من اخلاق الايمان من اذا غضب لم يدخله غضبه في باطل ومن اذا
رضي لم يخرجه رضاه من حق ومن اذا قدر لم يتعاط ما ليس له وقالت
عايشه رضي الله عنها كان خلقه القران يرضى لرضاه ويسخط لسخطه
واما ما نقل عن الفضل ثلاثة لا يلامون على غضب الصائم والمريض والمسافر
فمحمول على ان من كان سبب غضبه مباحا كالسفر او طاعة كالصوم لا يلام
على ما صدر عليه من حدة كلامه لشدة حال مزاجه والله اعلم وكان الشعبي
مولعا بهذا البيت ليست الاحلام في حين الرضى انما الاحلام في حين
الغضب وعن عبد الرزاق قال سكبت جارية لعلي بن الحسين الماء تهيئه
للصلوة فسقط الابريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع وجهه اليها
فقالت الجارية ان الله عز وجل يقول والكاظمين الغيظ فقال كظمت غيظي
قالت والعافين عن الناس فقال قد عفا الله عنك قالت والله يحب
المحسنين. قال اذهبي فانت حرة وعن سهل بن عبد الله قال لا يبلغ العبد
حقيقة الايمان حتى يكون لعباده كالارض اذا هم عليها ومنافعهم لديها وعن
انس بن مالك رضى الله عنه قال كنت امشي مع رسول الله عليه السلام
وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجذبه من خلفه جذبة
حتى رايت صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية
البردة من شدة جذبه فقال يا محمد اعطني من مال الله الذي عندك فالتفت
اليه وضحك ثم امر له بعطاء رواه مسلم وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله
تعالى يا ابن ادم اذكرني اذا غضبت اذكرك اذا غضبت قال الطحاوي يغضب

ويرضى لاكاحد من الورى وقال غيره الغضب فوران دم القلب او عرض يتبعه
ذلك لدفع الموذيات قبل وقوعها او الانتقام بعد حصولها فاطلاقه على الله
مجاز اى يفعل بهم ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده من الانتقام
وانزل العقوبة هذا وقد قال بعض العارفين التحقيق ان الناس فى الغضب
على ضربين احدهما مغلوب الطبع الحيوانى فلا يمكنه دفعه وهو الغالب فى الناس
والثانى غالب الطبع بالرياضة فيمكنه منعه ولولا هذا لكان قوله عليه السلام
لا تغضب تكليفا بما لا يطاق ثم اقوى الاشياء فى منع الغضب ودفعه
التوحيد الحقيقى وهو اعتقاد ان لا فاعل فى الوجود الا الله وان الخلق
الات لفعله فاذا توجه اليه مكروه من جهة غيره يرى ان فاعله هو الله
لا غيره وان ذلك الغير الة للفعل كالسيف للضارب ونحوه وحينئذ
يندفع عنه الغضب لانه لو غضب والحالة هذه لكان غضبه اما على الخالق
وهو جراة منافية للعبودية او على المخلوق وهو اشراك ينافى توحيد الربوبية
ولذا جاء فى حديث انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر
سنين فما قال لى لشىء فعلته لم فعلت ولا لشىء لم افعله لم تفعله ولكن
يقول قدر الله وما شاء فعل ولو قدر لكان وما ذلك الا لكمال معرفته صلى
الله عليه وسلم بان لا فاعل ولا معطى ولا مانع الا الله عز وجل فعلى هذا
الفاعل فى الوجود عند نظر ارباب الشهود هو الله الموجود المعبود المقصود
وله الات كبرى وصغرى ووسطى فالكبرى ما له قصد واختيار كالانسان
الضارب بالعصا والصغرى ما لا قصد ولا اختيار كالعصا المضروب بها
والوسطى ما له قصد ولا اختيار له كالدابة فمحمل معنى الحديث لا تظهر
اثر الغضب الا فيما يوافق غضب الرب **الحديث السابع عشر**

عن ابى

عن ابى يعلى بفتح الياء واللام مضارع على بفتح فكسر شداد بفتح فتشديد بن
اوس بفتح فسكون رضى الله عنه انصارى خزرجى ابن اخى حسان قال
عبادة بن الصامت وابو الدرداء كان شداد ممن اوتى العلم والحلم سكن بيت
المقدس واعقب بها وتوفى فيها سنة ثمان وخمسين عن خمس وسبعين
سنة قال المص فى التهذيب وقبره بظاهر باب الرحمة باق الى الان انتهى وقيل
مات بفلسطين روى له خمسون حديثا وكان اذا اخذ مضجعه ينقلب
كالحبة على المقلى يقول اللهم ان النار منعتنى النوم ثم يقول فلا يزال يصلى الى الصباح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب الاحسان اى فرضه
وقدره او اثبته او امر به على كل شىء اى لاجل كل شىء كقوله تعالى ولتكبروا الله
على ما هديكم اى لما هداكم او فى كل شىء كقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان اى فى ملكه او الى كل شىء كذا قيل ولعله مبنى على ان الحروف
يقوم بعضها مناب بعض ولا يبعد ان يكون على على مبناه ومعناه ان الله اوجب
على كل شىء كيف ينبغى للفاعل ان يقوم به يفعل فيه يعنى انه قدر وبين ذلك
على الشان بنيه البنيه فاذا قتلتم اى اذا قصدتم قتل من جوز قتله شرعا من
قصاص ونحوه فاحسنوا القتلة بكسر القاف هو الرواية وهى هيئة القتل
والاحسان فيها اختيار اسهل الطريق الاما واقلها تعذيبا وايلاما وفيه
رد على ما كان عليه الجاهلية من المثلة بقطع الاعضاء وتعذيب الاجزاء
واذا ذبحتم اى واذا اردتم ذبح ما يحل ذبحه من البهائم فاحسنوا الذبحة
بكسر الذال وهى هيئة الذبح ذكره الكازرونى قيل وهو الذى اكثر نسخ صحيح مسلم
وهو المصدر لا غير لكن قال المص القتلة والذبحة بكسرهما اسم الذبح مختص
بالحيوان واحسان الذبح بالبهيمة هو الرفق بها بان لا يصرعها بعنف ولا

يجرها من موضع الى اخر بالشدة في جرها واحضارها نية الاباحة او القربة
وتوجيهها الى القبلة والتسمية وقطع او داجها اي عروق رقبتها واحداد آلة
ذبحها لقوله وليحد احدكم شفرته بسكون اللام وكسرها وبضم الياء وكسر الحاء
وتشديد الدال المفتوحة ويجوز كسرها لغة والمعنى ليحددها والشفرة بفتح
اوله السكين العريض والمراد به السكين ونحوه مما يذبح به وليرح ذبيحته بسكون
اللام وكسرها وبضم الياء وكسر الراء وجزم الحاء من الاراحة وهي جلب الراحة
للشيء او تسبب الى حصولها له والمعنى ليتوصل الراحة اليها بان يتركها على حالها
حتى تستريح عن اضطرابها عند ذبحها والذبيحة بمعنى المذبوحة فعيل بمعنى
المفعول كانه قال الدابة الذبيحة او يكون من باب غلبة الاسمية على الوصفية
هذا وينبغي ان يسقيها عند ذبحها وان يواري احدادها عنها لامره صلى الله
عليه وسلم بذلك على ما رواه احمد وابن ماجه ولا يذبح اخرى قبالتها ثم يمر
السكين بسرعة عليها ثم يمهلها حتى تبرد ثم يسلخها فقد روى الخلال والطبراني
انه صلى الله عليه وسلم مر برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي
تلحظ اليه ببصرها فقال افلا قبل هذا اتريد ان تميتها موتات وروى ابن
ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل وهو يجر شاة باذنها فقال
له دع اذنها وخذ بسالفتها اي مقدم عنقها واخرج عبد الرزاق ان شاة
انفلتت من جزار حتى جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم فاتبعها فاخذ يسحبها
برجلها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اصبري لامر الله وانت يا جزار
فسقها سوقا رفيقا واخرج احمد انه قال رجل يا رسول الله اني لاذبح الشاة
وانا ارحمها فقال ان رحمتها رحمك الله رواه مسلم وكذا احمد والاربعة
قال العلماء وهذا الحديث متضمن لجميع قواعد الاسلام لان الاحسان في الفعل

ايقاعه

تلقاء وجهها

موتان

ايقاعه على مقتضى الشرع او العقل والافعال التي تصدر عن الشخص
اما ان تتعلق بمعاشه او معاده والاول اما سياسة نفسه وملكه
او اهله واخوته واولاده او باقي الخلق والثاني اما الايمان وهو القلب
او الاسلام وهو عمل البدن فاذا احسن الانسان في هذا كله واتى به على
مقتضى دينه فقد ادى ما عليه من انواع التعظيم لامر الله والشفقة على
خلق الله فرضا وندبا شرعا وعرفا لقوله ان الله كتب معناه اوجب وقدر
الاحسان على الانسان في كل شيء يتعلق بمعاده بان ياتي بالتكاليف على الوجه المشروع
ومعاشه باصلاح امور نفسه وبايصال النفع الى اخوته علما
ومالا ودفع الضر عنهم اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة
باخرى واما في العقبى بان يبرئ ذمته عن التبعات المقتضية
للعقوبات والاحسان يطلق على الانعام وعلى الاتقان والاحكام
وفي بعض العرفاء الكرام ان الاحسان اسم جامع لجميع ابواب
الحقائق وهو اما احسان في القصد وهو اصلاحه على مقتضى
العلم وابرامه عزما بان ياخذ من العمل جدا وتصفيته حالا بان
لا يلاحظ حظ نفسه ابدا او في الاحوال بان يراعي حفظها بالحضور
ويسترها عن الناس بالستور ويجتهد في تحقيق الامور او
في الوقت بان لا يفارق المشاهدة ابدا ولا يلاحظ بهمته احدا
ويجعل هجرته الى الحق سرمدية ولقد افاد من اجاد بقوله احسن
فحسبك ان تسمى محسنا ما احسن الاحسان ممن احسنا و
اغنم من الذكر الجميل اجله فاجل ما كسب الفتى حسن الثناء وقد
قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان الله يحب المحسنين

وان رحمت الله قريب من المحسنين وهل جزاء الاحسان الا الاحسان
واحسن انواع الاحسان واكمل مقامات افراد الانسان ما في حديث جبريل
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وهذا في الدنيا واما في العقبى
فهو ان تورى الله وتجتنب عما سواه وتفنى ثم تبقى ببقاه الحديث
الثامن عشر عن ابى ذر جندب بضم الجيم وضم الدال
وفتحها ذكره المص وقال ابن حجر بتثليث الدال فيفيد جواز كسرها
مع ضم اولها وهو مخالف لما في كتب اللغة وضبط الاسماء والاخصار
على اوزان معروفة في الصرف فانهم جندب كدرهم لغة في جندب جراد معروف
واسم على ما في القاموس بن جنادة بضم الجيم قاله المؤلف وابى عبد
الرحمن معاذ بن جبل بضم الميم رضى الله عنهما اى عن ابى ذر ومعاذ
ثم ابو ذر غفارى روى عنه انه قال انا رابع الاسلام اسلم و
رجع الى قومه ثم هاجر الى المدينة وورد بروايات متعددة انه
اصدق الناس لهجة وهو احد النجباء من اصحابه صلى الله عليه وسلم
وزهادهم وكان يرى ان من اوكى على صفرا وبيضاء كوى بها يوم
القيمة وقال على في حقه وعاء ملئ علما اوكى عليه فلم يخرج منه شئ
حتى قبض روى له مائتا حديث واحد وثمانون حديثا مات
بالربذة سنة ثلاثين وصلى عليه ابن مسعود ومات بعد
عاشره بالمدينة ومعاذ انصارى اسلم وعمره ثمان عشر سنة
شهد بدرا والعقبة والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
روى له مائة حديث وسبعة وخمسون وورد انه عليه وسلم قال
اعلم امتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل وانه قال له صلى الله عليه وسلم يا معاذ انى لا
حبك

حبك فقال وانا احبك والله يا رسول الله قال لا تدع ان تقول في دبر كل
صلوة اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وانه قال يأتي معاذ
يوم القيمة بين يدى العلماء رتوة اى رمية سهم او خطوة او درجة وقال
مالك بلغنى ان ابن مسعود قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقيل
يا ابا عبد الرحمن انما ذكر الله بهذا ابرهيم عليه السلام فقال ابن مسعود ان
الامة الذى يعلم الناس الخير وان القانت هو المطيع وفى رواية قال انا كنا
نشبه معاذا بابرهيم عليه السلام ثم هو ممن جمع القران في حيوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم استقرؤا القران من اربع عبد الله
بن مسعود وسالم مولى ابى حذيفة وابى ومعاذ مات بناحية الاردن في
طاعون عمواس وهو بفتحتين قرية بين الرملة والقدس نسب اليها لانه
اول ما ظهر منها سنة ثمانى عشر وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقبره
منور بيسار شرقيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اى لكل منهما
او لاحدهما وسمع الاخر او لغيرهما وهما سمعا اتق الله امر وجوب لان
المراد به الخوف والخشية واكتساب الاوامر واجتناب الزواجر والتقوى
لغة حفظ النفس عما يؤذيه كانها جعلت في وقاية وشرعا صيانة النفس
عن المحظورات واختلف في الصغائر والتحقيق ان للتقوى مراتب من ترك
المحظور والمكروه والمباح وما لا يعنى والغفلة عن الذكر والشكر والتبرى
عما سوى الله سبحانه ولذا قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم وكمالها كما
ورد في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته بان يطاع
فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر اخرجه الحاكم مرفوعا حيث ما
كنت مستعمل للمكان والزمان والمعنى اتق مخالفة الحق حيث يراك الخلق

اولا يرونك اكتفاء بنظره تعالى كما يشير اليه قوله عز وجل واتقوا الله ان الله
كان عليكم رقيبا وكما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لابى ذر اوصيك
بتقوى الله فى سر امرك وعلانيته والمعنى اتق الله فى الخلاء والملاء وفى حالى
النعماء والباساء فان الله عالم بسرائرك كما انه مطلع بظواهرك فعليك برعاية
دقائق الادب فى حفظ اوامره ومراضيه والاحتراز عن مساخطه ومناهيه
والتقوى هى الكلمة الجامعة للامم السابقة واللاحقة قال تعالى ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله فالتقوى من اساس
الدين وبه يرتقى الى مراتب اليقين واتبع السيئة الحسنة بفتح الهمزة وسكون
التاء وكسر الباء امر من الاتباع والمعنى باشر الحسنات تعقيب السيئات وهو
ايضا للوجوب على ما قيل من ان المراد بالحسنة التوبة بقرينة قوله تمحها
فان سائر الحسنات لم يكفر جميع السيئات والمعنى تمح الحسنة تلك السيئة
اى يمح الله بها اثارها من القلب او من ديوان الحفظة ويثبت مكانها الطاعة
كما قال تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وقيل الاولى حمل الحسنة على العموم والمعنى اذا ابتليت بسيئة فافعل بعدها
حسنة تمح اثار السيئة كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ثبت
فى الاحاديث الصحيحة من تعميم المكفرات وفيه بحث اذ سبب نزول الاية كما
فى الصحيحين عن ابن مسعود ان رجلا اصاب من امراة قبلة ثم اتى النبى عليه السلام
فذكر ذلك له فسكت النبى عليه السلام حتى نزلت هذه الاية فدعاه فقراها
عليه فقال رجل هذه له خاصة فقال بل للناس عامة فالحسنة محمولة على
التوبة اذ جاءه تائبا وليس فى الحديث ما يدل على انه صدر منه حسنة اخرى
ولو فرض وقوع طاعة كصلوة ونحوها كما ينبى بالغرض من عموم السيئات ليشمل الكبائر

مطلب
قال ابن ملك فى شرح حديث ان امراة بغيا الحديث الحديث يدل على غفران الكبيرة من غير توبة وهو مذهب اهل السنة
٦٦

الصحيفة

وحقوق

وحقوق العباد وايضا لو اخذ بعموم حكمهما لترتب عليه الفساد من عدم
خوف فى المعاد ويؤيد ما اوردنا ان فى طريق من طرق وصايا معاذ لما بعثه
الى اليمن وان احدثت ذنبا فاحدث عنده توبة ان سرا فسرا وان علانية
فعلانية هذا وقد اجمع العلماء على ما قاله ابن عبد البر ان الاعمال الصالحة
لا تكفر غير الصغائر نعم قد يخفف الكبائر على ما صرح به النووى واما الكبائر
فلا بد لها من التوبة لاجماعهم على انها فرض ويلزم من تكفير الكبائر بنحو وضوء
وصلاة بطلان فرضية التوبة وهى فرض عين على الخاصة والعامة قال
تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وفى الصحيحين
الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن
ما اجتنبت الكبائر فحكى ابن عطية عن جمهور اهل السنة فى معناه
ان اجتناب الكبائر شرط لتكفير هذه الفرائض للصغائر فان لم يجتنب
لم يكفر شيئا بالكلية وهو ظاهر اية ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم اى بحسناتكم على قواعد اهل السنة لا بمجرد اجتناب
كبائركم كما قالت المعتزلة وقال بعض اهل السنة ان الحسنة تكفر الصغيرة
ما لم يصر عليها سواء فعل الكبيرة ام لا مع القول الاصح بان التوبة من الصغيرة
واجبة ايضا ولو لم يات بكبيرة لجواز تعذيب الله سبحانه بها خلافا
للمعتزلة وقيل الواجب الاتيان بالتوبة او بمكفرها من الحسنة وهذا جمع
مستحسن فى التحقيق والله ولى التوفيق واما اتباع الحسنة بالسيئة
فان كانت ردة فتحبطها والا فلا على مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة ثم لما
وصاه بحقوق الله وما يتعلق باصلاح نفسه ذكر ما يتعلق بحقوق
العباد من غيره فقال وخالق الناس بخلق حسن بضم الخاء واللام ويسكن

اى وخالطهم مخالطة حميدة وعاشرهم معاشرة سديدة وهو بسط المحيا وبذل
الندى وكف الاذى ومجمله جامل الناس بما يحب ان يجاملوك به وعاملهم
بما يحب ان يعاملوك به وعاملهم فى وصية بعض الحكماء عليك بالخلق
مع الخلق وبالصدق مع الحق ثم الخلق وان كان فى الاصل سجية لما ورد مرفوعا
ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم الا ان للانسان قابلية يمكنه ان
تخلق بالاخلاق الحسنة المرضية اذا العلق به العناية الربانية وتدل عليه
الادعية النبوية اللهم فكما حسنت خلقى اللهم اهدنى لصالح الاخلاق
لا يهدى لصالحها الا انت واصرف عنى سيئها الا انت فهو جبلى باعتبار كله
اكتسابى بالنظر الى محله واما ما ورد عن ابن مسعود فرغ ربك من اربعة
الخلق والعمل والرزق والاجل كذا ذكره ابن حجر ولعله تصحف عليه فتح الخاء
بالضم والا فهو يوافق قوله تعالى الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
الاية رواه الترمذى فى جامعه وقد سبق بعض مناقبه وله تواليف
فى التواريخ والعلل وفى الشمائل وقد شارك البخارى ومسلما فى كثير من
مشايخهما وروى عن اتباع الاتباع وكتب عنه امام الصنعة محمد بن
اسمعيل البخارى وحسبه بذلك فخرا وقال الحديث حسن وانما قاله عليه السلام
لابى ذر لما جاء اليه وهو مختف بمكة فاسلم واراد المقام معه عليه السلام
فعلم عليه السلام انه لا يقدر معه على المقام فامره ان يلحق بقومه عسى ان
ينفعهم الله به وقال له اتق الله حيث كنت الحديث ولمعاذ لما بعثه
الى اليمن معلما لهم وقاضيا فيهم وقد امتثل رضى الله عنه هذه الوصية
ومن ثم لما بعثه عمر رضى الله عنه على عمل قدم منه وليس معه شئ فعاتبته
فعاتبته امراته فقال لها كان ضاغط اى ضابط يضيق على ويمنعنى

من اخذ

من اخذ شئ لدى واراد به عز وجل وظنت امراته ان عمر بعث معه رقيبا
فقامت تشكو الى الناس وفى بعض النسخ اى نسخ الجامع حسن صحيح وقد
سبق اجوبة عن وجه الجمع بينهما وفى شرح الكازرونى حسن من حديث معاذ
صحيح من حديث ابى ذر واما قول ابن حجر بحسينه لهذا الحديث مقدم على
ترجيح الدارقطنى ارساله للقاعدة المقررة ان المسند لزيادة علمه مقدم على
المرسل ففيه بحث لان الدارقطنى يقدم سند ارسال الحديث على اسناد الاتصال
وهو لا ينافى كونه حسنا او غيره واما قوله ويؤيد تحسين الترمذى انه
ورد لهذا الحديث طرق متعدده عند احمد والبزار والطبرانى والحاكم
وابن عبد البر يفيد مجموعها حسنه ففيه نظر ظاهر اذ لم يقل احد بتضعيفه
حتى يفيد تعدد الطرق تحسينه بل تعدد الطرق الحسنة يفيد تصحيحه
فيكون الحديث حسنا لذاته صحيحا لغيره ويؤيده ان الحاكم قال صحيح على شرط
الشيخين وان قيل انه وهم منه لان ميمون احد رواته لم يخرج له البخارى
شيا ولم يصح سماعه من احد من الصحابة فلم يوجد فيه شرط البخارى
كذا ذكره ابن حجر وفيه ان عدم اخراج البخارى له لا ينفى كونه على شرطه
وكذا عدم سماعه من الصحابة لا ينفى ان سنده غير صحيح بل يكون منقطعا
وهو مختلف فى ضعفه على ان شرط السماع انما هو معتبر عند البخارى
دون مسلم لانه يكتفى باحتمال السماع عند امكان الاجتماع فهو صحيح على شرط
مسلم من غير النزاع بل وشرط البخارى ذلك من غاية الاحتياط والا فالجمهور
على خلافه فى اعتبار صحة الحديث هذا وقد قال سهل لا معين الا الله
ولا دليل الا رسول الله ولا زاد الا التقوى الله وقال الكتانى قسمت
الدنيا على البلوى وقسمت الجنة على التقوى وقال النصراباذى من لزم

التقوى اشتاق الى مفارقة الدنيا قال تعالى ولدار الاخرة خير للذين اتقوا
وقيل من تحقق في التقوى هون الله على قلبه الاعراض عن الدنيا وقيل التقوى
على وجوه للعامة تقوى الشرك وللخواص تقوى المعاصي وللاولياء تقوى
التوسل بالافعال وللانبياء تقويهم منه اليه واما الخلق فقد روى الحسن
عن الحسن عن ابي الحسن عن سبط الحسن ان من احسن الحسن الخلق الحسن
وفي حديث انكم لن تسعوا الناس باموالكم وانما تسعونهم ببسط الوجه
وحسن الخلق وقيل لذي النون المصري من اكثر الناس هما فقال
اسوأهم خلقا وقال وهب ما تخلق عبد بخلق اربعين صباحا الا
جعل الله ذلك طبيعة فيه ثم التحقيق كما ذكره بعض اهل التوفيق انه قد لاح
عند ارباب العرفان بطوالع الوحي ولوامع الوجدان ان الانسان جوهر
لطيف نوراني من عالم الامر الرباني شبيه بالجواهر القدسية الملكوتية
وله قوتان يحظى بكمالهما ويشقى باختلالهما قوة عاقلة تدرك حقائق
الموجودات باجناسها وانواعها وينتقل منها الى معرفة من استقل
بابداعها وقوة عاملة تدرك النافع نافعا فتميل اليها والضار ضارا
فتنفر عنها وذلك امور هاشية تتعلق بحفظ النوع وكمال البدن
او ملكات فاضلة واحوال باطنة هي الخلق الحسن وهو اما تزكية
النفس عن الرذائل واصولها عشرة شره الطعام والكلام والغضب
والحسد والبخل وحب المال والجاه والكبر والعجب والريا واما
تحليتها بالفضائل وامهاتها عشرة التوبة والخوف وذكر الموت
والزهد والصبر والشكر والاخلاص والتوكل والمحبة والرضا
بالقضاء ثم الخلق ملكة تصدر بها الافعال عن النفس بسهولة من غير سبق روية

وتنقسم

وتنقسم الى فضيلة هي الوسط ورذيلة وهي الاطراف وهذا جار في
الاعتقاد بان يكون توحيد تنزيه بين تعطيل وتشبيه وبين جبر وقدر
وفي الافعال بان يكون كرما بين اسراف وتقتير وفي الاخلاق بان يكون
شجاعة بين تهور وجبن وفي الاحوال بان يكون باشا كاشا بين محو وصحو فان
خير الامور الوسط وحب التناهي من الغلط وما ذكرنا تبين لك ان السالك
المتقي لا بد له من علم وعمل وتصحيح نية وتحسين طوية وحسن الخاتمة فالتقوى
باعتبار مبناها وجزئه ومن جهة معناها عزيزة ومجملها ان الله لا يراك
حيث نهاك وقيل يستدل على تقوى الرجل بثلاث بحسن التوكل فيما لم ينل و
بحسن الرضاء فيما قد نال وبحسن الصبر على ما فات وروي ان ابا حنيفة
ما جلس في الحر في ظل غريمه ويقول في الخبر كل قرض جر منفعة فهو ربوا و
ذكر الفرغاني ان الجنيد كان جالسا مع رديم والحريري وابن عطاء فقال
الجنيد ما نجا من نجا الا بصدق اللجا قال تعالى وعلى الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت وقال رديم ما نجا من نجا الا بصدق التقى قال تعالى
وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وقال الحريري ما نجا من نجا الا براعاة
الوفاء قال تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال ابن
عطاء ما نجا من نجا الا بتحقيق الحساب قال تعالى الم يعلم بان الله يرى قال الاستاد
ابو القاسم القشيري ما نجا من نجا الا بالرضا بالقضاء قال تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى قلت جميعها مندرجة تحت التقوى وفي الحديث
كل الصيد في جوف الفرا وعن جابر قال قال موسى عليه السلام يا رب امهلت
فرعون اربعمائة سنة فاوحى الله اليه انه كان حسن الخلق سهل
الحجاب عن الخلق فاحببت ان اكافئه ومن شعر ابي الدرداء يود المرء

لا يراك

اللجا كسبع وتقى لا ذق

ان يعطي مراده • ويابى الله الا ما اراد • يقول المرء فائدتي ومالي • وتقوى الله
افضل ما استفادا الحديث التاسع عشر عن ابي العباس
حبر الامة وبحر الحكمة ترجمان القران وابو الخلفاء عبد الله بن عباس عم النبي صلى الله عليه
وسلم رضي الله عنهما ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد صح عنه عليه السلام انه قال
في حقه اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل اللهم علمه الحكمة وتاويل القران اللهم
بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين اللهم زده علما وفقها
وقال مسروق ادركت خمس مائة من الصحابة اذا خالفوا ابن عباس لم يزل يقررهم
حتى يرجعوا الى ما قال وقال كنت اذا رايته قلت احلم الناس واذا تكلم قلت
افصح الناس واذا حدث قلت اعلم الناس روى له الف حديث وستمائة
وستون مات بالطايف ودفن بها سنة ثمان وستين في خلافة ابن الزبير
وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال مات رباني هذه الامة وقد استاذنه
صلى الله عليه وسلم وهو على يمينه حين شرب فقال له اتاذن لي ان اعطي
الاشياخ ابا بكر وعمر وغيرهما فقال والله لا اوثر بنصيبي منك احدا
فوضع القدح في يده وقد نحى في حر عمره • وفي ذلك يقول • ان ياخذ الله من عيني
نورهما • ففي فوادي وقلبي منهما نور • قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل • وفي
فمي صارم كالسيف ما بور • قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما
اي خلف دابته كما في رواية ذكرها الواحدي في وسيطه عن ابن عباس
انه اهدى كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة فركبها بحبل من شعر ثم
اردفني خلفه وسار بي مليا ثم التفت فقال يا غلام بضم الميم لانه نكرة مقصودة
ويجوز كسرها بنية الاضافة وهو ابلغ في النسبة وفي رواية يا غليم وهو
تصغير شفقة او لكونه صغيرا اقل من نحو عشرة اني اعلمك كلمات اي ينفعك

الله بهن

ابره أصلحه وابر صلح ق

الله بهن كما في رواية لمسلم اي بتعلمهن وعملهن وتعليمهن والمعنى اعلمك فصولا
مفيدة في دفع اللاواء • وجلب الالاء • وفائدة هذا التمهيد ان يثنيه المخاطب
السعيد ويسترعي بها سمعه السديد ليفهم ما يلقيه اليه ويتمكن في نفسه
فضل تمكن لديه ثم ايراد الكلمات بجمع القلة الايماء بانها قليلة المباني جزيلة
المعاني يسهل حفظها ويتيسر ضبطها احفظ الله اي امره وحكمه بامتثال
اوامره واجتناب زواجره والرضا بما قدره وقضاه وعدم الالتفات الى ما
سواه او احفظ مراسم طاعاته ولوازم عباداته يحفظك اي يحرسك من
مكاره الدنيا ومشاق العقبى ومجمل معناه احفظ الله فلا يراك حيث نهاك
يحفظك في دينك ودنياك احفظ الله اي في امتثال حكم شريعته وحسن
الخلق مع خليقته فان المدار على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله تجده
تجاهك بضم التاء اي حذاءك بنصره اياك واصل تجاه وجاه والتاء بدل من الواو
كما في تقاه وقال المصنف تجاهك بضم التاء وفتح الهاء اي امامك كما في الرواية
الاخرى ثم المعنى تجد عنايته ورافته قريبا منك يراعيك في جميع الحالات
وينقذك من انواع العثرات ويسعدك باصناف البركات وهذه
استعارة تمثيلية شبه حاله في معاونة الله اياه ومراعاته حالاته وسرعة
انجاح حاجاته بحال من حل امامك يحفظك ويراعيك في مقاصدك وهو
تلميح الى قوله سبحانه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقد اشار بعض العارفين
الى انه لا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها قائم عليها اقرب
من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الايجاد والامداد بل بمعنى
اخر لا يجوز كشفه لعموم العباد • رمزت اليه حذار الرقيب • وكتمان
سر الحبيب حبيب اذا ما تلاشيت في نوره • يقول لي ادع فاني قريب •

اللأى كالسعي الشدة كاللأواء ق

فلا يراك

وقال بعضهم لفرط قربه بك لا تراه ولغاية بعدك عنه ترى شيئا سواه
وهذا تمام لمن يطلب معرفة مولاه ولا يصح الطلب الا لمن خالف هواه وخص
الامام اشعارا بشرف المقصد والمرام وبان السالك كالمسافر الى العقبى
متحول عن الدنيا مقبل بكليته على المولى فكان المعنى تجده حيث ما توجهت
من امر الدين او الدنيا المعينة على تحقيق امر اليقين او المعنى اجعله بمرئ منك
تجده قائدك الى مامنك اذا سالت اي اذا اردت سوال شئ فسئل الله
ولا تلتفت الى ما عداه فانه المعطي والمانع والضار والنافع وخزائن العطايا
عنده ومفاتيح المزايا بيده فينبغي ان لا يرجى الا نعمته ولا يخشى الا نقمته و
يلتجى في عظائم المهام اليه ويعتمد في جمهور الامور عليه وقد قال تعالى واسئلوا
الله من فضله وفي الحديث من لم يسئال الله يغضب عليه اذ السوال اظهار
شعائر الانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار والافلاس عن ذروة
القوة والطاقة الى حضيض الاستكانة والفاقة وفي الخبر ليسال احدكم
ربه حاجته كلها حتى شسع نعله اذا انقطع وقد قال تعالى لموسى عليه السلام
يا موسى سلني في دعائك حتى ملح عجينك واخرج المحاملي وغيره قال تعالى من
الذي دعاني فلم اجبه وسالني فلم اعطه واستغفرني فلم اغفر له وانا
ارحم الراحمين واذا استعنت اي اردت طلب المعونة في تحمل
المؤنة المتعلقة بامر الدنيا او الاخرة فاستعن بالله اذ لا معين
سواه ولا فاتح ولا مانح الا اياه وكل معين لا يعين الا بالقاء ربه الداعية
في قلبه فلا بد من قطع الواسطه في مقام قربه كما يشير اليه قوله تعالى
اياك نعبد واياك نستعين ولانه لا حول عن معصية الله الا بعصمة
الله ولا قوة على طاعة الله الا باعانة الله ومن ثم كانت لا حول ولا قوة الا بالله

كنز من كنوز

كنز من كنوز الجنة على ما ورد به الخبر وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن
بغير الله فيكلك الله اليه وقيل المعنى اذا سالت غير الله فسئل الله ان يوفقه اياه
واذا استعنت بما سواه فاستعن بالله ليعينك بخلق الاعانة والشفقة في
قلبه لان قدره وقضاه واعلم حيث على التوجه التام نحو الخير الذي هو المقصود والمرام
ان الامة المراد بها هاهنا سائر البرية لو اجتمعت على ان ينفعوك بشئ
لفظة لو بمعنى ان اذ المعنى على الاستقبال كما في لو تركوا من خلفهم ونكتة العدول
هي ان اجتماعهم على الامداد من المستحيل لا بخلاف الاتفاق على الايذاء فانه من
الممكنات ولذا قيل • الظلم من شيم النفوس فان تجد • ذا عفة فلعله لا يظلم • لم
ينفعوك اي بشئ من الاشياء الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك
بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك اي قدره واثبته في الذكر وفرغ
منه والمعنى وحد الله في الطلب والدفع ولحوق الضر والنفع قال تعالى وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
رفعت بصيغة المجهول الاقلام اي وثبتت الاحكام لما في جامع الترمذي
ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر ما كان
وما يكون وفي رواية لابي داود والترمذي اول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب
في تلك الساعة ما هو كائن الى يوم القيمة وجفت بالجيم المفتوحة وتشديد
الفاء اي يبست الصحف اي كتابة ما ذكر في اللوح وفرغ منها على وفق ما قدر و
هو كناية عن جريان القلم بالمقادير وعدم امكان شئ من التغيير لا يقال هذا
ينافي قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت لانا نقول والاثبات مما جفت به
الصحف ايضا لان القضاء قسمان مبرم ومعلق او نقول ما في اللوح قابل مطلب
للمحو والاثبات على نهج الصواب بخلاف ما في علمه سبحانه واليه الاشارة بقوله

وعنده ام الكتاب رواه الترمذى وقال اى هذا كما فى نسخة حديث حسن
صحيح وقد روى مسلم ان الله كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السماء والارض
بخمسين الف سنة وروى ايضا قيل يا رسول الله فيما العمل اليوم افيما جفت
به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام
وجرت به المقادير قيل ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقد روى جماعة
غير الترمذى من عدة طرق عن ابن عباس وجاء انه صلى الله عليه وسلم وصاه بذلك
عن على وابى سعيد وسهل ابن سعد وعبد الله بن جعفر لكن قال ابن منده
وغيره اصح الطرق كلها الطريق التى اخرجها الترمذى ثم هو حديث كبير الشان
كثير البرهان للدلالة على رعاية حقوق الله والتفويض والتوكل عليه وعجز
الخلق وافتقارهم اليه وشهود توحيده وظهور تفريده وفى رواية غير
الترمذى وهو عبد بن حميد فى مسنده لكن باسناد ضعيف ورواه احمد
باسنادين منقطعين ولفظه يا غلام او يا غليم الا اعلمك كلمات ينفعك
الله بهن فقلت بلى يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ
الله تجده امامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واذا سالت فسئل
الله واذا استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو ان الخلق
كلهم جميعا ارادوا ان ينفعوك بشئ لم يقضه الله لم يقدروا عليه وان ارادوا
ان يضروك بشئ لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه واعلم ان الصبر على
ما تكره خير كثير وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا
وهذا اتم من حديث عبد بن حميد الذى ذكره المصنف بقوله احفظ الله تجده
امامك بفتح الهمزة تعرف بتشديد الراء الى الله فى الرخاء اى تحبب اليه بلزوم طاعته
واجتناب معصيته ذكره المص لان المعرفة سبب المحبة وقيل اجعله الله يعرفك

بطاعته

بطاعته والعمل فيما اولاه من نعمته يعرفك بفتح الياء وكسر الراء اى يجازيك
ويمدك فى الشدة ويجعل لك من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا وحاصل المعنى
تقرب اليه بانواع الطاعات واصناف العبادات وتحبب اليه وتوكل عليه
ولتكون معروفا بذلك لديه فيسهل عليك همومك ويدفع عنك غمومك بما
سلف من تقربك اليه وتذللك لديه واعتمادك عليه وفى حديث للترمذى
عن ابى هريرة من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر
الدعاء فى الرخاء ورواه الحاكم عن سلمان وقال صحيح الاسناد واعلم ان ما اخطاك
اى جاوزك من المقادير من نعمة او شدة فلم يصل اليك لم يكن مقدرا ليصيبك
اى لان يصيبك والا لكان اصابك ولم يتجاوز عنك ولم يتعد عليك
وما اصابك من المقدرات لم يكن مقدرا ليخطئك والمعنى انه فرغ
مما اصابك او اخطاك من خير وشر ونفع وضر وطاعة ومعصية
ونعمة ومحنة فما اصابك كانت اصابته لك محتومة فلا يمكن ان
يخطئك فسلامتك منه محتومة فلا يمكن ان يصيبك لان ذلك
كالسهام الصائبة وجهت من الازل فلا بد ان تقع مواقعها من غير ان تتغير
وتتبدل وقد قال تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقال ما اصاب
من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبراها اى نخلقها
وقد ورد فى مسند احمد انه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شئ حقيقة
وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه
لم يكن ليصيبه وفى خبر اخر فان استطعت ان تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل
وان لم تستطع فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وزيد فى رواية اخرى بعد هذا
قلت يا رسول الله كيف اصنع باليقين قال ان تعلم ان ما اصابك لم يكن

ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك فاذا انت احكمت باب اليقين
وهو العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان وقيل هو مشاهدة الغيوب
بصفاء القلوب وملاحظة الاسرار بمخاطبة الافكار اى ان يتقى قلبك
بالقضاء يحثك على الرضاء بما اصابك من البلاء وان لم تصل الى هذا
المقام فتجرع الصبر فان فى الصبر خيرا كثيرا لتحقق المرام كما اشار اليه بقوله
واعلم ان النصر من الله للعبد على جميع اموره يوجد مع الصبر ان من العبد على
امر به من امتثال طاعته واجتناب معصيته وحلول محنته ونزول
مصيبته قال تعالى والله مع الصابرين وقال تعالى واصبر لحكم ربك وقال
واصبر وما صبرك الا بالله وقال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ومن جملة
الخير النصر بل الظاهر كما هو الغالب ان من انتصر بنفسه عدم النصر
من صبر ورضى بعلم الله وطلب النصر من عنده فالمعهود من احسانه و
كرمه ان ينصره ويقويه على عدوه ويحمل معناه ان الصبر سبب للنصر
وان الفرج بفتحتين الخروج من الغم مع الكرب بفتح فسكون اى الغم الذى
ياخذ بالنفس اى لا يدوم على الدوام الكرب والشدة ولا بد عقباه من الفرج
والخلاص من المحنة ولذا ورد اشتدى ازمة تنفرجى فينبغى للعبد ان يكون
صابرا على ما ابتلاه مولاه وراجيا وقوع الفرج مما نزل به وقدره وقضاه
فانه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين وان مع العسر يسرا مصداقه قوله تعالى
فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فذكر العسر مرة واليسر مرتين فان المعرفة
المعادة هى عين الاولى بخلاف النكرة فانها غيرها ولذا قال صلى الله عليه
وسلم لن تغلب عسر يسرين ولعل المعنى ان العسر فى الدنيا يصحب اليسر فى الدنيا
والعقبى واخرج البزار وابن ابى حاتم واللفظ له لو جاء العسر فدخل هذا
الجحر

الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل الله هذه الاية فان قلت النصر
والفرج واليسر بعد الصبر والكرب والعسر لانهما يتواردان على المحل فما معنى الاصحاب
المستفاد من مع فالجواب ان المقصود المبالغة فى معاقبة احدهما الاخر
واتصاله به حتى جعله كالمقارن زيادة فى التسلية والتنفيس وجعلها
بمعنى بعد من ضيق العطن وحاصل معنى هذا الحديث الشريف هو الحث على
التوكل والرضاء ونفى الحول والقوة الا بالمولى اذ ما من حادثة من سعادة و
شقاوة وخير وشر ونفع وضر ويسر وعسر وعمل واجل الا وقد تعلق بقدر الله
وقضائه قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف عام جرى قلم
قلم القضاء ما يكون فسيان التحرك والسكون فيجب الشكر فى حال السراء
والصبر فى حال الضراء معتقدا ان الامر كله لله وان كل شى من عند الله فان
تعسر شى فبتقديره وان اتفق شى فبتيسيره وفى الحديث ايضا اشارة الى ان الله
تعالى اذا اراد ان يفتح لعبده بابا من فضله ابتلاه بشى من بلائه ثم يخصه بنعمة
من نعمائه وما رايت شيئا من الامتحان الا رايت معه او بعده من بوادر
لطائف بره وسعا لطرق محبتهم وزيادة لمودتهم والحكمة فى ذلك ان تعرف
قدر النعمة وشرف المنة فبمرارة الفراق يعرف حلاوة الوصال وبمراحة الهجران
تدرك راحة العرفان وبالنقطة السوداء فى وجه الحسناء تعلم قدر الحسن
والبهاء فعلى المومن اذا لحقه شدة فى صعوبة ما لها ان يعلم انه سيظفر
بزوالها لانه اما ان يتخلص عنه بالحيوة واما يحصل له النجاة بالممات
وحينئذ يصل الى من لا يهمل شيئا من امره ولا يضيع حقه من صبره وشكره
وقال بعض المريدين للسيد ابى الحسن الشاذلى علمنى الكيميا فقال له هى
كلمتان اطرح الخلق عن نظرك واقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما

قسم لك وقال القطب الربانى الشيخ عبد القادر الجيلانى فى فتوح الغيب
النفس لها حالتان لا ثالث لهما حالة عافية وحالة بلاء فاذا كانت
فى بلاء فالجزع والشكوى والتسخط والاعتراض والتهمة للحق عز وجل لا صبر
ولا رضا ولا موافقة بل سوء الادب والشرك بالخلق والاسباب والكفر
واذا كانت فى عافية فالاشر والبطر واتباع الشهوات واللذات كلما — الاشر متكبر
نالت شهوة طلبت اخرى واستحقرت ما عندها من النعم من ماكول و
مشروب وملبوس ومنكوح ومركوب فتخرج لكل واحدة من هذه النعم عيبا ونقصا
وطلب اعلى منها واسنى مما لا يقسم لها وتعرض عما قسم لها فتوقع الانسان فى تعب
طويل ولا ترضى بما فى ايديها وما قسم لها فتركب الغمرات وتخوض المهالك — الغمرة الشدة
فى تعب طويل لا غاية له ولا منتهى فى الدنيا ثم فى العقبى كما قيل من اشد
العقوبات طلب ما لا يقسم فاذا كانت فى بلاء لا تتمنى سوى انكشافها و
تنسى كل نعيم وشهوة ولذة لا تطلب شيئا منها فاذا عوفيت منه رجعت
الى رعونتها واشرها وبطرها واعراضها عن طاعة ربها وانهماكها فى معاصيه
وتنسى ما كانت فيه من البلية وحل بها من الويل فترد الى اشد ما كانت
عليه من انواع البلاء والضر عقوبة لها لما قد اجترحت وركبت من العظائم
وفطاما لها وكفا عن المعاصى فى المستقبل اذ لا تصلح لها العافية والنعمة بل
حفظها فى البلاء والبؤس فلو احسنت الادب عند انكشاف البلية ولازمت
الطاعة بالشكر والرضا بالمقسوم لكان خيرا لها دنيا واخرى فكانت تجد
زيادة فى النعيم والعافية والرضا من الله عز وجل والطيبة والتوفيق واللطف
فمن اراد السلامة فى الدنيا والاخرة فعليه بالصبر والرضا وترك الشكوى
الى الخلق وانزال حوائجه بربه عز وجل ولزوم طاعته وانتظار الفرج منه

عز وجل

عز وجل والانقطاع اليه هو خير من غيره من جميع خلقه حرمانه عطاء
عقوبته نعماء بلاؤه دواء وعده نقد نسيئته حالة وقوله فعل انما قوله
وامره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فكل افعاله حسنة وحكمة ومصلحة
غير انه عز وجل طوى علم المصالح عن عباده وتفرد به فالاولى للعبد واللائق
بحاله الرضا والتسليم والاشتغال له بالعبودية من اداء الاوامر وانتهاء
النواهى والتسليم فى القدر وترك الاشتغال بالربوبية التى هى علة الاقدار
ومجاريها واصولها والسكوت عن لم وكيف ومتى والتهمة للخالق
عز وجل فى جميع حركاته وسكناته ويستند هذه الجملة الى حديث عبد الله
بن عبد الله عباس وهو ما روى عطا عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال
بينما انا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال لى يا غلام احفظ الله يحفظك — ظ يحفظك
احفظ الله تجده امامك فاذا سألت فسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله
جف القلم بما هو كائن ولو جهد العباد ان ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم
يقدروا عليه ولو جهد العباد ان يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا
عليه فان استطعت ان تعمل لله بالصدق فى اليقين فاعمل وان لم تستطع فان
فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان
مع العسر يسرا قال فينبغى لكل مؤمن ان يجعل هذا الحديث مرآة قلبه وشعاره — جامه ئى كه بر شعار دست
ودثاره وحديثه فيعمل به فى جميع حركاته وسكناته حتى يسلم فى الدنيا والاخرة — جامه ئى كه زبر دثار است
ويجد العزة فيهما برحمة الله عز وجل انتهى وقد افرد هذا الحديث بشرح
لبعض العلماء وهو حقيق بذلك لمن اراد تحقيق ما هنالك

الحديث والعشرون

لم يتعرض المص للفظة الحديث من ههنا الى اخر
الكتاب كذا قاله الشارح الكازرونى وغيره واما ما وقع فى اصل ابن حجر

مطلب

من قوله الحديث الموفي عشرين فيخالف النسخ المعتبرة ثم اعلم ان
العشرون يطلق على مجموع عدده ومنه قوله تعالى ان يكن منكم عشرون
ويطلق على العدد المكمل للعشرين مجازا كما هنا لانه تم به العشرون
عن ابي مسعود عقبة بن عمرو الانصاري الخزرجي البخاري البدري
شهد العقبة الثانية مع السبعين ولم يشهد بدرا عند الجمهور وانما
نسب الى ماء بدر لانه نزل فيه لكن الزهري ومحمد بن اسحق والبخاري
ومسلم ذهبوا الى انه شهدها رضي الله عنه سكن الكوفة ومات بها
في خلافة علي وهي من يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة
خمس وثلاثين الى غداء الجمعة لسبع بقين من رمضان سنة اربعين
وعن رواته مائة حديث وحديثان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان مما ادرك الناس بالرفع على الفاعلية والراجع الى ما محذوف
او الفاعل ضمير يعود الى ما والناس مفعوله لكن الرواية على الاول كما قاله
الكازروني ولفظ من تبعيضية اي من جملة ما وصلوا اليه ولحقوا
وظفروا به من كلام النبوة الاولى من بيان لما اي من كلمات ذوي النبوة
المتقدمة واضاف الكلام اليها اعلاما بان الحياء من قضايا النبوة
المجمع عليها فما من نبي الا وقد حث عليه وندب الامة اليه بقوله اذا لم
تستحي فاصنع ما شئت والجملة اسم ان بتاويل هذا القول وفي حديث
لم يدرك الناس من كلام النبوة الا هذا ولهذا قال بعضهم ان من
الاولى ابتدائية يقال استحيى واستحى لكن الاول اصح وافصح ومنه
قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ومنه هذا الحديث
على ما في الاصول المعتمدة خلافا لما يتوهم من شرح ابن حجر فتدبر فان المهم

معناه

معناه اذا اردت فعل شيء فان كان مما لا تستحيي من الله ومن الناس في فعله
فافعله والا فلا وعلى هذا مدار الاسلام يعني مدار احكام الاسلام وذلك
بان افعال الانسان اما ان يستحيى منها اولا والاول يشمل الحرام والمكروه
وتركها هو المشروع والثاني يشمل الواجب والمندوب والمباح وفعلها
مشروع في الاولين جائز في الثالث فعلى هذا يتضمن الحديث الاحكام
الخمسة ولهذا ورد الحيا هو الدين كله رواه الطبراني عن قرة ثم في كلام
المص اشارة الى ان صيغة الامر في الحديث للاباحة فان معناه اذا انت
لم تستحي من صنيع امر ففعله فذلك دليل على جواز ارتكابه وصنيعه
وقال بعضهم الامر للتهديد كما في اعملوا ما شئتم اي اذا نزع منك الحيا فافعل
ما شئت فان الله يجازيك عليه ويكون هذا تعظيما للحياء وتبجيلا في
حقه بالثناء وقيل امر بمعنى الخبر اي صنعت ما شئت وقيل المعنى انك
اذا لم تستحي من الله من فعل شيء يجب ان لا تستحيي منه في امر الدين فافعل و
لا تبال في الخلق ولعل من هذا القبيل ما قيل من ان الحياء يمنع العلم والرزق
يعني الحيا من الناس ولذا قال تعالى والله لا يستحيي من الحق ومن ثم قالت
عائشة نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحيا ان يسالن عن امر دينهن
وفي حديث ان ديننا هذا لا يصلح لمستحيي ولا لمتكبر والمراد منه الحياء المذموم
والا فقد صح ان الحياء شعبة من الايمان رواه مسلم والترمذي عن ابن
عمر وفي رواية عنه على ما رواه ابو نعيم في الحلية والحاكم في مستدركه و
الطبراني في الكبير الحياء والايمان قرنا جميعا فاذا رفع احدهما رفع الاخر والحاصل
انه لا ينبغي ان يغلبه بالحياء من الناس على الحياء من الله حتى يستحيي
فيما يضره من امر دينه او دنياه وبهذا تبين لك صحة قوله صلى الله عليه وسلم

الحياء خير كله الحياء لا يأتي الا بخير فان المراد به الحياء من الحق اذ لا عبرة
بالخلق في الشهود المطلق وقيل المعنى اذا بطلت منك هذه القوة التي
هي اصل كل خير وما بقي فيك عين ولا اثر فافعل ما شئت فانه يفيدك
دواء ولا ينفعك احتماء كما ان الطبيب الحاذق اذا يئس من مداواة
المريض وعرف ان الاحتماء والدواء ما ينفعه لفساد مزاجه وعدم قبول
علاجه فياذن المريض ان يستعمل كل ما تشتهي من الاشياء ولا يامره
بالاحتماء ولا شك ان الانبياء للقلوب كالاطباء للقوالب فهذا تهكم
لا امر بالحياء ومزيد تعظيم له في مقام الثناء ويؤيده ما ورد على ما رواه الطبراني
عن انس مرفوعا من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله ثم الحياء تغير
وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يلام به وقال الجنيد الحياء رؤية
التقصير ورؤية الالاء فيتولد من بينهما حالة تسمى الحيا وقال ذو
النون الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك الى الرب
وقال الدقاق هو ترك الدعوى بين يدي المولى وقال العارف السهروردي
الحياء اطراق الروح اجلالا لعظمة الجلال ومن هذا القبيل حياء اسرافيل
كما ورد انه يتستر بجناحه حياء من الله عز وجل وكذا عثمان رضي الله
عنه كما قال اني لاغتسل في البيت المظلم فانطوي حياء من الله عز وجل
قيل والحياء وجوه منها حياء الجناية كادم عليه السلام لما قيل له افرارا
منا قال لا بل حياء منك وحياء الكرم كحياء نبينا صلى الله عليه وسلم
كما في قوله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم وحياء
الحشمة كعلي كرم الله وجهه حين سال المقداد حتى سال النبي
عليه السلام عن حكم المذي لمكان فاطمة رضي الله عنها منه وحياء الاستحقار

كموسى

كموسى عليه السلام قال انه ليعرض لي الحاجة من الدنيا فاستحيي
ان اسالك يا رب فقال الله عز وجل سلني ملح عجينك وعلف شاتك
وحياء الانعام وهو حياء الرب عز وجل بدفع كتابا مختوما الى العبد
بعدما عبر الصراط واذا فيه فعلت وفعلت ولقد استحييت ان اظهر
عليك فاذهب فاني غفرت لك وفي بعض الكتب قال الله تعالى ما انصفني
عبدي يدعوني فاستحيي ان ارده ويعصيني ولا يستحيي مني وقال
بعضهم التحقيق ان الحياء ينشا عن علم القلب بان الله رقيب عليه فيحافظ
ظاهره وباطنه من مخالفة احكامه ويستقبح ما يصدر من هفوات افعاله — الهفوة الذنب والخطاء
وزلات كلامه ويتحمل انواع البلاء نشيطا في نظره ولا يشتكي الى غيره
فاذا ترقى وتحقق ان الله اقرب الاشياء اليه استحيى من قربه فوق ما يستحيي
من رؤيته فيدعوه ذلك الى المحبة والخلوة معه مستوحشا من الاغيار
مستلذا بروح انس الملك الغفار حتى تطلع عليه انوار التوحيد وتلمع في — الروح والراحة وريح طيبة
سره بوارق اسرار التفريد فيستحيي من شهود مشهوده المطلق فانيا عن الخلق
باقيا مع الحق هذا واقل الحيا ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث
امرك رواه البخاري وكذا احمد وابو داود والنسائي ورواه احمد ايضا
عن حذيفة واخرجه ابن ابي شيبة عن ابي مسعود الانصاري مرفوعا
ولفظه ان اخر ما كان من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما
شئت وروى الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى
الله عليه وسلم قال استحيوا من الله حق الحيا قالوا انا نستحيي والحمد لله قال
ليس ذلك ولكن الاستحيا من الله حق الحياء ان تحفظ الراس وما
حوى والبطن وما وعى وان تذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله

اكر حجاب كنى از خدا و شرم شوى
جنانكه ميكنى از مردمان حجاب
اينجا

حق الحياء وروى البيهقى عن سعيد بن زيد ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم
اوصنى قال اوصيك ان تستحيى من الله كما تستحيى رجلا صالحا من قومك
وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتى
منها وما نذر قال احفظ عورتك الا من زوجتك وما ملكت يمينك قلت
يا رسول الله اذا كان احدنا خاليا قال فالله احق ان يستحيى منه ووضع يده
صلى الله عليه وسلم على فرجه **الحادى والعشرون** عن ابى عمرو
بالواو وقيل ابى عمرة اى بالتاء تأنيث عمرو سفيان بن عبد الله بضم السين
رواية وتثلث دراية رضى الله عنه كان ثقفيا عاملا لعمر على الطائف
وروايته خمسة احاديث قال قلت يا رسول الله قل لى اى لاجلى خاصة من
بين الانام فى الاسلام اى فيما يكمل به الاسلام ويستدل به على توابعه
من الاحكام قولا كافيا كاملا شاملا واضحا شافيا لا اسأل عنه احدا
غيرك اى لا احتاج فيه الى سؤال غيرك وفى رواية بعدك اى بعد سؤالك
هذا قال قل امنت بالله اى وبجميع ما يجب الايمان به من المعتقدات ثم استقم
على اداء الطاعات وانتهاء المخالفات وهذا معنى قول المص ثم استقم كما امرت
ممتثلا امر الله مجتنبا نهيه انتهى وقل امنت بالله شاملا للاتيان
بكل مأمور والانتهاء عن كل محذور فيدخل فيه اعمال القلوب والابدان
من الايمان والاسلام والاحسان وقوله ثم استقم محمول على الثبات فيها
ولعظم امر الاستقامة قال شيبتنى هود لانه نزل فيها فاستقم كما امرت
وهى جامعة لجميع انواع التكاليف وقال الصوفية لان الدعوة الى الله مع
كون المدعو على الصراط المستقيم امر صعب لا يمكن الا اذا كان الداعى على بصيرة
يرى انه يدعوه من اسم الى اسم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم كما اخرجه احمد استقيموا

ولن تطيقوا اى حق الاستقامة وقال ابن عباس فى قوله تعالى فاستقم
كما امرت ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع القران اية كانت
اشد ولا اشق عليه من هذه الاية ولذا قال عليه السلام لاصحابه حين قالوا
له قد اسرع اليك الشيب قال شيبتنى هود واخواتها واخرج ابن ابى حاتم
لما نزلت هذه الاية شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رؤى ضاحكا واما
عطف اخواتها فلانها فى معنى الاستقامة فان من جملتها اهم امته ان لا يقع بهم
ما وقع بالامم السالفة فى الدنيا ومنها تذكر احوال الاخرة واهوال يوم القيمة ولفظ
ثم للتراخى الزمانى فيفيد ان الكفار غير مخاطبين بفروع الاسلام بل باصوله فاذا
امنوا كلفوا بفروعه ايضا والاظهر انه مستعار للتراخى الرتبى لان الاستقامة
افضل من مجرد الايمان لشمولها العقائد والاعمال والاخلاق والاحوال ولذا قيل
الاستقامة خير من الف كرامة وقد نقل انه لا يطيقها الا اكابر الامة لانها
الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدى الحق على
قدم الصدق والحديث مقتبس من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
الايتين فعن ابى بكر رضى الله عنه لم يشركوا به شيئا ولم يلتفتوا الى اله غيره او
استقاموا على ان الله ربهم وعن عمر رضى الله عنه استقاموا على طاعته ولم يروغوا
روغان الثعالب وعن ابن عباس وجمع من السلف استقاموا على شهادة ان لا اله
الا الله وجاء عن الصديق الاكبر فى رواية اخرى انه فسرها ايضا بانهم لم يلتفتوا
الى غير الله وهذا هو غاية الاستقامة ونهاية الكرامة وقيل ينقسم الى استقامة
العمل وهو الاقتصاد فيه غير متعد من نهج السنة ولا متجاوز عن حد الاخلاص
الى الرياء والسمعة ورجاء العوض وطلب الغرض والى استقامة القلب وهى الثبات
على دوام ذكر الرب والى استقامة الروح وهو الثبات على الحق والى استقامة السر

وهي الثبات على الحقيقة وعند المحققين ان استقامة العمل هي استواء القصد
في السير الى الله وهي دون الاستقامة في السير في الله لأن هذه في الطريق والسلوك
اليه باخذ الطريق المستقيم بحسب التوفيق واما السير في الله فهو الاتصاف
بصفاته ثم الاستقامة في الله دون الاستقامة بالله المامور بها نبينا صلى
الله عليه وسلم في قوله فاستقم كما امرت لان تلك في مقام جمع الجمع والبقاء بعد الفناء
والاولى للمريدين والثانية للمتوسطين ولعل هذا هو السر في تخصيص الخطاب
به عليه السلام في قوله فاستقم دون الخطاب العام ويشير اليه ايضا حديث
استقيموا ولن تطيقوا وقال جعفر الصادق في قوله تعالى فاستقم كما امرت
افتقر الى الله تعالى بصحة العزم وقال القشيري الاستقامة درجة بها كمال
الامور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما
ضاع سعيه وخاب جهده وقال العارف العاشق معنى الحديث اذا وقفت
بالتوحيد ورؤية جلال قدمه ودمع الحق حيث دار امامًا فقنا وامارضا ولا
منزل عن مقام الرضا المخالفة النفس والهوى رواه مسلم وكذا الترمذي
وقال حسن صحيح وزاد زيادة مهمة في حديثه وهي قلت يا رسول الله ما
اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان نفسه وقال هذا ويؤيده انه اخرج احمد لا
يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه
اقول وقد يقال ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه كما سبق اذا صلحت
صلح الجسد كله وربما يقال ان تقديم القلب للمجذوب والمراد وتقديم اللسان
والاركان للسالك والمريد والله سبحانه اعلم بما يريد هذا وروى عن
علي كرم الله وجهه انه قال قلت يا رسول الله اوصني فقال قل ربي
الله ثم استقم قال قلت ربي الله وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه

اينب فقال ليهنك العلم ابا الحسن

الحديث الثاني والعشرون

عن عبد الله جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله
عنهما كان هو وابوه من مشاهير الصحابة شهد العقبة الثانية وبدرا واستغفر
له عليه السلام في ليلة البعير سبعا وعشرين مرة وهو من الحفاظ المكثرين
في الرواية وممن طال عمره حتى كثر الاخذ عنه وعمي اخر عمره وتوفي عن اربع وتسعين
سنة عام ثلاث وسبعين يقال هو اخر من مات من الصحابة بالمدينة
روى الف وخمسمائة حديث واربعون حديثا وقتل ابوه يوم احد فاحياه الله
وكلمه كفاحا ان رجلا هو النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة
واخره لام اوسي شهد باحد سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارايت
هذه الكلمة يستعمل في الاستقبال وحاصل معناه اخبرني لان مشاهدة الاشياء
لما كانت طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت بمعناه لان الرؤية
سبب للعلم والعلم سبب لصحة الخبر عنه فاطلق السبب واريد المسبب البعيد فهو
من رؤية البصر او لان العلم بها وسيلة الى صحة الخبر فاطلق السبب واريد المسبب
القريب فحينئذ من رؤية البصيرة والاستفهام فيه بمعنى الامر لانه للتقرير
المستلزم لطلب الخبر وقيل حقيقة الاستفهام دخلت على رايت وهو بمعنى
ترى من رؤية القلب كانه قال اترى اذا صليت المكتوبات اي الخمس
المفروضات وصمت رمضان اي ايام شهره واحللت الحلال وحرمت
الحرام اي اعتقدت الحلال حلالا واكتسبته والحرام حراما واجتنبته
ولم ازد على ذلك المذكور شيئا من سائر العبادات يحتمل ان السائل لم يكن من
اهل الزكوة والحج فلذا لم يذكرهما ويحتمل انه ذكرهما ولم ينقل الراوي اختصارا
اونسيانا او كان هذا السوال قبل وجوبهما ويحتمل انه اكتفى بقوله حرمت الحرام لان

لعله اتى بصيغة المجهول لما سيجئ
منه ان اخر من توفي من الصحابة
رضي الله عنهم بالمدينة ابو
العباس سهل بن سعد الساعدي
رضي الله تعالى عنه السيد محمود
عفي عنه

الكفاح رو برو شدن

ترك الفرائض من جملة المحرمات فعلى هذا ذكر الصلوة والصوم للاهتمام
ادخل الجنة اى من غير سبق العقوبة وهمزة الاستفهام فيه مقدرة قال نعم
اى تدخلها وذلك لان اللام فى الحلال والحرام للاستغراق فاذا احل كل حلال
وحرم كل حرام فقد اتى بجميع وظائف الشريعة وذلك مستقل بدخول الجنة
فان الحلال المراد به المأذون فى فعله يشمل الواجب والمباح والحرام المراد به الممنوع
متناول للمكروه التحريمى رواه مسلم قال المص فى الاصل ومعنى حرمت الحرام اجتنبته
اى معتقدا حرمته ومعنى احللت الحلال فعلته معتقدا حله اى حال كونى معتقدا
حله والله اعلم انتهى كلامه وفيه نظر لان فى الحلال يكفى مجرد الاعتقاد كما ذكره
المص فى شرح مسلم نقلا عن ابن الصلاح الظاهر انه اراد بتحريم الحرام ان يعتقده
حراما وان لا يفعله بخلاف تحليل الحلال فانه يكفى مجرد اعتقاده كذا نقله
عنه وسكت عليه وهو خلاف ما ذكره هنا قال السيد جمال الدين الحق
ما قاله ابن الصلاح لان مجرد الاجتناب عن الحرام لا يكفى بل لا بد من اعتقاد
كونه حراما ومجرد اعتقاد كون الشىء حلالا بدون الفعل كاف انتهى والتحقيق
انه لا يحتاج الكلام فى طرفيه الى ذكر الاعتقاد لانه مفهوم من ذكر الحلال
والحرام وانما احتيج الى التاويل قوله حرمت واحللت اذ ليسا على بابهما فان الله
سبحانه هو المحرم والمحلل فتاويل حرمت باجتنبت كاف وتاويل احللت
بفعلت ومقصوده ان يجتنب الحرام ويكتسب الحلال مع ان العلم بتفاصيل
الشرع غير متوجه على كل احد حتى يشترط الاعتقاد المبنى على معرفة كل شىء
بانه حرام او حلال بل يكفى للعامة ان يكفوا عن المحرمات ويتناولوا المباحات
سواء علموا تفصيل ذلك ام لا فلو تناول احدهما هو حلال فى نفس الامر او ترك
ما هو حرام فى ذاته مع جهله باحكامهما الموجب لاعتقادهما لم يكن مؤاخذا فيهما

ولعل

ولعل ابن الصلاح نظر الى هذا قال الظاهر الى اخره نعم يمكن حمل الحديث على الكمال
وهو انه ما اجتنب شيئا الا وقد اعتقد انه حرام وما اكتسب شيئا الا وقد
اعتقد انه حلال وفيه اشارة الى انه ليس عنده شىء من الشبهات ثم لا يلزم
من قوله فعلته فعل كل حلال بخلاف قوله اجتنبته فانه يلزمه اجتناب كل حرام
وقد سبق ان الحلال بين والحرام بين فكانه اكتفى بهما فى بيان احكامهما فان قلت
ظاهر الحديث يقتضى ان الاعمال الصالحة اسباب دخول الجنة لان تعليق الحكم
بالوصف يشعر بالعلية وقد ثبت فى الصحاح انه قال صلى الله عليه وسلم
لن ينجى احدا منكم عمل قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى
الله برحمته فالجواب ان دخول الجنة بمحض رحمة الله وفضله كما ان دخول
النار بمقتضى سخطه وعدله واما تفاوت درجات الجنة واختلاف دركات
النار فبحسب مراتب الاعمال لكن لا بد للعبد ان يستعد لفضله وذلك باحسان
عمله كما قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وما احسن قول على كرم الله
وجهه من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن ومن ظن انه ببذل الجهد يصل
فهو متعن **الحديث الثالث والعشرون** عن ابى مالك
الحارث بن عاصم الاشعرى رضى الله عنه مات فى خلافة عمر رضى الله عنه
بطعن هو ومعاذ وابو عبيدة وشرحبيل فى يوم واحد ثالث ذى الحجة سنة
ثلاث وعشرين روى عنه جابر بن عبد الله وغيره قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الطهور بالضم هو المختار وقول الاكثرين كما قاله المص وقال
القرطبى الفتح هو المروى قال السيد جمال الدين المحدث الطهور بالضم المصدر
وبالفتح اسم لما يتطهر به فان كان الرواية بالضم فظاهر وان كانت بالفتح فصحيح
ايضا والمراد به المصدر لان الفعول بالفتح قد يجىء مصدرا كالقبول والمضاف

محذوف اى استعمال الطهور كذا قاله شارحو الحديث ولكن روايتنا
فى هذا الحديث بالضم والله اعلم انتهى وفى شرح مسلم للمص اجمع اهل اللغة
على ان الطهور والوضوء يضمان اذا اريد بهما المصدر اى الطهارة
عن الحدث والخبث ويفتحان اذا اريد بهما الاسم اى ما يتطهر به وقال القاضى
عياض هو ههنا بمعنى المصدر اى الطهارة عن الحدث الاكبر والاصغر فى
البدن او عن الخبث فى الملبوس والمكان او هو التنزه عن المستخبثات
الحسية والمعنوية شطر الايمان اى بعض الصلوة فانه شرط من شرائطها
والشطر كما يطلق على النصف يطلق على الجزء كما سيجئ تحقيقه ومنه قوله
تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام اى جانبا من اجزاء جوانبه واطلق الايمان
على الصلوة كما فى قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلاتكم الى بيت المقدس
لانها اعظم اثاره واكرم انواره قال الشارح وانما جعل شطرها لان صحة الصلوة
بالاركان وهى احد الشطرين وبالشرائط وهى الشطر الاخر ولما كان اظهرها
واكثرها نفعا لا هى الطهارة جعلت كالشروط كلها شطرا على الاتساع انتهى
وفيه ما لا يخفى من النزاع وقال المص المراد بالطهور الوضوء يعنى وما فى
معناه من انواع الطهارة واصناف النظافة والا فلا يلائم مجرد الوضوء
لما ذكره بقوله وقيل معناه ينتهى بتضعيف ثوابه الى نصف اجر الايمان
اى اجر اصل الايمان وهو فى غاية من البعد لان الايمان شرط لصحة
جميع الاعمال والاحوال فكيف يقابل نصف اجره باجر وسيلة من وسائل
عمل الصلوة ولو كان فى اعلى درجات المضاعفة مع ان اجر الوضوء متوقف
على صحة النية وهى متوقفة على وجود صفاء الطوية وثواب اصل الايمان مطلب
لا يعرفه غير الله سبحانه ثم قوله وقيل الايمان يحبط ما قبله من الخطايا يعنى

من الصغاير

من الصغاير والكبائر وحقوق العباد وغيرها فلا يلائم قوله وكذلك
الوضوء لان الصلوة مع اصالتها لا يحبط الا الصغائر فكيف بالوضوء
على ان المكفرات متعددة وايضا التشبيه يقتضى المثلية لا التنصيفية ثم قوله
لكن الوضوء متوقف صحته على الايمان فصار نصفا فيه بحث ظاهر لان المتوقف على
الايمان اشياء كثيرة من عبادات مستقلة ووسائل مستتبعة فكيف يكون الوضوء
وحده نصفا مع ان الصلوة باستقلالها بل مع انضمام غيرها لا يصح ان يكون نصفا
له لا سيما على مذهب اهل السنة والجماعة من ان الاركان غير داخل فى حد الايمان
بل امر زايد معبر عنه بالكمال فى مقام الاحسان ثم قال وقيل المراد بالايمان الصلوة
والطهور شرط لصحتها فصار كالشطر وفيه ما قدمناه من التحقيق وانه لا يصح فى
مقام التدقيق والله ولى التوفيق ثم قوله وقيل غير ذلك لعله اشارة الى ما اخترناه
اولا او الى ما قال بعض الصوفية من ان الطهور تزكية النفس عن الرذائل والاخلاق
الدنية وهى نصف الايمان اذ النصف الاخر التحلية بالفضائل والاعتقادات
الحقية والتخلية مقدم على التحلية وحاصله ان الايمان مشتمل عليهما فيكون
كل نصف الاخر وبيانه ظاهر كلمة التوحيد فانها مشتملة على تخلية القلب
عن وجود سوى المعبود بالحق وتحليته باثبات توحيد الرب فى الشهود المطلق
مع الاشارة الى اثبات الصفات السلبية والنعوت الثبوتية وقيل الايمان ظاهر
وهو الاقرار والتسليم وباطن وهو الاخلاص والتصديق فالاقرار بلا اله الا
الله طهارة الظاهر عن الشرك والبراءة عنه وبالتصديق والاخلاص طهارة
الباطن عن الشك والنظافة عنه فنصف الايمان تطهير الظاهر و
كماله تطهير الباطن وهذا المعنى يقوى القول بان الاقرار شطر للايمان
والله ولى الاحسان وقال الغزالى للطهارة مراتب من تطهير الظاهر

عن الحدث والخبث ثم تطهير الجوارح عن الجرائم ثم تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة
ثم تطهير السر عما سوى الله انتهى وفيه اشارة الى ما سبق من اعتبار التخلية و
التحلية فان المقابل لما ذكر هو التلطخ بالنجاسة الحقيقية والحكمية والتدنس
بالاعمال الردية والدنية والبعد عن الله بالاشتغال بما عداه من الامور الكونية
وقد قارب هذا المبنى بعض الفقهاء في تحصيل المعنى بناء على ان المراد بالايمان الكامل
بالمعنى الاعم المركب من ثلاثة اجزاء وهي تصديق الجنان واقرار اللسان و
عمل الاركان فانه وان كثر خصاله لكنها منحصرة فيما ينبغي التنزه والتطهر عنه
وهو كل محذور عنه اعتقادا او قولا او فعلا وخلقا وحالا وفيما ينبغي التلبس به
وهو كل مامور به كذلك فهو شطران فهو نظير خبر الايمان نصفان نصف
صبر ونصف شكر واما حديث ابن ماجه وابن حبان في صحيحه اسباغ الوضوء
شطر الايمان ورواية الترمذي والوضوء شطر الايمان فليس على ظاهره
بل يتعين تاويله بان المراد بالشطر هو الجزء ففي القاموس الشطر نصف الشيء
وجزؤه ومنه حديث الاسراء فوضع شطرها اي بعضها يعني لو كان المراد
به النصف لفرغت الخمسون في المرة الثانية فتعين ان يراد به الخمس لما جاء في
روايات اخر فوضع عني عشرا واما حديث احمد والطهور نصف الايمان فمحمول
على ما قدمناه من تقسيم الايمان بالنوعين من الاحسان مع انه قد لا يراد به
حقيقة التنصيف كقول شريح وقد قيل له كيف اصبحت قال اصبحت
ونصف الناس علي غضبان يريد انهم بين محكوم له راض وبين محكوم عليه
غضبان فهما جزءان مختلفان ومنه قول الشاعر ⁂ اذا مت كان الناس
نصفين شامت ⁂ بموتي ومثن بالذي كنت افعل ⁂ فمنقسمون قسمين و
منه حديث تعلموا الفرائض فانها نصف العلم وكذا قول مجاهد المضمضة

والاستنشاق

والاستنشاق نصف الوضوء على انه قد يقال الايمان يطهر الباطن
من دنس الكفر والوضوء الظاهر من وسخ الوزر ثم رايت انه ذكره صاحب
النهاية والله ولي الهداية والحمد لله تملأ الميزان روي بالتاء
المثناة من فوق وبالياء اخر الحروف والاول بتاويل الكلمة والثاني
بتاويل القول كذا ذكره السيد جمال الدين وقول المصلي ثوابها يشير الى
الاول فتامل وقد ابعد من قال المراد بالحمد الفاتحة والمعنى ان ثواب
التلفظ بمبناها مع استحضار معناها ملا كفة الحسنات
التي هي مثل طباق السموات وذلك ان حمده سبحانه على ذاته وصفاته
وافعاله في مظاهر الموجودات واثار المصنوعات مما يوجب عظمة تملأ
الميزان بتقدير تجسمه او باعتبار صحفه وفي الحديث اثبات الميزان
ذي الكفتين واللسان كما هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة
قال الغزالي وصفته في العظمة انه مثل طباق السموات والارض يوزن
فيه الاعمال بقدرة الله تعالى والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا
لتمام العدل وتطرح صحائف الحسنات في كفة النور فيثقل به الميزان على
قدر درجاتها عند الله تعالى بفضله وتطرح صحائف السيئات في كفة
الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله سبحانه انتهى ونقل الواحدي في
تفسيره عن ابن عباس قال يوزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان
فاما المؤمن فيؤتى بعمله في احسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل
حسناته على سيئاته فذلك قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم
المفلحون ويؤتى بعمل الكافر في اقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف
وزنه فذلك قوله تعالى فاولئك الذين خسروا انفسهم وقيل ولكل انسان

مطلب

الصنجة سنك ترازو

ميزان لظاهر قوله تعالى ونضع الموازين القسط والأصح انه ليس الا ميزان واحد والجمع اما لتعظيم شانه تحذيرا من السيئات وتحريضا على الحسنات او باعتبار الموزونات ويناسبه قوله واما من خفت موازينه واما من ثقلت موازينه وسبحان الله والحمد لله تملان بالفوقية والتحتية وكذا قوله او تملا لكن قال الكاذرونى الرواية فيهما على التانيث ثم او للشك فقوله ما بين السماء والأرض مفعول لاحدهما وفى نسخة صحيحة ما بين السموات والأرض قال الطيبى لو قدر ثوابهما جسما لملا ما وسببه ما اشتملتا عليه من التنزيه والتفويض الى الله انتهى وكانه اشار الى ان الحامد لله سبحانه على افعاله ينبغى ان يكون مفوضا اليه فى جميع احواله والاظهر ان التسبيح يشير الى التنزيه الذى مدار الصفات السلبية والحمد يومى الى اثبات الثناء الجميل وهو مدار النعوت الثبوتية وبهذا الاعتبار يملاء انوارهما جميع ما فى الدار ولقد قيل • ليس فى الدار غيره ديار • وقد ذكر البيهقى فى تفسيره وابن دحيه عن طلحة بن عبيد الله قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه عز وجل عن كل سوء وهو اسم بمعنى التسبيح كما حققه ابن مالك لا علم له كما ذكره الزمخشرى ثم الظاهر انهما تملان باجتماعهما ويحتمل ان كلا منهما • بانفراده تملا فقوله او تملا شك من الراوى فى سماع لفظ الحديث وصح ضميره ان يكون راجعا الى مجموع اللفظين او الى كل من الكلمتين فاندفع بهذا قول بعضهم هذا شك فيما يملا ما بين السماء والارض هل هو الكلمتان او احديهما انتهى ولا يخفى ان الشك لا يجوز ان ينسب اليه صلى الله عليه وسلم ولا يتصور ان الراوى من عنده يتصور فى العبارة ويانى بالة الشك

ليتم له

ليتم له الاشارة فكلام هذا القائل باطل ليس تحته طائل وفى رواية النسائى وابن ماجه والتسبيح والتكبير ملا السموات والارض اى كل منهما او كلاهما والأول هو المعول لان الميزان اوسع مما بين السماء والارض فما يملاه واكثر مما يملاها وقد سبق ان الحمد يملا الميزان بانفراده فلا وجه ان يراد به انضمامه و قد جاء فى حديث اخرجه الحاكم مرفوعا وصححه بلفظ يوضع الميزان يوم القيمة فلو وزنت السموات والارض لوسعت فيقول الملائكة يا رب لمن يزن هذا فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقى فيقول الملائكة سبحانك وما عبدناك حق عبادتك وقد روى احمد والنسائى والترمذى لا اله الا الله لا يعدلها شئ فى الميزان وعند احمد لا يثقل شئ لبسم الله الرحمن الرحيم وفى رواية لاحمد لو ان السموات السبع والارضين السبع فى كفة ولا اله الا الله فى كفة مالت بهن والصلوة نور اى ذات نور او ذاتها نور مبالغة فى التشبيه والمدح كما قال الطيبى انها تمنع من المعاصى وتنهى عن الفحشاء وتهدى الى الصواب يعنى كما ان النور يستضاء منه ويهتدى به قال وقيل يكون ثوابها نورا لصاحبها يوم القيمة وقيل لانها سبب لاستنارة القلب انتهى وتوجيهه انها منورة وجه صاحبها فى الدارين ومنه ما روى الصلوة نور المومن وجاء من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وقال ابو الدرداء صلوا ركعتين فى ظلم الليل لظلم القبر وفى صحيح ابن حبان مرفوعا من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيمة واخرج الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى الصلوات الخمس فى جماعة جاز على الصراط كالبرق اللامع فى اول زمرة السابقين وجاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر واخرج ايضا مرفوعا اذا حافظ العبد على صلاته قالت له حفظك الله كما حفظتنى بها الى السماء ولها نور حتى

يملاءه اكثر
اى الضمير للميزان

تنتهي الى الله عز وجل فتشفع لصاحبها او منورة قلب ملازمها لانها تشرق فيه انوار
المعارف واسرار العوارف فيتفرغ فيها من كل شاغل ويعرض عن كل زائل ويقبل على الله
بكليته حتى يمن عليه بشهود رتبة وجود محبته وقد ورد عنه صلى الله
عليه وسلم كما رواه احمد والنسائي وجعلت قرة عيني في الصلوة وفي رواية
الجائع والظمان يروى وانا لا اشبع من حب الصلوة ثم هي تزيل الهموم والغموم
عن صاحبها ومنه قوله عليه السلام يا بلال اقم الصلوة ارحنا بها اخرجه احمد
والصدقة اي الزكوة كما في رواية ابن حبان وصحح بقاؤها على عمومها برهان
اي دليل وبرهان على صحة ايمان المتصدق يوم الحساب فان العبد اذا سئل عن مصرف
ماله وقال تصدقت كانت صدقاته براهين في الجواب بحيث بذل العاجل
رجاء للآجل من الثواب وبرهان على صدق دعواه في محبة الله اذ المحبوبات كلها
تبذل لاجل المحبوب الاكبر من ان ينال بالحواس ومن ان يدرك جلاله بالعقل والقياس
ولذا انفق بعض العرفاء كالصديق الاكبر جميع ماله وبعضهم امسك قدر ما يدفع
به الحاجة من ماله وبعضهم اقتصر على الواجب لضعف حاله والبرهان لغة هو
الشعاع الذي يلي وجه الشمس ومنه خبر ان روح المؤمن يخرج من جسده كبرهان
الشمس ومنه سميت الحجة القاطعة برهانا لوضوح ما فيه من الدلالة قال تعالى
يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم الاية وقال الحكيم الصدقة برهان اي حجة لصاحبها
في اداء حق المال وقيل حجة في ايمان صاحبها لان المنافق لا يفعلها غالبا
والصبر ضياء اي نور قوي ينكشف به الكربات وينقطع به الظلمات قال
الحكيم اي الصبر المحبوب وهو الصبر على طاعة الله والبلاء ومكاره الدنيا وعن المعاصي
ومعناه لا يزال صاحبه مستضيئا مستمرا على الصواب انتهى وفي خبر لابن ابي
الدنيا وابن جرير ان الصبر على المصيبة يكتب به للعبد ثلاثمائة درجة وان الصبر على

الطاعة

الطاعة يكتب به للعبد ستمائة درجة وان الصبر عن المعاصي يكتب به للعبد سبعمائة
درجة قيل حكمة جعل الصلوة نورا والصبر ضياء مع انه سبحانه قال هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا هي ان الصبر هو الاساس المبني عليه سائر الاعمال
فلو لم يكن وجوده لم يتصور صلاة ولا غيرها من الاحوال ومن ثم ورد ما
اعطي احد خيرا من الصبر وفي رواية اوسع عطاء من الصبر وايضا فالضوء فيه احراق
بخلاف النور فانه محض اشراق ولذا وصف شريعة موسى عليه السلام بانها ضياء حيث
قال تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين لما فيها من
شدائد الاثقال والاغلال ووصف شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بانها
نور لقوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين لخلوها عن تلك المشاق الدينية
واتصافها بالملة السهلة الحنيفية ولا ينافيه ما ورد في رواية الصوم نصف
الصبر فانه من بين العبادات مختصة بالاحراق للاجزاء الباطنية لكونه سببا
لاحراق الذنوب الماضوية ولانه احراق فيه اشراق ولهذا ورد الصوم لي وانا
اجزي به واما ما جاء في رواية احمد والترمذي من طرق هذا الحديث والصوم نصف
الصبر اي بعضه او معظمه هذا وقد قال الامام حجة الاسلام لما كان الانسان
مركوزا فيه العقل الداعي الى المصالح والشهوة الباعثة الى المفاسد لم يوجد الصبر في
غيره من الملائكة لفقدان الشهوة الصارفة عن الخدمة ومن البهائم لعدم
العقل ثم ما دام صبيا ليس له الا شهوة الغذاء ثم اللعب ثم النكاح فاذا بلغ ظهر
باعث الدين والعقل يرشده الى الاعراض عن الباطل الفاني والاقبال على الحق الباقي
فصد العقل الطبع عن خلاف الشرع هو الصبر وهو ما يبقى فعلا كتعاطي الاعمال — التعاطي التناول
الشاقة او انفعالا كالثبات على الالام المحرقة او نفساني وهو منع النفس من
مقتضيات الطبع الى موافقات الشرع فان كان عن شهوة البطن والفرج فهو العفة وان

كان عن المكاره في المصايب بان يحمل النفس على ترك اظهار الجزع خص بالصبر وهو عند
الصدمة الاولى والا فيسمى سلوا وفي النوايب سمي سعة الصدر وان كان في مبارزة
الاقران فهو الشجاعة وان كان في كظم الغيظ سمي حلما وان كان في نوال الغني سمي ضبط
النفس وان كان عن فضول العيش سمي زهدا وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة
وعلى هذا انتهى كلام الامام فعلم منه ان الصبر بنيت عليه اركان الايمان والاسلام
واحكمت عليه قواعد الاحكام فيكون اتم من الصلوة فناسب ان يشبه بالضياء الذي
هو اقوى من النور مع نهما قد يتعاوران وفي كلام العارفين اشارة الى ان للصبر اقساما
من الصبر لله عن معصيته وعلى طاعته لاجل مثوبته وهو للعامة والصبر بالله
اي بتاييده وهو صبر المنسلخ عن حوله وقوته عالما بانه لا حول ولا قوة الا بالله نص عليه في
المنازل وذكر القاشاني انه فوق جميع الاقسام لحصوله بالبقاء بعد الفناء ويؤيده
قوله تعالى لسيد الاصفياء واصبر وما صبرك الا بالله والصبر على الله اي على حكمه
وما تقتضاه وهو خير السالك الذي برئ عن التصرف والاختيار ويرى ان المتصرف
فيه وفي الكل والمصرف للامور هو الحق فيصبر على احكامه مع مكابدة الالم والاهمه
ومنه قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا واصبر في الله والصبر مع الله وهما
لاهل الحضور والمشاهدة والصبر عن الله وهو لاهل المحبة اذا اراد المحبوب فراق
المحب كما قال قائلهم • اريد وصاله ويريد هجري • فاترك ما اريد لما يريد • وهو
اشد انواع الصبر مرارة ولذا لما سمعه الشبلي شهق لديه وخر مغشيا عليه و
انشد ان الصوت تحت من الم السوق • وحوق الفراق يورث ضرا • صابر الصبر
فاستغاث به الصبر فصاح المحب للصبر صبرا • وتحقيق هذه المعارف •
يطلب من العوارف • والقران حجة لك اي ان حفظت مبناه وعملت بمقتضاه
شهد لك ويصير حجتك وسلك على نجاتك وحسن مآبك او عليك اي ان تركت

تلاوته

التعاور انداست بدست نقل كردن

شهق كضرب ومنع وسمع تردد البكاء في صدره

تلاوته وخالفت طاعته شهد عليك في مالك ويلقيك في مهالك
ففيه اشارة الى ان القران سبب الوصول الى اعالي الدرجات او اسافل الدركات
ولذا قال تعالى واعتصموا بحبل الله وهو كنيل النيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين
قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وينزل من القران ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقد قال الخطابي جاء في الاثر ان عدد اي
القران على قدر درج الجنة فمن استوفى جميعها استولى على اعلى درجات الجنة
قال المحققون استيفاء جميع اي القران هو ان يتخلق باخلاقه وصفاته بل
باخلاق الله وصفاته ويشير اليه قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران
ويومي اليه قوله الرحمن علم القران هذا وجاء في حديث القران شافع مشفع او
ماحل مصدق من قدمه امامه قاده الى الجنة ومن جعله وراءه دفع في قفاه الى
النار وقيل المعنى لك او عليك في القواعد الشرعية والوقايع الحكمية لانه المرجع
عند المنازعات العرفية كل الناس يغدو جملة مستانفة كانه قيل قد تبين الرشد
من الغي هنالك فما حال الناس بعد ذلك فقال كل الناس يصبح ساعيا في تحصيل
اغراضه وارادة مشتغلا في طلب نيل مقاصده فبايع نفسه وفي نسخة بالاضافة
وهو خبر مبتدأ محذوف هو هو والفاء تفصيليه والبيع بمعنى الشرى لان
المشتري يعتق لا البايع وهو مجاز اي يصرف نفسه من الاغراض والاعراض
التي يتوخاها ويقصدها من الخير والشر فمعتقها خبر بعد خبر او بدل من قوله
فبايع نفسه والفاء سببية او موبقها عطف عليه اي فمنهم من يسعى في
فكاك رقبته من اسر الطبع باتباع الشرع فيعتقها من العذاب ويخلصها من العتاب
ومنهم من يسعى في هلاك نفسه بمتابعة النفس والشيطان والهوى فيهلكها
ويرميها في طريق الردى فيكون للاول خير الدارين والايمان وللثاني الهلاك والخسران

وقال المص معناه كل انسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله بطاعته فيعتقها
من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها اى يهلكها
انتهى ولا يخفى انه اختار ان البيع على بابه كما اشار اليه الحق سبحانه فى كتابه بقوله ان
الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى ان قال فاستبشروا ببيعكم
الذى بايعتم به وهو الفوز العظيم اى الحظ الجسيم فانه النعيم المقيم وقال الشيخ ابو الحسن
الشاذلى النفوس على ثلاثة اقسام نفس لا تشترى لخستها وهى نفوس الكافرين
ونفس تشترى لكرامتها وهى نفوس المؤمنين ونفس لا يقع عليها الشراء لثبوت
حريتها وهى نفوس الانبياء والمرسلين قال المص وقد بسطت شرح هذا الحديث
فى اول شرح صحيح مسلم فمن اراد زيادة فليراجعه وبالله التوفيق انتهى وقال الفاكهانى
المعنى ان كل انسان يصبح ساعيا فى اموره وهو اما ان يكون الغالب عليه السعى
فى خلاص نفسه بتوجهه بقلبه وقالبه الى العقبى وما عند الله تعالى مع الاعراض
عن زخارف الدنيا والتقيد باداب الشرع اكتسابا واجتنابا فهذا الذى قال فيه
عليه السلام فمعتقها اى باع نفسه من الله واعتقها عن هواه وعقوبة مولاه
وناهيك بها صفقة اغتنام اذ كان الثمن عنها دار السلام والنظر فيها الى — ناهيك حسب
وجه الملك العلام والعجب انه بيع ال الى عتق وحرمة وسيادة بسبب ما
اسلفه من عبادة وزهادة فاعتق نفسه من رق المخالفات بل من اقتحام
النار وعظيم العقوبات واما ان يكون ساعيا فى مذموم اغراضه وهواه مخالفا
فى غالب تقلباته لسيده ومولاه فهو الذى باع نفسه من الشيطان وتصدى — الاقتحام الدخول بالشدة
لغضب الرحمن واختار عذاب النيران على نعيم الجنان فكان جديرا بالطرد والحرمان
نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه ونسأله رحمته وكريم ثوابه هذا وقالوا
يجب على العبد مخالفة النفس الداعية الى المهالك المعينة للاعداء المغموسة

فى البلاء

فى البلاء المستهمة باصناف الاسواء المتبعة للاهواء الغالبة على العقول والعلماء
مما لا يسلم منها الا الصديقون والانبياء وقال تعالى لا تتخذوا الهين اثنين
اراد بالاخر بلسان الاشارة الهوى لقوله عليه السلام ما عبد اله ابغض
على الله من الهوى لانه كل ما عبد ما عبد الا على موافقة النفس والهوى
ومخالفة الكتاب والهدى ولذا قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله
الله على علم حتى قدره وقضاه وقال ابو يزيد من امات نفسه يلف فى كفن
الرحمة ويدفن فى ارض الكرامة ومن امات قلبه يلف فى كفن العقوبة ويدفن
فى ارض العقوبة رواه مسلم وكذا احمد والترمذى والنسائى وابن ماجه و
البيهقى **الرابع والعشرون** عن ابى ذر اى الغفارى كما فى
نسخة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى اى — اى حال كون ذلك المروى داخلا فيما يرويه عن الله عز وجل
يرويه كما فى نسخة وفى اخرى فيما روى عن الله عز وجل وفى نسخة عن الله
وفى اخرى عن ربه والمعنى روينا عنه انه روى عن النبى عليه السلام ما يأتى
من الكلام حال كونه مندرجا فى جملة الاحاديث القدسية التى يرويها عنه سبحانه
انه قال والفرق بين الحديث القدسى وبين القران ان اللفظ المنزل للاعجاز
بواسطة جبريل عليه السلام والقدسى اخبر الله نبيه معناه بالالهام
او المنام فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم امته بعبارته عن معنى ذلك الكلام
فلا يكون معجزا ولا متواترا كالقران وقال الطيبى فضل القران على الحديث القدسى — مطلب
انه نص الهى فى الدرجة الثانية وان كان من غير واسطة الملك غالبا لان
المنظور فيه المعنى دون اللفظ وفى التنزيل اللفظ والمعنى منظوران
يا عبادى الخطاب مع الثقلين لاختصاصهم بالتكليف فى الاوامر والنواهى وتعاقب — الأمور
التقوى والفجور ويؤيده انه فصل المخاطبين بالانس والجن ويحتمل

ان يكون عاما شاملا لذوى العلم كلهم من الملائكة والثقلين ويكون ذكر الملائكة
مطويا مدرجا فى قوله وجنكم لشمول الاجتنان لهم ثم توجه الخطاب نحوهم لا
يتوقف على صدور الفجور منهم ولا على امكانه لانه كلام صادر على سبيل الفرض
والتقدير انى حرمت الظلم على نفسى التحريم لغة المنع شبه تنزهه عن الظلم
باحتراز المكلف عما نهى عنه والمعنى تعاليت وتنزهت عن ان اظلم احدا
بان اعذبه بلا ذنب او اضيع اجر محسن مع انه لا يجب على شئ لكنى حكيم فى كل باب
فانزه نفسى عن زيادة عقاب او نقص ثواب والمراد بالنفس الذات وجاء اطلاقه
عليه فى حديثه هذا وفى قوله عليه السلام لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك فقول شارح لا يطلق على الله الا على سبيل المشاكلة مدفوع مع
انه لا مقابلة فى هذا الحديث ايضا واغرب ابن حجر حيث اوّه وقدر المشاكلة بقوله
فان معناه حرمته على نفسى فنفوسكم بالاولى مع ان المشاكلة محلها الكلمة
الثانية لا الاولى واما قوله لا يجوز اطلاق النفس عليه سبحانه لانها تشعر
بالنفس فسلم لكنا نقول يجوز اطلاقها من حيث انها ماخوذة من النفاسة
لا من النفس بفتح الفاء فهنا اعتباران مختلفان كالشئ فانه باعتبار معنى
المفعول لا يجوز اطلاقه عليه سبحانه ومنه قوله تعالى ان الله على كل شئ
قدير واما باعتبار معنى الفاعل فيجوز ومنه قوله تعالى قل اى شئ اكبر شهادة
قل الله واما ايهام شمول قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت مع كون المراد كل متنفس
فمدفوع بما علم استثناؤه سبحانه قطعا بالعقل والنقل ومنه قوله تعالى
كل شئ هالك الا وجهه فلا يخطر هذا الوهم بالبال والله اعلم بالحال هذا
ولقد بالغ بعض المانعين وتكلف فى قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى
نفسك بجعل الخطاب راجعا الى عيسى على ان الاصل ولا اعلم ما فيها اى اوقع

الظاهر

الظاهر موقع المضمر فصار معناه ولا اعلم ما فى مخلوقك انتهى وتعسفه
مما يمجه السمع السليم ويدفعه الطبع المستقيم وقال العلماء تقدست عنه فالظلم — الحج الزمى
مستحيل فى حق الله تعالى لانه مجاوزة الحد او التصرف فى غير ملكه وهما جميعا
محال فى حق الله تعالى انتهى او لانه وضع الشئ فى غير موضعه وهو محال ايضا
لانه حكيم عليم فيما قدره ودبره فان قيل قد نفى الله عن نفسه الظلم بقوله وما ربك
بظلام للعبيد على سبيل المبالغة وذلك يوهم ثبوت اصل الظلم كما توهمه
بعض الشراح وقال يتصور فيه لكنه لا يفعله عدلا منه وتنزها عنه
فالجواب ان يقال صفات الله بلغت غاية الكمال ونهاية الجلال فلو اتصف — مطلب
بالظلم لكان عظيما فنفاه على حد عظمته لو كان ثابتا او اراد نفى نفس الظلم لكن
القليل منه بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلذا عبر بلفظ المبالغة مع انه قد
ان صيغة فعال للنسبة فمعناه ليس بذى ظلم او ورد بصيغة المبالغة
المفيدة للكثرة لمقابلة العبيد وكثرتهم فى عالم الخلقة واما ما اجاب بعضهم — للكثرة
بان الله تعالى فى خلقه تصرفين ظاهرا وباطنا فبتصرفه الظاهر نهى عنه شرعا
وبتصرفه الباطن يقتضيه ويخلقه حقيقة وهو الاول والاخر والظاهر
والباطن فهذا صحيح المعنى لكنه لا يدفع الشبهة كما لا يخفى ولعله اراد ان تصرفه
الباطن على خلاف تصرفه الظاهر ليس بظلم منه سبحانه كما يتوهم من ظاهر عبارة
بعضهم وهى الهى امرت الشيطان بالسجود ومنعته منه ونهيت ادم
عن اكل الشجرة وحملته عليه ولعل هذه المسالة شبهة المعتزلة فى خلق الافعال
لتوهمهم انه لولا هذا لوقع ظلم بحسب ظاهر الاحوال وينسبون مذهبهم الى العدل
والاعتدال مع انهم عنه فى حيز الاعتزال وجعلته بينكم محرما والشرك
وان كان اعظم الظلم وكذا سائر المعاصى تسمى ظلما الا ان المراد هنا ظلم العباد

بعضهم لبعض كما يدل عليه قوله فلا تظالموا قال المص هو بفتح التاء اي لا تتظالموا
انتهى وهو بتخفيف الظاء في الاصول المعتبرة ونقل ابن حجر انه روي بتشديدها
والاشهر بتخفيفها والمعنى لا يظلم بعضكم بعضا فان الظلم ظلمات يوم القيمة
كما رواه الشيخان وروى البخاري من كانت له مظلمة لاخيه فليتحلله منها فانه
ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يوخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات
اخذ من سيئات اخيه وطرحت عليه ثم اعلم ان من اعان ظالما ولو بالدعا — مطلب
بطول بقائه او مال اليه بالوقوف عليه والتردد اليه من غير ضرورة ملجئة
فهو من جملة الظلمة قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار
وقد سئل ابن المبارك عن خياط يخيط للظلمة هل هو من اعوانهم فقال
لا هو من الظلمة وانما هو من الاعوان من يبيع له الخيط والابرة ولقد سئل
سفيان الثوري عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة من الماء
قال لا قيل له يموت قال دعه يموت وذكر البيهقي عن مجاهد عن ابن عباس
قال اوحى الله تعالى الى داود قل للظلمة لا يذكروني فان حقا علي ان من
ذكرني اذكره وان ذكري اياهم ان العنهم روي انه لما خالط الزهري السلطان
كتب اليه اخ في الله عافانا الله واياك من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي — قف على ما كتب للزهري
لمن عرفك ان يدعو لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم
الله فيما افهمك من كتابه وعلمك سنة نبيه واعلم ان ايسر ما ارتكبت
واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وذللت مرتبة العالم
فدونك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين اتاك اتخذوك قطبا يدور عليه
رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليه الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالهم
يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا

في

في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا الدين فما يومنك
ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا
الشهوات وانك تعامل من لا يهمل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك
فقد دخله سقم وهي زادك للسفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في
السما يا عبادي كرر النداء زيادة لتشويقهم ولذا اضاف الى نفسه وتنبيها على
فخامة ما بعده وجمعه لافادة استغراق افراده كلكم ضال اي من شانكم وفي
جبلتكم الضلالة كما ورد انه قال ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره
اي في ظلمة الطبيعة من الميل الى الشهوات والركون الى المحسوسات والغفلة
عن اسرار المكونات فرش عليهم من نوره ما نصب لهم من الايات والدلالات فمن
اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل اي ولضا طريق الردى الا
من هديته بتنوير قلبه وشرح صدره وتصفية استعداده عما ينافي قبول
الحق من ظلمات الشكوك والشبه والهوى فينبت فيه شجر التصديق
بما جاء من اصول الدين ثم ينمو باغصان الطاعات في كل حين ثم يثمر ثمار
المشاهدة واليقين ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد
على الفطرة فان هذه ظلمة طارئة على الفطرة الاولى كما يشير اليه ما روي خلق
الخلق على معرفته فاغتالهم الشيطان وقال ابن المبارك يولد على ما يصير اليه
من سعادة او شقاوة فمن علم انه يصير مسلما ولد على فطرة الاسلام ومن علم انه
يصير كافرا ولد على فطرة الكفر ويؤيده قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم — الاغتيال الاهلاك الخدعة
مومن وحديث خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي
وحديث فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير وهذا المعنى لا
ينافي كون كل مولود متهيئا للاسلام ومستعدا للايمان الا ان بعضهم

يختار الكفر والطغيان على الطاعة والاحسان كما اخبر الله عنهم بقوله اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وبهذا التحقيق
يحصل الواسطة المختارة لاهل السنة بين الجبر والقدر على طريق التدقيق
والله ولي التوفيق فاستهدوني اهدكم فاطلبوا مني الهداية الموصلة الى ادلكم
عليها واوصلكم اليها وللهداية مراتب عليه لا ينتهي احد لديها ولعل حكمة طلبه
سبحانه منا سؤال الهداية مع انه تعالى يهدي من يشاء بحسن الرعاية وجميل العناية
اظهار الافتقار والاشعار بانه لو هداه قبل سؤاله اياه لربما قال انما اوتيته على
علم عندي فيضل بذلك عن تحقيق ما هنالك فاذا سال ربه اموره الدنيوية والاخروية
فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية وهذا مقام شريف ومشهد
لطيف وبهذا المعنى تبين وجه العموم والخصوص من قوله تعالى والله يدعوا الى دار
السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفيه دليل واضح على ان المهتدي
من هداه الله وبارادته اهتدى من اهتدى لا بما سواه وان غير المهتدي
لم يرد الله هدايته فلم يهتد لذلك ولو ارادها لاهتدى فيما هنا الخلافا
للمعتزلة حيث قالوا انه تعالى اراد هداية الجميع على انه تعالى يقول ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ويقول ولو شاء الله ما اشركوا
فجل ربنا ان يريد ما لا يقع او يقع ما لا يريد فانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
لا يقال المومن مهتد فطلبه الهداية تحصيل للحاصل لان المراد طلب المزيد
او الثبات على وجه التابيد كما اشار الى المعنى الاول قوله سبحانه زادهم هدى
والى المعنى الثاني امنوا امنوا ويحتمل كلا من المعنيين قوله تعالى اهدنا و
تحقيقه ان الانسان مركب من روح روحاني تقتضي العروج الى عالم القدس
ومقام الانس ومن نفس مائلة الى الخلود في السفليات والانهماك في متابعة

الشهوات

التأييد

مكان روحاني ضب و
الروحاني منسوب الى
الملك والملكوت ق

الشهوات فمن ساعده التوفيق هداه الى سواء الطريق واذاقه حلاوة
المجاهدة حتى يصل الى مقام المشاهدة وذلك بارشاده الى تحصيل الملكات
الكاملة والاخلاق الفاضلة المعبر عنها بالصراط المستقيم والدين القويم
ولما فرغ من الامتنان بالامور الدينية شرع في الامتنان بالاحوال الدنيوية
فقال يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته بالوسائط والروابط من
الصناعات التي عليها تدور المناجح وبها ينتظم المصالح بمقتضى القسمة الازلية
المقدرة في عالم القضاء كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة
الدنيا وقد نقل الشيخ اليافعي عن بعضهم انه سبحانه لما اظهر الخلق من
العدم في عالم القدم عرض عليهم الصنائع وخيرهم فيها فاختار كل منهم صنعة
قدرت له فلما ابداهم الى الوجود اجرى على كل ما اختاره لنفسه بمقتضى
اعملوا فكل ميسر لما خلق له وانه انفردت طائفة فلم يختاروا شيئا وقالوا
ما اعجبنا شيء نختاره فاظهر لهم مقامات العبادة فقالوا اخترنا خدمتك
فقال وعزتي وجلالي لاسخرنهم لكم ولاجعلنهم خدما بين يديكم والا شفعنكم
فيمن عرفكم وخدمكم على انه تعالى قد يرزق بلا سبب معلوم كما روي ان موسى
عليه السلام عند نزول الوحي عليه وحصول الكلام تعلق قلبه باهله في ذلك
المقام فامر الله ان يضرب بعصاه صخرة فانشقت وخرجت منها صخرة ثانية
ثم ضرب فانشقت فخرجت ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري
مجرى الغذاء فسمع الدود يقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني
ويذكرني ولا ينساني فاستطعموني اي اطلبوا مني الطعام اطعمكم بتفتيح ابواب
المرام وتسهيل اسباب الانتظام فلا يجوز ابطال الحكمة برفع وسائط الارزاق
والاتكال بسعة نعمة الرزاق فقد روي ان بعض العارفين بلغ من زهده

ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسال احدا حتى ياتيني رزقي
من عند ربي فاقام في سفح جبل سبعا لم ياته شي حتى كاد يتلف فقال يارب ان — السفح اسفل الجبل
احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فالهمه الله وعزتي و
جلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة فبسط في
رزقه فاوجس في نفسه ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا
اما علمت انه ان يرزق العباد بايدي العباد احب اليه من ان يرزقهم بيد القدرة
ولا تنافي بين تكفله سبحانه بارزاق العباد من طريق فضله واحسانه
استطعامه بمقتضى لطفه وبره وامتنانه اذ لا يجب عليه شي من شانه
فمن لا يطعمه بفضله بقي جائعا بعدله وفيه نكتة لطيفة واشارة شريفة
الى تاديب الفقراء الواقفين على ابواب الاغنياء فكانه قال لا تطلبوا الطعام
من غيري فان من يطلبونهم انا الذي اطعمهم فاستطعموني اطعمكم كما
اطعمهم يا عبادي كلكم عار في اول وجوده وفي ابتداء شهوده الا من كسوته — فاعل نقل رسول الله
من عندي بخلق الكسوة وتقدير الشفقة والرحمة ومما نقل عن حكمه عليه
السلام ابن ادم انت اسوا بربك ظنا حين كنت اكمل عقلا لانك تركت
الحرص حينا محمولا او رضيعا مكفولا لاثم او قعته عاقلا حين اصبت
رشدك وبلغت اشدك فاستكسوني اكسكم بفتح الهمزة وضم السين
وفيه تنبيه بنيه على عجزهم عن جلب منافعهم ودفع مضارهم الا ان يسر الله
لهم ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم ولعل الاقتصار على احتياج الطعام و
اللباس اذ لا مندوحة عنهما للناس يا عبادي انكم تخطئون بضم التاء وكسر
الطاء في الرواية المشهورة وروي بفتحهما في النهاية خطي في دينه خطا اثم فيه
واخطا سلك سبيل الخطا عمدا او سهوا وقال ابو عبيد خطي واخطاء بمعنى
واحد

واحد وقيل المخطي من اراد الصواب فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطي و
يصيب والخاطي من تعمد ما لا ينبغي ومنه رجح رواية الثانية لانه جعل ذنبا معفورا
والخطا من غير تعمد معفو عنه سئل ام لا وتوضيحه ان بعض الفضلا ضبط
بفتح التاء والطاء على وزن تفترون وقال اخطا يخطي رباعيا اذا فعل اثما
من غير قصد وخطي يخطي على وزن علم يعلم ثلاثيا اذا فعل عن قصد ومنه ناصية
كاذبة خاطئة قال وانما يتوهم ان يكون هنا تخطئون ثلاثيا لانه جعله ذنبا يغفر — يتعين
لقوله وانا اغفر الذنوب جميعا والخطا عن غير قصد معفو عنه لقوله عليه السلام
رفع عن امتي الخطا والنسيان انتهى ويمكن تاييد القول الاول بان الخطا ولو كان
عن غير قصد لكن ربما وقع بتقصير في بعض مقدماته فلا يبعد ان يحتاج الى
المغفرة مع انه وقع الدعا برفع الخطا في قوله تعالى ربنا لا تواخذنا ان نسينا او
اخطانا نظرا الى انه لا يجب على الله سبحانه شي وفي الدعوات النبوية اللهم اغفر لي
ذنبي خطاي وهزلي وجدي وكل ذلك عندي وربما يحمل دعاء امثال ذلك على — امثال
التلذذ بابتداء غفران ما هنالك على انه قد يقال المعنى تذنبون عمدا وخطا بالليل
والنهار في ساعاتهما واوقاتهما وقدم الليل اذ الظلمة هي الاصل والنور طار
عليها يسترها او لان المقام يقتضي تقديمه اذ اكثر المعاصي يوجد عنده وانا
اغفر الذنوب اي المتعمدة واعفو عن غيرها جميعا هو كقوله تعالى ان الله يغفر — ولان الذنب سبب الظلمة فناسب تقديم الليل رب احفظني
الذنوب جميعا وهو اما محمول على حال التوبة واما عام مخصوص بالشرك وما شا
الله ان لا يغفره لقوله سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء فاستغفروني اطلبوا مني المغفرة اغفر لكم اي ذنوبكم ولو مع الكثرة
وفي الحديث لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وجا بقوم غيركم فيذنبون
فيستغفرون فيغفر لهم وذلك لان صفة الغفارية يستدعي ظهور ذلك

كما ان نعت الرزاقية تقتضي ما سبق هنالك وظاهر الحديث ان مجرد الاستغفار
مع تحقق الاصرار مفيد في الجملة لانه اظهار الافتقار الى مغفرة الغفار وهو مما يخفف
عقوبة الفجار او يؤخرها الى اجل من اطوار الادوار يا عبادي انكم لن تبلغوا
ضري بفتح اوله وبضم وهو منصوب بنزع الخافض اي لن تصلوا الى ضري
فتضروني منصوب بجوابا للنفي ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني والمعنى لن تقدروا
توصلوا الى ضر ولا ان توصلوا الى نفع فالطاعة لا ينفعه والمعصية
لا يضره بل ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها والله الغني عن جميع الاشياء
وانتم الفقراء المحتاجون اليه في ايجادكم وامدادكم فالنفي غير متوجه الى القيد
بل الى مجموع الكلام كما لا يخفى على الاعلام يا عبادي لو ان اولكم واخركم اي كل
افرادكم او الاموات الذين سبقوكم والاحياء الموجودين فيكم ومن لا يوجد منكم
وانسكم وجنكم اي جميع اصناف كم كانوا على اتقى اي تقوى اتقى قلب رجل او على
اتقى احوال قلب رجل واحد منكم وانما قدر هكذا ليصح الحمل والمعنى لو كنتم على
غاية التقوى ما زاد ذلك الكون في ملكي شيئا اي من العظمة يا عبادي لو
ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر اي على افجر قلب رجل واحد
او على افجر احواله ولم يقل لفظة منكم هنا لئلا يخاطبهم بالافجرية تفضلا و
احسانا كذا قاله شارح وقال الكازروني وقع منكم في بعض النسخ لو اتفقوا
على الفجور ما نقص ذلك من ملكي شيئا لان واجب الوجود لذاته الثابت في جميع
صفاته لا بد ان يكون غنيا عن الحاجات متصفا بكل الكمالات فملكه كامل
بل لا يتصور وجود اكمل منه كما اشار اليه الامام حجة الاسلام بقوله ليس
في الامكان ابدع مما كان ثم يوجد في الكون من الشر فهو اضافي وليس شرا
مطلقا بحيث يكون عدمه خيرا من وجوده بل وجوده مع ذلك خير من
عدمه

نفعي

عدمه وقوله شيئا مفعول مطلق ان قلنا نقص لازم اي شيئا من النقصان
او مفعول به ان قلنا انه متعد اي شيئا من الاشياء هذا وقيل اراد باتقى
رجل منكم محمدا عليه السلام كما اراد بافجر رجل ابليس فانه من الجن عند الجمهور و
لعل هذا ايضا نكتة اسقاط لفظة منكم في الفقرة الثانية فان المقصود
بالذات خطاب الانس وانما ذكر الجن تبعا في مقام الانس يا عبادي لو ان اولكم
واخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد وهو وجه الارض وظاهرها
اي في مقام واحد فسألوني في تلك الحالة بالسنة مختلفة حوائج مؤتلفة
وقيد السؤال بما ذكر لان تزاحم الاسولة وترادف الناس في المسالة مع كثرتهم و
كثرة حاجاتهم مما يضني المسؤول عنه ويدهشه وذلك يوجب حرمانهم ونقصانهم
او تعسر انجاز مطالبهم واسعاف مآربهم وليس كذلك في حق الله سبحانه
ولذا قال فاعطيت كل انسان مسألته اي مطلوبه وحاجته ما نقص
ذلك اي الاعطاء لعبيدي مما عندي من خزائن الرحمة التي في امري وحكمي و
تدبيري الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر بصيغة المجهول ونصب البحر
على ثاني المفعول قال المص هو بكسر الميم واسكان الخاء وفتح الياء اي الابرة ومعناه
لا ينقص شيئا يعني لان ما عند الله لا يدخله نقص بل يدخل المحدود الفاني
وما في كما موصولة او موصوفة او مصدرية اي ما نقص شيئا مثل الاشيا
مثل الذي او مثل شيء ينقصه او نقصانا الا مثل نقصانه في القلة وانما
ضرب المثل بالمخيط والبحر لانه وان كان يرجع بشيء قليل محسوس لكن لقلته
بالنسبة الى اعظم المرئيات عيانا لا يرى ولا يعد شيئا فكانه لم ينقص منه
شيئا وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس للتفهيم لان في التحقيق
لا ينقص خزائن الله بشيء ونتقص ماء البحر فاين ذلك مما هنالك وفي معناه

قول الخضر لموسى عليهما السلام ما نقص علمي وعلمك من علم الله
الا كما ينقص هذا العصفور وهو الذي رآه يشرب من البحر
فان قلت هل يتصور ملك يعطي منه هذا العطاء ولا ينقص شيء
من الاشياء فالجواب ان العلم يقتبس منه ما شاء الله ولا ينقص منه
شيء اصلا في هذا الحديث تنبيه للخلق على الادامة لسؤاله تعالى مع
اعظام الرغبة وتوسيع المسألة والعلم بان منع بعض عطائه ليس لنقص
في خزائنه بل الحكمة يقتضي ذلك ان يكون المنع خيرا منها هنالك ولذا
قال ابن عطاء ربما اعطاك فمنعك فاعطاك فالعوام يطلبون الدنيا
وزهراتها والخواص يتوجهون الى العقبى ولذاتها والعارفون
يقصدون الحضرة الاحدية ومناجاتها وذلك بعد ان فاح عليهم
نفحات الوفا وزكاهم الحق من كدورات الصفا وحلاهم باجمل الحلى — الحلى
واحياهم بعد ما افناهم بعين البقا وسقاهم من شراب الوداد واسكرهم
بحقيقة المراد وكشف الاستار واطلع عليهم شموس الاسرار ورقاهم
حالا بعد حال من بسط وقبض وجذب وحجب وجمع وفرق وكشف
وستر وصحو ومحو وتمكين وتلوين كما قيل • كان شيئا لم يزل اذا اتى
كان شيئا لم يكن اذا مضى • فلا يشاهدون في الملكوت الا جمال ذي
العزة والجبروت قال الشاذلي انا لا نرى مع الحق من الخلق احدا
ان كان ولا بد فكالهباء ان فتشته لم تجد شيئا اي في الهواء وما
اشتهر انه قال بعضهم ما رأينا شيئا الا ورأينا الله بعده وما
رأينا شيئا الا ورأينا الله فيه وما رأينا شيئا الا ورأينا الله قبله
وما رأينا شيئا سوى الله فاشارة الى ترقيهم في معارج الادب

ومناهج

ومناهج الطلب يا عبادي انما هي الضمير للقصة وقوله اعمالكم على حذف
المضاف اي جزاء اعمالكم احصيها لكم اي احفظها عليكم واكتبها ثم اوفيكم
بتشديد الفاء اي اؤديها اليكم تاما وافيا كذا ذكره السيد جمال الدين
وقال المظهر هي ضمير مبهم يفسره قوله اعمالكم يعني راجع الى متعلق ذهني
اشير اليه ثم اخبر عنه بما بعده كما قال صاحب الكشاف في قوله هذا فراق
بيني وبينك انه قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده فاشار
اليه انتهى وفي قوله لكم لطف حكم حيث لم يقل عليكم وقال الطيبي الضمير راجع
الى ما يفهم من قوله اتقى قلب رجل وافجر قلب رجل وهي الاعمال الصالحة
والطالحة اعمالكم احصيها عليكم اي بعلمي وملائكة الحفظة احفظها
اليكم — عليكم ثم اوفيكم اياها اي اودي جزاءها اليكم ان خيرا فخير وان شرا فشر
فمن وجد وفي نسخة صحيحة عمل خيرا اي ما يثاب عليه فليحمد الله
على توفيقه لطاعته وليعلم انه من فضل الله ورحمته ومن وجد
غير ذلك اي غير ذلك الخير وهو الشر ولم يذكر للعلم به من جهة
مقابلة او لانه ليس شرا محضا كما قرر في محله او لان ذكر الشر شر
فتركه خير فانه من اداب حسن الخطاب ولعل غير ذلك اعم من الشر
فيشمل المباح فانه بالنسبة الى الخير شر ولذا ورد ليس يتحسر اهل الجنة
يوم القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها فمن وجد غير
محض الخير ولو لم يكن صريح الشر ينبغي ان يلوم نفسه في مقام المراقبة
مطلب — وحال المحاسبة ولذا قال الشيخ البستي • زيادة المرء في دنياه نقصان
وربحه غير محض الخير خسران • فلا يلومن الا نفسه لبقائها على
الظلمة الاصلية لها فاثرت شهواتها ومستلذاتها على رضى خالقها

ورازقها فكفرت بنعمه ولم تذعن لحكمه فاستحقت ان يعاملها ربها
بمقتضى عدله وان يحرمها من ايادي كرمه وفضله وفيه ايماء الى ذم ابن ادم
وقلة انصافه حيث يحسب طاعته من نفسه وكسبه ولا يسندها
الى توفيق ربه واذا صدر منه شيء من الاوزار يسندها الى الاقدار فانه ان كان
لا تصرف له على زعمه فهلا كان ذلك فيهما وان كان له تصرف فلم ينفه عن
احدهما قيل هذا الحديث صريح في ان الخير من الله والشر من النفس كما قال
المعتزلة وتاويله على مذهب اهل السنة ما قيل في قوله تعالى ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اضاف السيئة و
الشر الى النفس لانها السبب فيها لاستجلابها المعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى
قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايضا لا غرو ان الحسنة احسان
وانعام والسيئة مجازاة وانتقام ولا لوم على الله بخذلانه فانه لا يجب
عليه تعالى شانه وقد اكد الفعل بالنون تحذيرا انه يقع في قلب عامل غافل ان
لا يستحقه غير نفسه قال البيضاوي افعال العباد وان كانت غير موجبة
للثواب والعقاب بذواتها الا انه تعالى اجرى عادته بربطهما بها ربط
المسببات بالاسباب وانشد بعض ارباب الالباب • اخاف وارجو
عفوه وعقابه • واعلم حقا انه حكم عدل • فان يك عفوا فهو منه تفضل
وان يك تعذيبا فاني له اهل • والتحقيق ان السبب الفاعلي للخير والشر
ليس الا الله وحده بمقتضى فضله وعدله واما السبب القابلي فهو
وان كان ايضا منه في الحقيقة الا ان قابلية الخير من الاستعداد الاصلي
الذي هو من الفيض الاقدس الذي لا مدخل للاختيار فيه وقابلية الشر
من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بالصفات والافعال الخسيسة

للقلب

للقلب الكدرة لجوهر الروح حتى احتاج الى الصقل بالرزايا ولذا قال تعالى و
ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ثم المجازاة قد يكون
في الدنيا على الحسنات والسيئات لما روي ان المؤمنين يجازون بسيئاتهم في
الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم والكافر يجازى بحسناته في الدنيا ويدخل
النار بسيئاته والمراد بحسنات الكافر طاعات لم يتوقف صحتها على الايمان
كاحسان اليتيم وصلة الرحم واطعام المسكين واغاثة الملهوف واداء الضيافة
واعتاق الرقبة وامثال ذلك هذا وفي القران ان اهل الجنة يحمدون بقولهم
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وان اهل
النار يلومون انفسهم قال تعالى حكاية عن ابليس لهم فلا تلوموني ولوموا
انفسكم وقال عز وجل ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم
انفسكم وهو حديث عظيم من الاحاديث الالهية المسماة بالقدسية و
هي اكثر من مائة وقد جمعها بعضهم وقد انتخبت منها اربعينا وقد ساق لهم
هذا الحديث باسناده في اذكاره وختم به وفيه عن رسول الله عن جبريل عن الله
ثم نقل ابا ادريس رواية عن ابي ذر كان اذا حدث به جثى على ركبتيه
تعظيما له واجلالا ورجال اسناد هذا الحديث دمشقيون قال احمد
ليس لاهل الشام حديث اشرف منه واخرجه احمد والترمذي وابن ماجه
بزيادة يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فسلوني المغفرة اغفر لكم ومن
علم منكم اني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا ابالي وكلكم فقير
الا من اغنيته فسلوني ارزقكم فلو ان حيكم وميتكم واولكم واخركم ورطبكم
ويابسكم اجتمعوا وكانوا على قلب اتقى عبد من عبادي لم يزد في ملكي جناح بعوضة
ولو اجتمعوا وكانوا على قلب اشقى عبد من عبادي لم ينقص من ملكي جناح بعوضة

رواه مسلم

مطلب

ولو ان حيكم وميتكم واولكم واخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فسألني كل سائل
منهم ما بلغت امنيته ما نقص من ملكي الا كما لو كان احدكم مر بالبحر فغمس فيه
ابرة ثم نزعها ذلك باني جواد واجد ماجد افعل ما اريد عطائي كلام وعذابي
كلام انما امري لشيء اذا اردته ان اقول له كن فيكون هذا وقيل في هذا الحديث
دليل على قدر الاعمال وان من لا عمل له فهو على خطر عظيم في المال قال القاضي
رزين بن معاوية كل الناس الا من عصمه الله تعالى قد اتخذوا مذهب
المرجية امنية فيرجو الجنة بلا عمل الطاعة ويلتمس الرحمة مع الاقامة على المعصية
من غير توبة وقد جاء ان الغرة هي المقام على المعصية وتمني المغفرة وجاء كما
لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال الابرار منازل الفجار وقال تعالى ان
الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون
رحمت الله وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم وصفهم بقوله ان
الذين يتلون كتاب الله الاية الى قوله انه غفور شكور فالواجب على العبد ان يكون
بين الخوف والرجاء قال تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي
هو العذاب الاليم وجاء في الحديث ان الله لا يجمع على عبد خوفين ولا يجمع
له بين امنين وان من خافه في الدنيا امنه في العقبى وان من امنه في الدنيا
اخافه في الاخرى وانشد • لقد اسمعت لو ناديت حيا • ولكن لا حياة
لمن ينادي • الحديث الخامس والعشرون عن ابي ذر
ايضا رجع الحديث عنه اليه رجوعا رضي الله عنه ان ناسا اي
جمعا وهم فقراء المهاجرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم الجمع بين النبي والرسول لاتصافه عليه السلام
بهما ثم خص بالوصف الاخص حال النداء بقولهم يا رسول الله ذهب اهل
الدثور

العزة الغفلة

الدثور قال المص بضم الدال والثاء المثلثة الاموال الكثيرة واحدها دثر كفلس
وفلوس انتهى بالاجور الباء للتعدية وفيه معنى المصاحبة اي ذهب اهل
الاموال بالدرجات العلى واستصحبوها معهم في الدنيا والعقبى فما حالنا و
ما النا حيث لم يتركوا لنا شيئا من اسباب المنى لانهم يصلون كما نصلي ما كافة
او مصدرية ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم اي ونحن
لا نقدر على ان نلحق بهم في زيادة اعمالهم وهذا ليس بحسد في اموالهم بل
غبطة في حسن احوالهم ورجاء زيادة اعمالهم في مالهم قال اوليس الهمزة
للانكار والواو للعطف على مقدر اي ايكون كذلك وليس قد جعل الله لكم
ما تصدقون الرواية فيه تشديد الصاد والدال جميعا ويجوز في اللغة تخفيف
الصاد قاله المص في شرح مسلم اي تتصدقون به ان بكل تسبيحة اي ان لكم
بسبب كل قول سبحان الله ونحوه من سبوح وقدوس وامثالهما صدقة
اسمها وبكل متعلق الخبر المقدر وليس بخبر لعدم الفائدة ثم الصدقة ما
يخرجه الانسان من ماله على وجه القربة واجبا كان او تطوعا فقال القاضي
عياض تسميتها صدقة تشبيها لها بالمال في اثبات الاجر او على سبيل المشاكلة
وقيل معناه انها صدقة على نفسه انتهى وعلى كل ففيه ايماء الى ان الصدقة
للقادر عليها افضل من هذه الاذكار ويؤيده ان العمل المتعدي افضل من
القاصر غالبا والى ان تلك الاذكار اذا احسنت النية فيها ربما يساوي
اجرها اجر الصدقة لا سيما في حق من لم يقدر على الصدقة بل قد ورد لو ان رجلا
في حجره دراهم يقسمها واخر يذكر الله لكان الذاكر لله افضل فتامل وفي بعض
النسخ ان كل تسبيحة صدقة وهو مع مخالفته للاصول المعتبرة غير
مطابق لما سياتي من ضبط المص عند قوله وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة

مطلب

وكل تحليلة صدقة حيث قال في شرح مسلم رويناه بالوجهين رفع صدقة
ونصبه صدقة فالرفع على الاستيناف والنصب عطفا على ان بكل تسبيحة
صدقة انتهى والحاصل ان كلا في المواضع الثلاثة اما مجرور للعطف على
مدخول الجار في بكل تسبيحة وصدقة منصوب على اسم ان وهذا الوجه هو المختار
المضبوط في اكثر نسخ العلماء الابرار واما مرفوع على انه مبتدأ وصدقة خبره
والجملة عطف على محل ان والمراد بالتكبيرة قول الله اكبر وبالتحميدة الحمد لله
وبالتهليلة لا اله الا الله وامثالها مما يدل على معناها وان اختلف
مبناها وامر بالمعروف وهو ما عرف في الشرع ولو على خلاف الطبع صدقة
وقد ضبط في اصلنا المعتمد المقروء على مشايخنا بجر امر ونصب صدقة عطفا
على ما قبله وفي بعض النسخ المصححة برفعهما على انهما مبتدأ وخبر والمخصص
للابتداء بالنكرة هنا عملها في المعروف على ما نص عليه ابن مالك وكذا الكلام   مطلب
في قوله ونهي عن منكر صدقة وفي نسخة المنكر قيل واسقط كل المضاف
ههنا اعتمادا على السابق او قطعا له عن ذلك الحكم والتنوين للتقليل للاشعار
بان قليلا من هذا النوع يقوم مقام تلك الامور السابقة فكيف بالكثير و
ذهب المص في شرح مسلم الى ان التنكير فيه للافراد حيث قال فيه اشارة الى
ثبوت حكم الصدقة في كل فرد من افراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذا نكرهما
والى ان الثواب فيهما اكثر منه بالتسبيح ونحوه لانهما فرضا كفاية وتلك   انظر الى اشباه ٧٤
نوافل ومعلوم ان اجر الفرض اكثر من النفل لقوله عز وجل وما تقرب الي
عبدي بشيء احب الي مما افترضت عليه وروي ان ثواب الفرض يزيد على
النفل بسبعين درجة انتهى والمعروف هو الصنائع الجميلة والخصائل
الجليلة لانها عرفت في الشرع ولذا عرف باللام والمنكر ما ينكره الشرع ولا

بتضيه

يرتضيه العقل والطبع ولذا نكر للتحقير وفي بضع احدكم صدقة
بالنصب والرفع وفي تعليلية بمعنى الباء السببية قال المص هو بضم الباء
واسكان الضاد المعجمة وهو كناية عن الجماع اذا نوى به العبادة وهو قضاء
حق الزوجة وطلب ولد صالح واعفاف النفس وكفها عن المحارم اي من النظر
او الفكر او الهم والعزم وامثال ذلك والظرف في كلامه متعلق بمحذوف اي
يكون الجماع صدقة اذا نوى العبادة من قصد معاشرتها بالمعروف الذي امره   مطلب
الله به ثم الواو في كلامه بمعنى او لان كلا من الامور المذكورة سبب
لكونه صدقة ثم البضع بالضم النكاح على ما في الصحاح وقال غيره يطلق
على الفرج نفسه والمراد هنا مباشرة الرجل منكوحته او مملوكته ولما
كان الجماع من الامور المباحة واستبعد ان يكون فيه اجر الصدقة قالوا
يا رسول الله ايأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر اي مثوبة قال ارايتم
اخبروني لو وضعها في حرام اكان عليه وزر اي اثم يترتب عليه عقوبته
والاستفهام للتقرير ولذا قال فكذلك اذا وضعها في الحلال وفي نسخة
في حلال كان له اجرا بالرفع في اصلنا وفي بعض النسخ بالنصب قال في
شرح مسلم ضبطنا اجرا بالنصب والرفع وهما ظاهران انتهى فالنصب
على انه خبر كان واسمه مستتر فيه اي كان ذلك الوضع له اجرا والرفع
على انه اسم كان اجر له بوضعه او كان لاجل وضعه اجر والحديث دليل
لمن جوز القياس وهم اكثر الاصوليين والمذكور قياس العكس واختلف
فيه ايضا وهو اثبات ضد الحكم في ضد الاصل كاثبات الوزر الذي هو ضد
الصدقة في الزنا الذي هو ضد الوطي المباح ومثله قول ابن مسعود قال
صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وانا اقول من مات

يشرك بالله شيئا دخل النار ذكره ابن حجر واقول مثله حديث طوبى لمن طال
عمره وحسن عمله فان الويل لمن طال عمره وساء عمله ثم رايت رواية احمد و
الترمذي عن ابي بكرة بلفظ خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر
الناس من طال عمره وساء عمله واما ما نقل عن بعض التابعين في ذم البقاء
فهو اما محمول على قياس معارض لما نص واما على ما فقد فيه بعض شروطه
وقال المص في شرح مسلم فيه اثبات جواز القياس كما قال العلماء كافة خلافا
لاهل الظاهر واختلف الاصوليون في العمل به وهذا دليل لمن عمل به وهو
الاصح وفيه دلالة على ان المباحات تصير بالنيات الصادقات طاعات
انتهى وقد ورد من نام عن ورده كتب الله له اجر صلاته وكان نومه صدقة
من الله تصدق به عليه اخرجه النسائي وغيره واخرج البزار ما من يوم
وليلة ولا ساعة الا ولله فيها صدقة يمن بها على من يشاء من عباده وما
من الله على عبده مثل ان يلهمه ذكره وقيل ظاهر الحديث تقتضي ان
الوطي صدقة وان لم ينو به شيئا كما انه لو زنا لاثم وان لم ينو شيئا والى
هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقياس العكس الذي ذكره حيث
قال ارايتم لو وضعها في حرام الح قلت النية معتبرة في الزنا ايضا الا
ترى انه لو جامع امراة لقيها على فراش زوجته ولم يتبين له انها غيرها
لا يكون اثما بخلاف ما اذا دخل في حانوت فاحشة على قصد الزنى بها
فوجد امراته هناك ولم يعرفها وجامعها يكون اثما هذا وقد اخرج ابن مطلب
حبان في صحيحه ليس من نفس ابن ادم الا عليها صدقة في كل يوم
طلعت فيه الشمس قيل يا رسول الله ومن اين لنا صدقة نتصدق بها
قال ان ابواب الخير لكثيرة التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل والامر

بالمعروف

بالمعروف والنهي عن المنكر وتميط الاذى عن الطريق وتسمع الاصم
وتهدي الاعمى وتدل المستدل على حاجته وتسعى بشدة ساقيك
مع اللهفان المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف
فهذا كله صدقة واخرجه احمد بنحوه وزاد ولك في جماعك زوجتك
اجر قلت كيف لي اجر في شهوتي فقال صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان
لك ولد فادرك ورجوت خيره فمات اكنت تحتسب به قلت نعم
قال فانت خلقته قلت بل الله خلقه فانت هديته قلت بل الله هداه
قال فانت كنت ترزقه قلت بل الله كان يرزقه قال كذلك فضعه
في حلاله وجنبه حرامه فان شاء الله احياه وان شاء اماته ولك
اجر فان قلت اذا فعل الاغنياء ما ذكر من التسبيح والتحميد والتهليل
وامثالها يبقى شكوى الفقراء على حالها اجيب بان مقصود
الفقراء تحصيل ثواب الصدقة لا نفي زيادتهم المطلقة ونوقش
بان الظاهر ان مقصودهم انما كان طلب المساواة لانه ورد في
بعض طرق الحديث عند مسلم قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل
الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله عليه السلام
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء رواه مسلم ولفظه في الصحيحين
ان فقراء المهاجرين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب
اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا
يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق
ويعتقون ولا نعتق فقال عليه السلام الا اعلمكم شيئا تدركون

بمن سبقكم وتسبقون من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلوة ثلاثا وثلثين قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فعلم بهذا افضلية غني شارك الفقير في العبادات البدنية وزاد عليه بالقربات المالية وهذا لا شك فيه كما قال ابن دقيق العيد وانما الذي يتردد النظر فيه اذا تساويا في اداء الواجب وزاد الفقير بنوافل الاذكار والغني بنوافل الصدقة وانفرد كل واحد بمصلحة ما هو فيه واذا كانت المصالح متقابلة ففي ذلك نظر يرجع الى تفسير الافضل ما هو فان فسرناه بزيادة الثواب فالقياس يقتضي ان المصالح المتعدية افضل من القاصرة وان كان الافضل بمعنى الاشرف بالنسبة الى صفات النفس فالذي يحصل للنفس من التطهير للاخلاق والرياضة لسوء الطباع بسبب الفقر اشرف فيرجح الفقر ولهذا المعنى ذهب الجمهور من الصوفية الى ترجيح الفقير الصابر لان مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها وذلك مع الفقر اكثر منه مع الغنى فكان افضل بمعنى اشرف انتهى كلام ابن دقيق العيد وهو في غاية التحقيق ونهاية التدقيق ويؤيده ان الظواهر من الاحاديث تقتضي تفضيل الذكر على الصدقة بالمال كحديث احمد والترمذي الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم

وخيركم

وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل وحديث انما سئل اي العباد افضل عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا قلت يا رسول الله ومن الغازي في سبيل قال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر و يختضب دما لكان الذاكر لله افضل منه درجة وحديث الطبراني لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها واخر يذكر الله لكان الذاكر لله افضل ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين الى ان الذكر افضل من الصدقة واجمع الصوفية على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر وانما خالفه ابن عطاء فدعا عليه الجنيد فابتلي بالبلاء بل قال بعضهم الفقير الشاكي افضل من الغني الشاكر ولعل مراده الشاكي الى الله حيث ما وصل الى مقام الصبر وحال الرضا ويؤيده حديث اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا وفي رواية كفافا ويقويه ان الله تعالى جعل اكثر الانبياء والاصفياء في صور الفقراء وهيئة الضعفاء حتى قال صلى الله عليه وسلم يدخل سليمان عليه السلام الجنة بعد سائر الانبياء بخمسمائة عام وقال في حق عبد الرحمن ابن عوف انه يدخل الجنة بعد فقراء المهاجرين بخمسمائة عام وفي رواية انه يدخل الجنة حبوا واما دعوى ابن حجر ان نبينا صلى الله عليه وسلم في اخر عمره صار غنيا فلا وجه لها اذ ثبت انه عليه السلام توفي ودرعه مرهونة عند يهودي ولقد قال الامام حجة الاسلام ان الكافر الفقير عذابه في النار اخف من الكافر الغني فاذا كان الفقر ينفع الكفار فكيف لا يكون نافعا للابرار و يؤيده انه عليه السلام قال اجوعكم في الدنيا اشبعكم في الاخرة وانه صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه الدنيا وخير بين ان يكون نبيا ملكا وبين ان يكون نبيا عبدا اختار ان يكون نبيا عبدا وقال اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر

وفي دلائل المريدين اجمعوا على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر ثم قال فان
قيل قال صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من السفلى والعليا هي المنفقة كما في
رواية فالجواب ان الغني حينئذ افضل من ذلك الفقير بسبب انه باعطائه
القدر اليسير من المال مال الى جانب الفقر فحصل له في الجملة نوع من الكمال وان
الفقير بسبب اخذه من غير اضطراره مال الى جانب المال فوقع له نقصان في
الحال وقد ذكر بعض ارباب التحقيق واصحاب التدقيق جوابا عن هذا الاشكال
الا انه يتوقف على تمهيد مقدمة على جواب السؤال وهي ان الفقر اسم
للبراءة من رؤية الملك بان لا يرى الملك والتصرف في ماله ونفسه بل في الوجود
الا للحق وله مراتب بعضها فوق بعض من قبض اليد عن الدنيا ضبطا وطلبا
والاعراض عنها لسانا وجنانا ثم الرجوع الى سابقة الازل وهو عدم الثاني
فيعلم ان وجوده واستعداده وحالاته وكمالاته ومقاماته من فضل الله و
فيضه الاقدس فيتجرد عن الكل راجعا الى الله فقيرا ثم تحقق اضطراره
بان يعلم ان الوجود الحقيقي لله وان ما يجري عليه حكم سابقة الازل
فلا فعل له ولا وصف ولا وجود فهو مضطر تحت حضرة الجمع وهذا هو
فقر الصوفية الذي هو فقد الانانية في الفناء في احدية الذات واما
الغنى فهو اسم للملك التام وهو اما غنى القلب بالنور الحقيقي عن جميع الوسائط
ومسالمته لحكم الله تعالى في تمام المرابط او غنى النفس المطمئنة عن حظوظها
وتعلقاتها باستقامتها على طلب الحق او الغنى بغنى الحق بالفناء في ذاته و
البقاء ببقائه فاذا تقرر ذلك فيقال الفقر الذي تكلموا في شرفه وتفضيله
على الغنى هو فقر الزهاد المشار اليه اولا والاغنياء الذين فضلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين اختارهم الله في سابق علمه

وخصهم

وخصهم من سواهم بفضله بسائر مراتب الفقر والغنى فلم يكن فضلهم الا بها
لا بسبب انفاقهم واعمالهم المشتركة كما ظنه الفقراء وتمنوا ان يسابقوهم
او يساووهم بها فنبههم اولا باحوالهم حتى ينقطع عنهم تلك الامنية فلما لم
ينتبهوا اعلمهم بخصوصيات المواهب والعطاء بقوله ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء ليعلم انهم اصفياء الفقراء واخفياء الاغنياء في سرادقات
العزة وحجب الاعتلاء كما اشار الى ذلك بعض الاولياء • لله تحت قباب
العز طائفة • اخفاهم في رداء العز اجلالا هم السلاطين في اطمار مسكنة •
استعبدوا من ملوك الارض اقيالا غبر ملابسهم شم معاطسهم جروا على
فلك الخضراء اذيالا • وحاصل الكل ان مقام جمع الجمع اعلى مرتبة وهو الرضا والتسليم
بما جرى به قلم القضا كما يشير اليه قوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء •
ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي ما معناه ان
من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله وان من
عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لفسد حاله وقد يختلف حال
شخص واحد باعتبارين فتارة يناسبه الفقر واخرى يناسبه الغنى
ولذا قال الفاروق هما مطيتان لا ابالي ايتهما اركب وهذا بالنسبة الى اختيار
الرب لعبده واما اذا خير فاختار ما اختاره مختار الانبياء بان يكون
جامعا بين احوال الاصفياء فتارة يجوع ويصبر على البلاء وتارة يشبع
ويشكر على النعماء فيكون مظهر الكمال في مرائي الجلال والجمال ومجلى القضية
الكل ما يبعد العبد عن قرب الرب فهو شوم وكلما يقربه الى مقام انسه وحضرة
قدسه فهو مبارك لان الفقر كاد ان يكون كفرا كما في حديث وفي الاية كلا
ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ولقد تعوذ صلى الله عليه وسلم

منهما بقوله اعوذ بك من شر الفقر ومن شر الغنى ثم رايت بعض
الفضلا ذكر وجهاً في تفضيل الفقرا على ما يفهم من هذا الحديث وهو ان
الاغنياء وان شاركوا الفقرا في التسبيح ونحوه فقد امتاز الفقراء عنهم بمزية
جليلة وهي الحسرة التي يجدها الفقراء عند عدم ما ينفقونه كما ينفقه الاغنيا
وقامت تلك الحسرة مقام انفاق الصدقة فان نية المومن خير من
عمله ولان تسبيح الاغنياء مسبب عن سوال الفقراء وكل من تعلم عنهم
الى يوم القيمة فانه في المعنى كانه من صدقة عليهم وشتان ما بين الصدقتين
هذه صدقة الاذكار وهي قوت الارواح وتلك صدقة الطعام والشراب — من صدقتهم
وهي قوت الاشباح واما ما قرره الشيخ ابو طالب المكي فقال انكم فضلتم الاغنيا
اوساويتموهم وان لم يكن لكم قربات اموال وذلك فضل الله فهو بعيد كما
لا يخفى على ذوي الانتباه وقيل الكفاف افضل من الفقر والغنى فانهما محنتان
يمتحن الله بهما من يشاء من عباده واختاره شيخ مشايخنا الجلال السيوطي
رحمه الله ويويده حديث خير الرزق الكفاف رواه احمد في الزهد وفي رواية
خير الرزق ما كان يوما بيوم كفافا وفي رواية خير الرزق ما يكفي ووقف طائفة
عن التفضيل بينهما الذي يخطر بالبال والله اعلم بالحلال ان كلام الصوفية
ليس في فضائل الاعمال بل في مراتب الاحوال بان الصبر على شدة الفقر وقلة
المال اقوى من الشكر على النعمة وسعة المال وهذا امر واضح لا ينبغي ان
يكون فيه خلاف المقال فان العبد الذي يخدم سيده على الكد والمحنة
لا شك انه اكمل من الذي يخدمه في حال البسط والمنحة فان الثاني
يحتمل انقلاب حاله اذا وجد المحن والاول ابطريق الاولى يزيد في الطاعة
عند ظهور المنن الحديث السادس والعشرون عن ابي
هريرة

هريرة تقدم ذكره ووجه منع صرفه واعاده ابن حجر هنا دهولا له
عما مضى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامى
بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم وجمعه سلاميات بفتح الميم وهي
المفاصل والاعضا وهي ثلاثمائة وستون ثبت ذلك في صحيح مسلم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قاله المص وهو مبتدأ موصوف بقوله من الناس
ولفظة من للتبعيض وخبره قوله عليه صدقة والعائد الضمير المجرور وقال — مطلب
ابن مالك حق الراجع الى كل مضاف الى نكرة ان يجي على وفق المضاف اليه كقوله
تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد يجي على وفق كل كما في الحديث انتهى ولا يبعد ان
يقال تذكيره باعتبار معنى السلامى من العضو او المفصل كما ذكروا في قوله تعالى
ان رحمت الله قريب اي انعامه وفي قوله لعل الساعة قريب اي البعث والمعنى
على كل واحد بعدد كل مفصل او عضو صدقة يليق به شكر الله تعالى بان جعل
في عظامه مفاصل يقدر بها على القبض والبسط بسببها اودفع البلاء
عنها ابلا منها وبقائها كل يوم بالنصب ظرف القوله صدقة لانه بمعنى تصدق
او مرفوع على الاستيناف لكن الرواية على الاول كما صرح به الكازروني
وعلى تقدير ثبوت رفعه قوله تطلع فيه الشمس صفة كاشفة اليوم لئلا يتوهم
ان المراد به مطلق الوقت لا للتاكيد كما قيل وقوله يعدل مع خبره خبره و
العائد من الاخبار محذوف اي يعدل فيه بين الاثنين اي يصلح بين
المتخاصمين او المتحاكمين او المتهاجرين صلحا جائزا بان لا يحل حراما ولا يحرم
حلالا كما في حديث وهو مبتدأ على تاويل المصدر او بان المقدر وارتفاع
الفعل بعد حذفه كما في قوله تعالى ومن اياته يريكم البرق وفي قولهم تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه وخبره قوله صدقة وقد ثبت بالايات والاحاديث النبويات

ان الاصلاح بين الناس من افضل القربات واكمل العبادات قال تعالى لا خير
في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال عز وجل
انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم وفي الحديث الا اخبركم بافضل من
درجة الصلوة والصيام والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين حتى جاز
الكذب فيه مبالغة في وقوع الالفة بين المتنازعين فان الصدق يفضي الى
محذور واشد منه في امر الدين وهو دوام العداوة بين المتخاصمين ويعين الرجل
اي جنس الرجل المراد به النكرة اي ويساعد رجلا في دابته فيحمله اي فيركب الرجل
عليها على دابته والضمير راجع الى الرجل او المعين والاول ابلغ وقد ورد من
حمل اخاه على شسع فكانه حمله على دابة في سبيل الله رواه الخطيب عن انس
او يرفع عليها متاعه صدقة اي للمعين على الرجل وفي الحديث اشارة الى
استحباب مراعاة حقوق الاصدقاء المعروفين بل العوام المجهولين وهي الاعانة
بالنفس والمال وكتمان السر والحال وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم
قال ان المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو
تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر والكلمة الطيبة وهي الباقيات الصالحات تداعى من الدعوة اي جعلك
صدقة على ما سبق فيه الكلام من التسبيح والتهليل والتحميد ونحوها في مقام
النظام ومنه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والمراد بها الكلام الطيب
في رد السائل قال تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى
او المراد بها احسن الكلام مع الانام لانه مما يفرح به قلب المؤمن ويدخل فيه
السرور وهو من اعظم الاجور وقد ورد انه اذا التقى المسلمان نزل عليهما
مائة رحمة تسعون لاكثرهما بشرا وعشرة لاقلهما رواه في العوارف مرفوعا
وقيل المراد بها كلمة التوحيد لقوله تعالى ومثل كلمة طيبة فانها يتطيب بها القلوب

علما

علما ومعرفة ومشاهدة وهي افضل الذكر لانها اجمع للقلوب مع الله وانفع
لنفي ما سواه واشد تزكية للنفس وتصفية للباطن وتنقية للخاطر من حديث
النفس وهواجسها واطرد للشياطين ووساوسها ثم اعلم ان الذكر عبارة
عن وجدان الرب وحضوره بالقلب وله لب هو المقصود وقشور ثلاثة
فالاعلى ذكر اللسان فقط ثم ذكر القلب تكلفا بحيث يحتاج الى مراقبة حتى يحضر
ثم ذكره طبعا بان يستمكن من القلب بحيث لا يحتاج الى تكلف في صرفه عنه
الى غيره ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر والذاكر بان يفنى عن نفسه وذكره
ولا يلتفت الى فنائه ايضا ذاهبا الى ربه اولا ثم ذاهبا فيه بالاستغراق
به اخرا اذ لو التفت الى شيء من ذلك لكان معرضا عن الله غير منفك عن الشرك
الخفي هنالك واول لا يكون كالبرق الخاطف فان دام معرج به الى العالم الاعلى
وطالع الوجود الحقيقي الاصفى وانطبع فيه نقش الملكوت وتجلى له قدس
اللاهوت واول ما يتمثل له جواهر الملائكة وارواح الانبياء والاولياء
في صور جميلة تفيض اليه بواسطتها بعض الحقايق الى ان يعلو درجة
عن المثال فيكافح بصريح الحق في كل الاحوال هذا زبدة كلام الامام حجة
الاسلام في الاربعين وبكل خطوة بفتح الخاء المرة الواحدة وبضمها اسم لما بين
القدمين وقيل هما لغتان يمشيها اي يمشي الرجل بها الى الصلوة اي ونحوها
في سائر الطاعات صدقة فعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه رضي الله
عنه قال كان بنو سلمة في ناحية من المدينة فارادوا ان ينتقلوا الى
قرب المسجد فانزل الله تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم
فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم دياركم يكتب اثاركم
ثم قرء عليهم الاية فتركوا رواه البيهقي وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله

هجس الشيء في صدره خطر بباله او هو ان يحدث نفسه في صدره مثل الوسواس

المكافحة المقابلة والمواجهة

معفلا شيئا الا حفل هذه الاثار التي يعفيها الرياح ويميط الاذى بضم
اوله اي ازالة ما يوذي المارة من نحو شوك او نجاسة او حجارة عن الطريق
صدقة واخرت هذه ايماء الى انها ادون مما قبلها كما يدل عليه حديث الايمان
بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة
الاذى عن الطريق واستحب بعض العلماء انه اذا اراد ازالة الاذى ان يقول
لا اله الا الله ليكون جامعا بين اعلى شعب الايمان وادناه ويدخل تحت عمومه
اماطة الظالم عن طريق الحق وشرعه المطلق او هو مفهوم بالاولى كما في قوله
تعالى ولا تقل لهما اف فانه فهم به قول ابن حجر انه تكلف بعيد هذا وقال بعض العارفين
المراد بالاذى النفس فانها منبع الشر والفساد ومعدن الظلم والاذى للعباد
في البلاد ومحل الافات والعاهات ولذا قيل التوحيد اسقاط الاضافات وقال
العارف العاشق اصل التوحيد كشوف سبعين بابا من عيون صفات الحق كما
اشير اليه في حديث الايمان بضع وسبعون شعبة وافضلها الكشف عن الذات
وادنى المقام منها افراد القدم عن الحدوث وهو اماطة قذى التكوين عن
عين عيان القديم واما ما روي عن الحسن وابن سيرين ان فعل المعروف
يوجر عليه وان لم تكن فيه نية بل روى حميد بن زنجويه عن الحسن انه من
اعطى اخر شيئا حياء منه له فيه اجر وابو نعيم في الحلية عن ابن سيرين
ان من تبع جنازة حياء من اهلها له اجر لصلة الحي فلا ينافي ما صح في حديث
ابن حبان من انه عليه السلام ذكر فيه خصالا كالتصدق وقول المعروف
واعانة الضعيف وترك الاذى ثم قال والذي نفسي بيده ما من عبد يعمل
بخصلة منها يريد بها ما عند الله الا اخذت بيده يوم القيمة حتى يدخل الجنة
وهو مستمد من قوله تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف

اوصلاح

المعروف هو كل ما يحسن في الشرع والعقل تعريفات

او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه
اجرا عظيما فان ما ذكر في الكتاب والسنة محمول على كمال الاجر والثواب كما يقتضي
الاية اشارة الى ذلك حيث استثنى ما ذكر من نفي الخير فاثبت له الخيرية
ثم رتب الاجر العظيم على تصحيح النية ولولا اعتبار هذا العموم لارتفع اكثر الخيرات
والمبرات لان اكثر الخلق عاجزون في مثل هذه الافعال عن تصحيح النيات
وايضا النية انما هي شرط لصحة العبادات المستقلة والثواب منوط بها
ايضا في الامور المباحة واما المعروفات كصلة الرحم واحسان اليتيم واغاثة الملهوف
واعانة الضعيف واطعام الضيف والمسكين وامثالها فتصحيح النية
من كمالها لا لثبوت اصلها ولذا يجزي الله الكافر في الدنيا على امثال هذه الافعال
من مكارم الاخلاق فقول الحسن مستحسن مقبول لا مردود كما توهمه ابن حجر فتامل
وتدبر فان حاصل الحديث يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وقد
قال بعض الكابر مجمع الخيرات هو الصدق مع الحق والخلق مع الخلق روى البخاري
ومسلم وفي رواية له يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة
وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر
صدقة ويجزي عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى والمعنى يكفي مجموع هذه
الصدقات كلها عن هذه الاعضاء جميعها ركعتان في وقت الضحى لانها اقل
مقدار من صلوة نافلة وهي تعمل بالاعضاء كاملة فاذا صلى في طاعته
فقد قام كل عضو منه بوظيفته وادى شكر نعمته وقد قال سهل بن عبد الله
التستري في الانسان ثلثمائة وستون عرقا مائة وثمانون ساكنة ومائة
وثمانون متحركة فلو تحرك ساكن او سكن متحرك لمنعه النوم ويؤيد هذا
القول احاديث كثيرة منها حديث البزار انه صلى الله عليه وسلم قال للانسان

فيه انه موافق على ان الكافر الذي يجزيه الله تعالى في الدنيا لا نية له
المستجمع عن عم

ثلاثمائة وستون عظما وستة وثلاثون سلامى عليه في كل يوم صدقة قالوا
فمن لم يجد ذلك يا رسول الله قال يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قالوا فمن لم يستطع
قال يرفع عظما عن الطريق قالوا فمن لم يستطع قال فليدع الناس من شره ومنها حديث
مسلم خلق ابن ادم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله
وسبح الله وعزل حجرا عن طريق المسلمين او عزل شوكة او عزل عظما او امر بمعروف
او نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى وامسى في يومه فقد زحزح
نفسه عن النار ومنها حديث احمد وابي داود في الانسان ثلاثمائة
وستون مفصلا فعليه ان يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة قالوا
ومن يطيق ذلك يا نبي الله قال النخاعة في المسجد يدفنها والشيء ينحيه عن
الطريق فان لم يجد فركعتا الضحى يجزئه ومنها حديث البزار وابن حبان في صحيحه
على كل ميسم من ابن ادم صدقة كل يوم فقال رجل من يطيق هذا قال قال امر بمعروف
صدقة الحديث هذا وقد قال تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال ابو الدرداء
هو صحة الجسد وقال وهب مكتوب في حكمة ال داود العافية الملك الخفي
فهي النعيم المسؤل عنه وقال ابن مسعود النعيم الامن والصحة ويؤيده حديث
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ واخرج الترمذي وابن حبان
ان اول ما يسال العبد عنه يوم القيمة فيقول له الم نصح لك جسمك و
نرويك من الماء البارد وقال ابن عباس النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار
وكانه اشار الى قوله تعالى ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسؤلا
ثم الحديث المذكور ما اورد لحصر الخيرات بل لبيان المذكورات على امثالها من
المبرات من الاحسان الى كل شيء الخير في كل كبد رطبة اجر الحديث السابع
والعشرون هو وما بعده في الحقيقة حديثان الا انهما لما توا
ردا على

اذا كان المفصل ثلاثمائة وستين يلزم ان تكون العظم اكثر لكن ليس في حديث العظم ما يدل على الحصر السيد محمود عفي عنه

ردا على معنى واحد كانا كالحديث الواحد وصار الثاني للاول بمنزلة الشاهد عن النواس
بفتح النون وتشديد الواو ابن سمعان بكسر السين وفتحها كذا قاله المم فيهما
رضي الله عنه كذا في النسخ لكن لابيه ايضا صحبة فكان ينبغي ان يقال عنهما
وقد تزوج صلى الله عليه وسلم اخت النواس وهي المتعوذة روى له سبعة عشر
حديثا وكان انصاريا من اصحاب الصفة وسكن الشام وقال اقمت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة اي العود الى الوطن الا
المسالة اي السؤالات التي كانت ترد عليه صلى الله عليه وسلم من بعض اصحابه
واجوبتها لما ان المهاجرين والانصار لما اكثروا السؤال ونهوا عنه كانوا يحبون
ان ياتي اهل البادية وسيالوا حتى يسمعوا فيتعلموا فكانت اقامته تلك السنة مع
عزم العود الى وطنه لاجل ان يتفقه في الدين تلك المدة عملا بقوله سبحانه
وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون قيل وفيما ذكره
دلالة على ان الهجرة لم تكن واجبة على غير اهل مكة ونوقش بانه من كان له عشيرة
يحميه لم تلزمه الهجرة ولو من مكة فلعله كان ممن له يحميه من قومه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اي حين سأله عن البر والاثم البر اي اعظم خصاله
حسن الخلق بضمتين وسكون اللام وقد سبق انه طلاقة وجه والحيا وبذل الندى
وكف الاذى وقال الترمذي البر هنا الصلة والصدقة والطاعة ويجمعها
حسن الخلق وقال الطيبي فسر البر في حديث اخر بما يقربك الى الله وقال بعض
المحققين ان احسن الخلق عبارة عن حسن العشرة والصحبة مع الخلق
بان يعرف انهم اسراء الاقدار وان كل ما لهم من الخلق والخلق والرزق والاجل
والعمل بمقدار فيحسن اليهم حسب الاقتدار فيامنون منه ويحبونه بالاختيار ومع الخالق

في اخر سورة التوبة

ص

الحيا الوجه

بان يشتغل بجميع الفرائض والنوافل ويأتي بانواع الفضائل علما بان كل ما
اتى منه ناقص يحتاج الى العذر وكل ما صدر من الحق كامل يوجب الشكر ثم يتخلق باخلاق
الله بدوام الاعراض عما سواه والحاصل ان البر بكسر الباء اسم جامع لانواع الخير
وهو ما اقتضاه الشرع وجوبا او ندبا ولذا قابله بقوله والاثم وهو ما نهي عنه
للتحريم او لكراهته ما حاك في نفسك بالحاء المهملة والكاف اي تردد قال المص
من الحيك وهو التاثير اي اثر فيها بان اقلقها وهذا باعتبار المؤمن المتقي
الملهم بالحق والصواب فلعله عليه السلام علم ذلك من السائل حال الجواب
وفي رواية الاثم حزاز القلوب بتشديد الزاي الاولى وهو بمعناه وفي اخرى
حواز بتشديد الواو وحاصله انه حل في قلبك منه حزازة وريب وخوف
من انه ذنب وقد تصحف وكرهت ان يطلع عليه الناس اي اشرافهم الذي
يستحيى منهم لو صدر منك ذلك الفعل عندهم والظاهر من سياق الحديث
ان للاثم علامتين علامة داخلية واخرى خارجية كما ياتي التصريح به في
رواية وذلك ان النفس لها شعور من اصل الفطرة بما تحمد عاقبته وما
لا تحمد عاقبته ولكن غلبت عليها الشهوة حتى اوجبت لها الاقدام على ما
فيه المضرة كاللص بغلبة الشهوة على السرقة وهو خائف من الوالي قطع
الرقبة ولانها بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها وبرها وتكره اطلاعهم
على اثمها وشرها ومن ثم اهلك الرياء اكثر المشايخ والعلماء فكراهتها اطلاع
الناس على فعلها يعلم انه اثم بالنسبة اليها فيترك ما خطر ببالها وقال بعض
العارفين الاثم هواجس النفس وهي تحيك الصدر بنعت الاضطراب
والتضييق لانها ثقيلة على الارواح والبر لطف ممزوج بنور الذكر فتطمئن
به القلوب وتنصح منه الغيوب وليس في الحديث دلالة على ان مجرد خطور
المعصية

حواز القلوب ما يغلب فيها حتى تركب ما لا يحب بمعنى الحواز بتشديد الزاي الحواز جمع حازة وهي الامور التي تؤثر وتحتاج فيها ق

حزازة وجع للقلب

خواطر

المعصية والهم بها اثم لوجود العلامتين حتى يحتاج الى ان يخص بخبر ان الله
تجاوز لامتي عما وسوست نفسها ما لم يعمل به او يتكلم لان ذلك فيما لا يعلم
كونه اثما ام لا وهذا فيما هو المعلوم من الاثام مع ان التردد مناف للهم والعزم
والا فالعزم على سبيل الجزم من جملة عمل القلوب فيحصل به الاثم على ما عليه الجمهور
من اهل العلم رواه مسلم وعن وابصة بكسر الباء الموحدة ذكره المص وهو بالصاد
المهملة ابن معبد بفتح الميم والموحدة رضي الله عنه قدم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في عشرة رهط من قومه بني اسد بن خزيمة عام تسع فاسلموا
ورجع الى بلاده ثم نزل الكوفة ثم تحول الى الجزيرة وسكن الرقة ودمشق و
مات بالرقة ودفن عند منارة جامعها وكان قارئا كثير البكاء لا يملك
دمعته قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسال عن
البر والاثم لما سيأتي من الرواية في الجمع بينهما وكما يشير الجواب اليهما ولعله
من باب الاكتفاء بضد الاشياء فقلت نعم وهذا من دلائل النبوة لانه
اخبره عما في ضميره قبل ان يتكلم به وجاء في بعض الروايات ان وابصة جاء
يتخطى الناس حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا وابصة تحدثني
ما جئت فيه او احدثك قال بل انت حدثني يا رسول الله فهو احب الي
قال جئت تسال عن البر والاثم قال نعم فقال استفت قلبك وفي رواية لاحمد
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لا اريد ان ادع شيئا من البر و
الاثم الا سالت عنه فقال لي ادن يا وابصة فدنوت حتى مست ركبتي
ركبته فقال يا وابصة اخبرك بما جئت تسال عنه او تسألني قلت
يا رسول الله اخبرني قال جئت تسال عن البر والاثم قلت نعم قال فجمع اصابعه
الثلاث فجعل ينكت بها في صدره فيقول يا وابصة استفت نفسك الحديث

مطلب

شك من الراوي

صدرك

اى اطلب الفتوى من قلبك لانه يبلغ فى سلوك الطريق الكمال وطلب الوصول بعين
الوصال الى مقام القلب وبيان ذلك ان سير الانسان الى الحق انما هو بالباطن
وان كان مع استعانة الظاهر لصعود الهيات البدنية الى حيز النفس و
القلب وهبوط الهيات النفسانية والقلبية الى الظاهر للعلاقة بينهما ثم
النفس قبل التوجه الى الحق امارة بالسوء ثم تصير لوامة ثم يصير مطمئنة و
الحاصل انه عليه السلام ذكر له ضابطة جامعة مميزة بين البر والاثم
بقوله البر ما اطمانت اليه النفس اى مالت اليه وسكنت من اضطرابها
بها لديه والنسخ المعتمدة مجتمعة على لفظ اليه ووقع فى اصل ابن حجر
بلفظ عليه فقال اى سكنت عليه وفى رواية اليه انتهى ولا يخفى ان
السكون لا يتعدى بعلى نعم جاء فى رواية وسكنت اليه النفس وكان
بعض من لا دراية له بالرواية راى تكراراليه مع قوله واطمانت
اليه القلب فغاير بينهما من عنده والمعنى اذا التبس عليك شىء ولم تدر انه
من اى القبيلين فتامل فيه ان كنت من المجتهدين واسئل المجتهدين
ان كنت من المقلدين فان وجدت ما سكن اليه القلب فخذه والا فدعه
قاله البيضاوى ولعل عطف اطمئنان القلب على اطمئنان النفس للتاكيد
فان النفس اذا ترددت فى امر استتبع ذلك خفقانا فى القلب للعلاقة
بينهما فانه المتعلق الاول لها وبها تسرى الى سائر القوى فيحس بها الحلال جلاها
والحرام فاذا زال ذلك عن النفس وحدث بها طمانينة انعكس الامر والنفس
لغة حقيقة الشىء واصطلاحا لطيفة فى الجسد تولدت من ازدواج
الروح بالبدن واتصالهما معا فاذا قامت فى ظلمتها الا يغشاها نور العلم جلاها
والمعرفة مائلة الى الشهوة وسائر الاخلاق الرذيلة لالفها الى العالم الحسى
سميت

سميت امارة واذا تنفس صبح الهداية وانزعجت من دواعى طبيعتها الانزعاج الانقلاع
منطلقة الى مقار الطمانينة منجذبة مرة الى العالم العلوى واخرى الى
العالم السفلى سميت لوامة لانها تلوم نفسها لعلمها بمحل الطمانينة واذا
طلعت شمس العناية من اوج الرعاية صارت ملهمة واذا بلغت شمس ملهمة
العناية وسط سماء الهداية اشرقت الارض بنور ربها وامتلاء القلب
من السكينة اليقينية وخلع على النفس خلع الطمانينة صارت مطمئنة خلع عليه البسه خلعة
محدثة مكلمة مكلمة مستعدة لجذبة ارجعى الى ربك راضية مرضية
والاثم ما حاك فى النفس اى اثر فيها ولم يستقر عندها وقد تصحف على
السيد الشريف العلامة فضبطه بالجيم وهمزة بعد الالف على انه صيغة
الماضى من المجى غفلة عن الرواية والدراية وتردد فى الصدر ولم ينشرح
للامر وان افتاك الناس عطف على مقدر اى ان لم يفتك الناس وان
افتاك الناس يعنى علماءهم كما فى رواية وان افتاك المفتون والمعنى التزم
العمل بما فى قلبك وان قالوا لك انه حق ولا تاخذ بقولهم فانه يوقعك فى
الغلط او فى اكل الشبهة كان ترى من له مال حلال وحرام فلا تاخذ منه
شيئا وان افتاك المفتى مخافة ان تاكل الحرام لان الفتوى غير التقوى
فعن عائشة قالت كان لابى بكر غلام ياكل من خراجه فجاءه يوما بشىء
فاكله ابو بكر فقال له الغلام اتدرى ما هذا فقال ابو بكر وما هو قال
كنت تكهنت لانسان فى الجاهلية وما احسن الكهانة الا انى خدعته
فلقينى فاعطانى لذلك فهذا الذى اكلته منه فادخل ابو بكر يده فى فيه
فقاء كل شىء اكله من بطنه رواه البخارى وذكر الغزالى هذا الخبر
فى الاحياء ان الصديق قال بعد استفراغه اللهم انى اعتذر اليك مما

ما حلت العروق وخالط الامعاء وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبر بذلك فقال او ما علمت ان الصديق لا يدخل في جوفه الا طيبا ثم قال
الغزالي ولا شك ان الصديق لما اخبر ان اللبن من غير وجهه لم يكن
يخفى عليه مع كونه اعلم الناس ان ما تناوله الانسان من غير علمه بانه
لا اثم عليه فيه ولا يجب في فتوى الفقه استفراغه ولكن انما فعل
ذلك لعلو رتبته وكمال صديقيته ولسر وقر في صدره عرف ذلك السر
ان فتوى العامة حديث اخر وان طريق الاخرة لا يعرفه الا الصديقون
ولذلك استفرغه وادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كادت روحه
تخرج معه لانه راه موثرا في قلبه اثرا يمنعه عن منزلته وكمال مرتبته انتهى
وفي رواية انه انفق في مدة خلافته ثمانية الاف درهم فلما حضره الموت
قال كنت قلت لعمر اني اخاف ان لا يسعني ان اكل من هذا المال فغلبني
فاذا مت فخذوا من مالي ثمانية الاف وضعوها في بيت المال وهذا في غاية
من التقوى وكهذا نزل في حقها سيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى
وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى
وقد قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم وافتوك تاكيد والمعنى بهذا الامر
ارباب البصيرة من اهل النظرة المستقيم واصحاب الفراسات من ذوي النفوس
المرتاضة فان نفوسهم ملهمة للصواب في اكثر الاحوال وقيل حمله على
عموم الايمان والتقوى اولى ولا يبعد ان يقال المعنى وان افتاك جمع بعد جمع وفيه
ايماء الى المجوزة المشيرة الى اختلاف الائمة قال شيخ مشايخنا السيد جمال
الدين وافتوك في روايتنا بالفاء والتاء المثناة من فوق ولعل ايمائي
به للتاكيد لكن اورد هذه الكلمة صاحب النهاية في باب القاف والنون
فقال

فقال وافتوك اي ارضوك ثم قال حكى ابو موسى ان الزمخشري قال ذلك | اقناه ارضاه
وان المحفوظ بالفاء والتاء من الفتيا حديث حسن كذا في الاصول المصححة
وقال ابن حجر حديث صحيح وفي نسخة حسن سيابحث مستحسن رويناه بتخيير
اي بسندنا المتصل حال كونه في مسندي الامامين اي الجليلين حديثا | مطلب
وفقها وزهدا وصلاحا احمد بن حنبل وهو ابو عبد الله الشيباني احد
الائمة الاربعة من المجتهدين والفقهاء المتبوعين في امر الدين روى عنه
البخاري ومسلم وابو داود وجماعة ولد ببغداد ومات بها يوم الجمعة في
ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين عن سبع وسبعين سنة ومسنده
عشرون مجلدا فيه اربعون الف حديث جمعه من سبعمائة الف وخمسين
الف حديث وقال جعلته حجة بيني وبين الله تعالى وقال ما اختلف المسلمون
فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا اليه فان وجدتموه
والا فليس بحجة وهذا يدل على كمال اطلاعه بالسنة الا انه رضي الله عنه لم يلتزم
الصحة في مسنده وانما اخرج فيه ما لم يجمع الناس على تركه واما قول بعضهم ان
كل ما فيه صحيح فغير صحيح الا ان يراد به انه ثابت ثم قال جماعة ان كل ما فيه اما صحيح
واما حسن والاغلب الصحة لكن الاظهر انه قد يوجد فيه ضعيف الا انه
يكون مختلفا فيه ثم مصنفوا الاحاديث منهم من رتب على مسانيد الصحابة
كاحمد والدارمي وابن ابي شيبة والبزار وابي يعلى ومنهم من رتبها
على ابواب الاحكام كالصحيحين والسنن وفي كل فائدة وحكمة عائدة والدارمي | ابواب الا
بكسر الراء وهو ابو احمد عبد الله بن عبد الرحمن التميمي السمرقندي الحافظ من
دارم روى عنه مسلم وابو داود والترمذي وابو زرعة كان امام اهل
زمنه في العلم والورع ولد سنة احدى وثمانين ومائة ومات يوم التروية

سنه خمس وخمسين ومائتين والغالب على سنده الصحة ولما بلغ البخاري
نعيه بكى واشتد ان يبق تفجع في الاحبة كلهم • وفناء نفسك لا ابا لك
تفجع • وذكر الترمذي انه سمع البخاري يحدث عنه بحديث من شيخ
جنادة وذكر ابن عدي ان النسائي حدث عنه بالحسن كذا في النسخ المصححة
وقال ابن حجر باسناد جيد وفي نسخة حسن انتهى وعلى كل تقدير ينافي
ما قدمه عن المص بانه حديث صحيح وتكلف في الجمع بينهما بل تعسف في شرحه
بما لا طائل تحته على ان حديث احمد له طريقان احدهما فيه علتان ضعف و
انقطاع وثانيهما فيها مجهول فلعله بانضمامه الى رواية الدارمي حكم المص عليه
بانه حسن او لكثرة طرقه فان احمد اخرجه من طريق اخرى عن ابي امامة قال
قال رجل يا رسول الله ما الاثم قال اذا حاك في صدرك شيء فدعه وسندها
جيد على شرط مسلم ومن طريق اخرى عن ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول
الله اخبرني ما يحل لي وما يحرم علي قال البر ما سكنت اليه النفس الحديث و
سندها جيد ايضا ويقويه ايضا ما اخرجه الطبراني عن واثلة قلت للنبي صلى
الله عليه وسلم افتني عن امر لا اسال عنه احدا بعدك قال استفت نفسك
قلت كيف لي بذلك قال تدع ما يريبك الى ما لا يريبك وان افتاك المفتون قلت
كيف قال تضع يدك على قلبك فان الفؤاد يسكن للحلال ما لا يسكن للحرام
او اراد المص بقوله حسن اولا معناه اللغوي وثانيا معناه الاصطلاحي وهذا
اولى بالاعتبار لئلا يلزم التكرار او كرره للتاكيد في حسنه حيث قيل بضعفه
ثم اعلم ان من اراد الاحتجاج بحديث من السنن كابي داود والترمذي والنسائي
وابن ماجه والموطا وغيرها مما لم يلتزموا الصحيح والحسن بل ادخلوا
فيها الضعيف ايضا امتنع عليه ان يحتج بحديث هولاء حتى ينظر في اسناده

وحال

باسناد حسن

يجوز ان يوجد الاسناد بشيء يحكم عليه فيقدمه ق

وحال رواته ان كان له قابلية بذلك او يجد اماما صحح او حسن شيئا فقلده
هنالك ثم اذا اراد المجتهد ان يستدل بحديث على مدعاه فيحكم بانه صحيح
او حسن عنده كما اقتضاه

الحديث الثامن والعشرون

عن ابي نجيح بفتح نون وكسر جيم فتحتية فمهملة العرباض بكسر العين المهملة و
بالباء الموحدة والضاد المعجمة ابن سارية بالسين المهملة والياء المثناة تحت
ذكرهما المص ووزنها جارية سلمي من اصحاب الصفة وهو احد البكائين المشتاقين
الى الله يقول في دعائه كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني اليك وكان يقول
انه رابع الاسلام وكان من الزاهدين العابدين روي انه قال لولا ان يقال
فعل ابو نجيح لانفقت مالي في سبيله ثم لحقت واديا من اودية لبنان
فعبدت الله حتى اموت وروي ان معاوية اعطى المقداد حمارا من المغنم
فقال له العرباض ما كان لك ان تاخذه وما كان له ان يعطيك كاني اراك
في النار تحمله على عنقك فرده المقداد رضي الله عنه مات بالشام سنة خمس
وسبعين وفي رواية احمد وغيره توفي حديثا قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي بعد صلوة الصبح كما في رواية وفي اخرى ذات يوم موعظة وهي
ما يوعظ به من الكلام الدال على التخويف بطريق النصيحة والتنوين للتفخيم
اي عظيمة كما يدل عليه رواية بليغة اي بلغت الينا وبالغت في تاثيرها
فينا وغلبت كما يشير اليه قوله وجلت منها القلوب بكسر الجيم اي خافت
من اجلها القلوب وحذرت من الذنوب فان الوجل خوف مع الحذر و
ذرفت قال المص بفتح الذال المعجمة والراء المهملة اي سالت منها العيون يعني
جرت بسببها الدموع من العيون لتاثير الموعظة في النفوس واستيلاء
سلطان الخشية في القلوب واخر هذا عما قبله لانه غالبا ينشأ عنه

اي على زنة جارية

وهن كوعد وورث وكرم ق

لبنان جبل بالشام سكن فيه القانعون

فهو اصله وفيه استحباب موعظة العالم اصحابه لينفعهم في دينهم ودنياهم
من العلوم ولا يقتصر لهم على معرفة الاحكام والحدود والرسوم بل يذكرهم
ويخوفهم ويشوقهم ويسوقهم الى ذكر العقبى ومحبة المولى والاعراض عن
الدنيا والمعنى ان تلك الموعظة اثرت فيهم واخذت منهم بمجامعهم بحسب
ظاهرهم وباطنهم وفي بعض روايات الترمذي ذرفت منها العيون
ووجلت منها القلوب نظرا الى الاثر الظاهر قبل المؤثر الباطن بخلاف
الرواية الاولى فان فيها التقديم السبب على المسبب والاصل على الفرع والله اعلم
فقلنا يا رسول الله كانها اي تلك الموعظة موعظة مودع بكسر الدال
المشددة اي شخص يودع اصحابه واحبابه فلا يغادر شيئا الا ذكره
في بابه فاوصنا اي ارشدنا بما فيه صلاح حالنا وفلاح مآلنا وفيه
ان للابرار والاخيار من خصائل الخير لا سيما في اخر العمر وانه يجوز الاستدلال
بالاقوال على الاحوال وانه يستحب الاسترشاد من اكابر الدين واغتنام
فرصة الاستفاضة من عظماء اليقين قال اوصيكم بتقوى الله هذا
من جوامع الكلم فان التقوى امتثال المامورات واجتناب المحذورات
وهي زاد للمعاد الذي امر باخذها جميع العباد حيث قال تعالى ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ولما كان الظاهر من التقوى
ان يكون فيما بينهم وبين الله عطف عليها بقوله والسمع والطاعة اي
فيما بينهم وبين من يلي امرهم يعني واوصيكم بقبول قول الامير وطاعته
ما امر بالمباح عادلا كان او جائرا والا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
كما ورد لانه لا يجوز محاربته فانه كما قال الحسن ما يصلح الله به اكثر مما
يفسده وان تامر بتشديد الميم اي صار اميرا عليكم عبد وفي رواية عبد

حبشي اي ادنى الخلق فلا تستنكفوا عن طاعته لئلا يؤدي الى ظهور الفساد
وتهييج الفتن بين العباد فان الصبر على ولاية من لا يجوز له الولاية اهون من
اثارة الفتنة التي لا دواء لها ولا خلاص منها وقد ذكر عليه السلام في بعض
ما روي عنه انه قال بعد جور الولاة وظلمهم فقال اسمعوا واطيعوا اما
اقاموا فيكم كتاب الله وهذا وارد على سبيل المبالغة في الامر بطاعته والنهي
عن مخالفته وعلى طريق الفرض والتقدير اذ الائمة من قريش او ان استعمله
الامام الاعظم واحل في الحديث اشعارا بما يقع في اخر الزمان تكون الخلافة
بالقسط والشوكة من غير اعتبار شروط الائمة كما في زماننا هذا فانه
لا يوجد اماما بين اهل الاسلام موصوف بما قرر في حقه من الاحكام ويؤيده
قوله وانه اي الشان وفي المصابيح والمشكوة بلفظ فانه من يعش
منكم وهو مجزوم بمن الشرطية واصله يعيش كما في نسخة فمن موصولة فسيرى
اختلافا كثيرا اي في الولاية والخلافة بسبب طلب الجاه والمال و
السين لتاكيد الاستقبال وفي اصلنا المقروء على مشايخنا فانه بالفاء
ايضا قال السيد جمال الدين الفاء في قوله فانه من يعش للسببية
جعلت ما بعدها سببا لما قبلها يعني من قبل وصيتي والتزم تقوى
الله وقبل طاعة من ولي عليه ولم يهيج الفتن امن بعدي من الاختلاف
الكثير يعني الذي وقع بين الصحابة والتابعين وهلم جرا الى هذا الحين
فعليكم اسم فعل اي الزموا واستمسكوا بسنتي وهي ما وضعه صلى الله
عليه وسلم وجوبا او ندبا من احكام الدين وسنة خلفاء الراشدين
اي الهادين المهديين بفتح الميم وتشديد التحتية الاولى اي المهتدين
الذين هداهم الله الى طريق الصواب والهمهم اتباع مناهج اولي

الألباب وجمع بينهما لان الشخص اذا لم يكن مهتديا في نفسه لم يصلح
ان يكون هاديا لغيره وهم الصديق والفاروق وذو النورين والمرتضى
رضي الله عنهم اجمعين وذلك لانهم لما كانوا افضل الصحابة وواظبوا
على استمطار الرحمة من الصحابة وخصهم الله بالمراتب العلية والمناقب
السنية ووطنوا انفسهم على مشاق الاسفار ومجاهدة القتال مع الكفار
انعم الله عليهم بمنصب الخلافة العظمى والتصدي الى رياسة الكبرى
لاشاعة احكام الدين واعلاء اعلام الشرع المبين رفعا لدرجاتهم وازديادا
لمثوباتهم فلو لم يقع الخلافة على الترتيب المذكور لما فاز وا كلهم بالمنصب المذكور
ولا يخفى ان هذا من معجزته الدالة على ثبوت نبوته لانه استبد بذكر هذا
الغيب وقال الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا ووقع كما
قال عليه السلام قال التوربشتي واما ذكر سنتهم في مقابلة سنته لانه
علم انهم لا يخطئون فيما يستخرجون من كتابه وسنته او ان بعضها ما اشتهر
الا في زمانهم وليس المراد انتفاء الخلافة عن غيرهم حتى ينافي قوله صلى الله عليه
وسلم يكون في امتي اثنا عشر خليفه بل المراد تصويب رايهم وتفخيم امرهم وتفضيلهم
على غيرهم وقيل الخلفاء يشملهم ومن سار سيرهم واقتفى اثرهم في استخراج
الاحكام واذاعة الحق بين الانام وقال العلماء يقدم ما اجمع عليه الاربعة
ثم ما اتفق عليه الشيخان لقوله عليه السلام اقتدوا باللذين من بعدي
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وله معنيان احدهما التقليد لمن عجز عن النظر و
ثانيهما الترجيح لما ذهبوا اليه عند اختلاف الصحابة في الامر وقيل هذا في حق
المقلد في تلك الازمنة القريبة من زمان الصحابة واما في زماننا فلا
يجوز تقليد غير الائمة الاربعة ابو حنيفه ومالك والشافعي واحمد رضي الله
عنهم

عنهم اجمعين لان هؤلاء عرفت قواعد مذاهبهم واستقرت احكامها في
كتبهم لان اتباعهم حرروها فرعا فرعا فعز ان يوجد حكم الا وهو منصوص لهم
اجمالا او تفصيلا بخلاف غيرهم فان مذاهبهم لم تحرر فلا يعرف لها قواعد يخرج
عليها احكامها فلم يجز تقليدهم فيما حفظ منها لانه قد يكون مشروطا بشروط
اخرى وكلوها الى فهمها من قواعدهم فيها عضوا بفتح فتشديد امر من عض
يعض اذا اخذ شيئا بالعض ومنه قوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه هذا
ومن غريب ما وقع في زماننا ان بعض المحدثين او المحدثين المعروف بالمهيشي
ظنا منه انه اعلم المحدثين بل وهما انه المجتهد المطلق في الدين روى الحديث
بضم العين فاوردنا عليه الاية والقواعد العربية في قضية ما خذ الامرية
مع اتفاق ائمة اللغة على الفتحة العينية فاجاب بانه انما عدلنا عن الفتحة
الى الضمة ليرتفع شبهة المشابهة بالصيغة الماضوية فدفعناه بورود مد
مدا مدوا بصيغة الامر والماضي المجهول على اشتراك الضمة بناء على اعتبار
القرينة الحالية او المقالية فتحقق بهذا خلو هذا المدعى عن مناقب الرواية
ومراتب الدراية فما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى بل يدخل بناء على هذا المبنى
في قوله عليه السلام من كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار عليها اي
على السنة بالنواجذ جمع ناجذة بالذال المعجمة وهي اربعة من اواخر الاضراس
وقد لا توجد لبعض الناس ويسمى ضرس الحلم لانه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل
وقال المص هو بالذال المعجمة وهو الانياب وقيل الاضراس انتهى والقصد
المبالغة في شدة التمسك بها او الجد في لزومها كفعل من امسك شيئا بيديه
ثم يستعين باسنانه عليه استظهارا للمحافظة لديه ويحتمل ان يكون
كناية عن الصبر على ما يصيبه من المشقة في المحافظة على السنة كما روى

انه من سليمان وانه
بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر

الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على
دينه كالقابض على الجمر واياكم ومحدثات الامور عطف على قوله فعليكم
للتاكيد والتأييد قال ابن الملك في وكلاهما منصوب بفعل مضمر والتقدير اياكم
باعدوا واتقوا المحدثات الامور والاظهر ان يقال بعدوا انفسكم عن المحدثات
وبعدوها عن انفسكم كما قرر في قولهم اياك والاسد والمعنى اتقوها ولا
تقربوها فضلا عن ان تحدثوها فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
قال الامام البدعة ما عمل على غير مثال سبق انتهى وهو تعريف لها بحسب اللغة
واما في الشريعة فما احدث على خلاف الكتاب والسنة واجماع الامة وقيل الحادث
ما لم يكن في عهد النبوة وقيل البدعة زيادة في الدين قربة كانت او معصية فالمراد
كل بدعة سيئة محرمة او مكروهة ضلالة لان المص قال في شرح مسلم هذا
عام مخصوص لان البدع خمسة انواع واجبة كعلم النحو واصول الفقه والكلام
ومحرمة كمذاهب المرجئة والمجسمة ومندوبة كاحداث المدارس والكلام
في دقائق التصوف ومكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف
ومباحة كالمصافحة عقيب الصبح والعصر انتهى ولا يخفى ان البدع الواجبة
وهي الاشتغال بالعلوم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة كالصرف
والنحو واللغة واصول الحديث والفقه والرد على المبتدعة انما هي على الكفاية
لحفظ الشريعة واما تزيين المساجد والمصاحف فاختلف في كراهته عندنا
والمصافحة بعد الصلوة مطلقا مكروه عندنا وقد صرح ابن عبد السلام
بان المصافحة عقيب العصر والصبح مكروهة لكن قيدها المص بما اذا صافح من
هو معه قبلها اما من ليس معه قبلها فمصافحته مندوبة لانها عند اللقا سنة
اجماعا وكونه خصصها ببعض الاحوال وفرط في اكثرها لا يخرج ذلك البعض
عن كونها

مطلب

التزويق التزيين وكذا الزخرفة التزيين

مطلب في المصافحة عقيب الصبح والعصر

عن كونها مشروعة فيه انتهى ولعل وجه اطلاق ابن عبد السلام ان الغالب
كون مصافحتهم بعد ملاقاتهم ولانهم يعدون هذه المصافحة من سنن الفراغ
من الصلوة ولا ينظرون الى مصلحة الملاقاة ولهذا يصافحون بعدها ويكتفون
بها عن التسليم معها قال ابن حجر ومن المباحة التوسع في لذائذ المآكل والمشارب
والملابس وتوسيع الاكمام ثم قال وقد يختلف العلماء في ذلك فيجعله بعضهم مكروها
وبعضهم سنة انتهى وقد ينسب ذلك الى المص ايضا لكن لا يخفى ان القول
بالسنية بعيد عن الطريقة السنية بل تطويل الذيول والاكمام فان كان
للخيلاء والافتخار فحرام والا فمكروه بلا كلام لمخالفته الاحاديث الواردة
في هذا المقام ولو اجري الحديث على عمومه لم يبعد فالمعنى كل ما لا يرجع الى
اصل ديني ولا يساعده دليل شرعي فهو ضلالة فيطابق حديث من احدث
في امرنا ما ليس منه فهو رد وقد روى البيهقي عن الشافعي انه قال المحدثات
من الامور ضربان احدهما ما يخالف كتابا او سنة او اثرا او اجماعا فهذه
البدعة الضلالة والثاني ما احدث من الخير لا خلاف فيه فهذه محدثة
غير مذمومة وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر رمضان نعمت البدعة
هذه انتهى والاضبط ان يقال كل بدعة تزاحم سنة فهي سيئة
وكل ما تساعدها فهي حسنة كالنية اللسانية في العبادات فانها بدعة
الا انها مستحسنة لانها تستحضر النية القلبية وتقويها و
كجماعة التراويح فانها توافق صلاته عليه السلام اولا ثم تركها مخافة
ان يفرض على امته ولم يقوموا بحقها فهي بدعة بالنسبة الى ما تركه
عليه السلام وسنة باعتبار اصلها وكونها من سنة احد الخلفاء الراشدين
ولذا قال فقهاؤنا انها سنة مؤكدة ومن شعائر الدين وبهذا يظهر

مطلب

وجه تسمية المبتدعة لان قواعدهم كلها مزاحمة للسنة ابتدعوها وقد
قيل لاهل الحق انهم اهل السنة فانهم ابتغوها ثم اعلم ان اصول البدع كما نقل
في المواقف سبعة المعتزلة القائلة بان العباد خالقوا اعمالهم ونفي
روية الله سبحانه وبوجوب الثواب والعقاب عليه عز وجل وهم عشرون
فرقة والشيعة المفرطة في محبة علي رضي الله عنه وهم اثنان وعشرون
فرقة والخوارج المفرطة في بغضه المكفرة له ومن اذنب كبيرة وهم عشرون
فرقة والمرجئة القائلة بانه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع
الكفر طاعة وهي خمس فرق والنجارية الموافقة لاهل السنة في خلق الافعال
والمعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق والجبرية القائلة
بسلب الاختيار عن العباد فرقة واحدة والمشبهة الذين شبهون
الحق بالخلق في الجسم والحلول فرقة ايضا فتلك اثنان وسبعون
فرقة كلهم في النار والفرقة الناجية هم اهل السنة البيضاء المحمدية
والطريقة السمحاء الاحمدية ولها ظاهر سمي بالشريعة شرعة للعامة
وباطن وسم بالطريقة منهاجا للخاصة وخلاصة خصت باسم الحقيقة
معراجا للاخص الخاصة فالاول نصيب الابدان من الخدمة والثاني
نصيب القلوب من العلم والمعرفة والحكمة والثالث نصيب الارواح
من المكاشفة والمشاهدة قال القشيري الشريعة امر بالتزام العبودية
والحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شريعة غير مويدة بالحقيقة
فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول
فالشريعة قيام بما امر والحقيقة لما قضي وقدر واخفي واظهر
والشريعة حقيقة من حيث انها وجبت بامره والحقيقة ايضا

السمحة الملة التي ليس فيها ضيق

الشرعة الطريق الواسعة الواضحة

شريعة

شريعة من حيث ان المعارف به سبحانه وجبت بامره رواه ابو داود
وهو الامام ابو سليمن بن الاشعث السجستاني كان من فرسان الحديث
قيل الين لابي داود الحديث كما الين لداود عليه السلام الحديد ولد سنة اثنتين
ومائتين وتوفي بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين والترمذي سبق ذكره
وقال اي الترمذي حديث اي هذا حديث حسن صحيح ومر وجه جمعهما
وجمعهما هو الموجود في الاصول المعتمدة وفي شرح ابن حجر حديث حسن وفي نسخة
حسن صحيح هكذا هو في كتاب الاربعين [illegible] انتهى ورواه احمد وابن ماجه
وابو نعيم وقال حديث جيد من طريق الشاميين هذا ولفظ ابي داود
قال صلى بنا ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها
العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كان هذا موعظة
موعظة مودع فماذا تعهد الينا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة
وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا
عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل
بدعة ضلالة ولفظ الترمذي نحو هذا لكن بعد صلوة الغدوة
وفيه وان عبد حبشي وفيه واياكم ومحدثات الامور فانها ضلالة فمن
ادرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ وفي بعض الطرق ان هذه موعظة مودع
فما تعهد الينا قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها فلا يزيغ عنها
الا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من
سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ

وفى بعضها فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار
اى صاحبها من فاعل ومتبع لها وزاد ابن ماجة اخر الحديث فانما المؤمن
كالجمل الانف حيث ما قيد انقاد وقيل هذه الزيادة مدرجة وبهذا يتبين
ان المص رحمه الله ما اتى بلفظ ابى داود ولا بلفظ الترمذى كما لا ولا
جمع بينهما اجمالا ولعله اطلع على رواية لاحدهما وفق ماذكره عنهما **الحديث**
التاسع والعشرون عن معاذ اى ابن جبل كما فى نسخة
رضى الله عنه قال قلت صدر الحديث قال بينما نحن نخرج مع رسول
الله صلى الله صلى الله فى غزوة تبوك وقد اصابنا الحر وتفرق القوم فاذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقربهم منى فدنوت منه وقلت يا رسول الله اخبرنى
بعمل اى قليل وجليل ومعتبر فى الشرع جميل فلا يرد ماذكره المظهر من انه اذا
جعل يدخلنى جوابا للامر يبقى بعمل نكرة غير موصوفة وهى لا تفيد يدخلنى الجنة
بالرفع على انه صفة عمل اما مخصصة او مادحة او كاشفة فان العمل اذا لم
يكن بهذه الحيثية كانه لا عمل فى الحقيقة وقيل بالجزم على انه جواب الامر اى
اخبرنى بعمل ان تخبرنى به يدخلنى الجنة يعنى ان الخبر وسيلة للعمل
والعمل ذريعة للادخال وعلى كل تقدير اسناد الادخال الى العمل اسناد الى السبب
او شبه العمل لكونه سببا للمطلوب بالفاعل الحقيقى ولا يبعد ان يكون التقدير
يدخلنى الله به الجنة قال السيد جمال الدين الرواية الصحيحة المشهورة
فيه يدخلنى بالرفع على انه صفة لقوله بعمل ولا يحسن الجزم على جواب الامر
اذ ليس الاخبار سببا لادخال الجنة وقد وجه الجزم على تقدير صحة الرواية
به بانه جزاء لشرط محذوف تقديره اخبرنى بعمل ان عملته يدخلنى الجنة
والجملة الشرطية باسرها صفة لعمل او جواب للامر وتقريره ان اخباره

صح

انف البعير اشتكى انفه من البرة ف حلمه

صلى الله عليه وسلم لما كان وسيلة الى عمله وعمله ذريعة الى دخول الجنة
كان الاخبار سببا فى الجملة فعلى هذا يكون الترتيب من باب اقامة السبب
الذى هو الاخبار مقام المسبب الذى هو العمل لان العمل هو السبب
ظاهرا لا الاخبار لان الاخبار انما يكون سببا للمخاطب اذا كان المخاطب
مؤمنا معتقدا موافقا كقوله تعالى قل لعبادى الذين امنوا يقيموا الصلوة
قال ابن الحاجب يقيموا جواب قل اى قل لعبادى يقيموا وما اعترض عليه
من ان الاقامة ليست لازمة للقول ليس بشئ لان الجواب لا يقتضى
الملازمة العقلية وانما يقتضى الغلبة وذلك حاصل فان امر الشارع
صلى الله عليه وسلم للمؤمنين باقامة الصلوة يقتضى اقامة الصلوة منهم
غالبا وباعدنى من النار اى ويبعدنى منها واخرج على صيغة المبالغة
للمبالغة فى البعد ثم القصد بدخول الجنة من غير سابقة عقوبة فالواو
لمطلق الجمعية ولعل تقديم الدخول للاهتمام بحصول الوصول وللايماء
الى غلبة الرجاء بناء على الحديث القدسى والكلام الانسى سبقت رحمتى
غضبى هذا وفى كلام اهل التحقيق ان الجنة جنة الوصول الى معرفة ذات الله
وصفاته وافعاله ومصنوعاته من الملائكة الكروبيه والروحانيه و
طبقات الارواح العلويه وعالم السموت وما فيها من الانوار الملكوتية
والاسرار الجبروتيه بحيث يصير روح السالك كالمراة المحاذية لعالم القدس
وحظيرة الانس واشجارها الملكات الحميدة والاخلاق السعيدة وثمراتها
المكاشفات والمشاهدات والاشارات وغيرها من المواهب اللدنية
والمراتب العندية ومن رضى بالجنة الحسية فهو ابله ومن اعرض عن الحق
واشتغل بالخلق وانتقل من روح المحبة والقربة الى سياسة القهر والبعد

اى هو مجزوم باضمار ان الشرطية بعد الامر والمعنى قل لعبادى الذين امنوا اقيموا الصلوة فانك ان تقل لهم اقيموا يقيموا سعد الله
حاشيه سعد الدين

والحق انه جواب الامر
سعد الدين شرح زنجانى

الحظيرة المحيط بالشئ

والطرد والحط عن الجهة العلوية الى عالم النار المعنوية يعذب بنار الروحانية
نشات من استيلا صفات القهر الالهية فيكون اشد وادوم ايلاما من
النار الجسمانية لان حرارتها تابعة لنار روحانية ملكوتية هي سر من نار
غضب الله بعد تنزلها في مراتب كثيرة كتنزلها في مرتبة النفس بصورة
الغضب وهي غير متناهية وهذا معنى ما يقال ان نار جهنم غسلت بالماء
سبعين مرة ثم انزلت الى الدنيا ليمكن الانتفاع بها قال المفسر سالت وفي
نسخة لقد سالتني عن عظيم اي شي عظيم وامر فخيم او عن عمل عظيم لتطابق
السابق واللاحق او عن عمل عسير لقوله وانه ليسير اي هين على من يسره الله
تعالى عليه اي سهله لديه بالتوفيق له على اكتساب الاوامر واجتناب
الزواجر تعبد الله استينا في وقع بيانا لذلك الامر الخطر او العسر الذي
مع التوفيق يسير وهو خبر معناه او وعد لعن صيغته تنبيها على ان المامور
كانه متسارع الى امتثال الامر وهو يخبر عنه اظهار للرغبة واشعار للرهبة
او التقدير هو ان تعبد الله ثم حذف ان ورجع الفعل الى رفعه بناء على اصله
كما ورد في محله والمراد بالعبادة التوحيد لقوله ولا تشرك به شيئا التاكيد
او الاعم منه ليعم امتثال كل مامور واجتناب كل محذور والضمير في به اما
ان يعود الى الله او الى العبادة والثاني اعلى لانه اذا لم يشرك في العبادة فلان
لا يشرك بالله اولى وفي بعض النسخ لا تشرك بالله شيئا فالجملة حالية
ثم شيئا يحتمل المصدرية والمفعولية اي شيئا من الشرك جليا او
خفيا او شيئا من الاشياء لقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والعبادة هي الغاية القصوى من ابداع
الخلق وارسال رسل الحق كما يشير اليه قوله تعالى وما خلقت الجن والانس

الا

الا ليعبدون ولما كانت العبادة متوقفة على المعرفة او منتجة لها قال ابن
عباس اي ليعرفون وفي الحديث القدسي كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت
الخلق لكي اعرف وايضا اذا فسر العبادة بالمعرفة استقام الحصر في الاية فكلما ازداد
عبودية ولا ينفك العبد عن العبادة ما دام حيا لقوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك
اليقين اي الموت باتفاق المفسرين لكن في البرزخ عليه عبودية اخرى حين سالة
الملكان عن ربه ودينه ونبيه وفي القيمة ثم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود
واذا دخل الجنة كانت عبوديته التسبيح والتحميد مقرونا بانفاسه على
وجه التابيد قال تعالى دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام و
اخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا
لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا
يمسنا فيها لغوب والحاصل انها ليست بدار تكليف بل دار تشريف وفي كلام
الصوفية ان العبادة حفظ الحدود والوفاء بالعهود وقطع العلائق
ودفع العوائق والفناء عن مطالعة الخلق الى مشاهدة الحق وله ثلاث
مراتب لانه اما ان يعبده رهبة من العقاب ورغبة في الثواب وهو المسمى
بالعبادة وهذه لمن له علم اليقين او يعبده تشرفا بعبادته وتلذذا بطاعته
وتسمى بالعبودية وهذا لمن له عين اليقين او يعبده لكونه الها وكونه
عبدا والالوهية توجب العبودية وتسمى بالعبودة وهذا لمن له حق
اليقين والشرك رؤية ضر او نفع او عطاء او منع ممن سواه واثبات
وجود غير الله ذاتا وصفة وفعلا لا الغفلة عن الله وخطور ما عداه
كما قال العارف ابن الفارض ولو خطرت لي في سواك ارادة على خاطري

عن ساق اي امر فظيع شديد معالم

سهوا حكمت بردى ويقيم الصلوة اى المكتوبة من باب عطف الخاص
على العام ان عمم العبادة تنبيها على انافتها وشرافة ما بعدها من قوله
وتوتى الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت فيعلم ان دخول الجنة
بطريق الاولوية يتوقف على تلك الاعمال الجلية وامثالها من
الاحوال الوصية وهذا الحكم يعم كل مؤمن وان تخص معاذ بالخطاب
لان العبرة بعموم الالفاظ لا بخصوص الاسباب ثم قال اى بعد ذكر الفرائض
المذكورة وامثالها تنبيها على تادية النوافل الاتية لاكمالها الا ادلك
همزة الانكار دخلت على فعل منفى ليفيد تحقيق الاخبار اى لا تنبغى لى
مع اخبر بشد مكمل لغرضى الا ادلك على ابواب الخير اى الطرق الموصلة
اليه وفيه التشويق الى ما سنذكر قبل ذكره ليكون اوقع فى النفس حال الحضور
شبه الخير بدار فيها كل ما تتمناه النفس وتهواه والمراد انواعه من جنس
عبادة مولاه فان الصوم والصدقة والتهجد شديد على النفس غاية
الشدة فمن اعتادها سهل عليه كل صنف من العبادة لان الاعمال
اما بدنية او مالية فالصدقة طاعة مالية والصوم وصلوة الليل
عبادة بدنية نهارية وليلية ولا يبعد ان يكون الاستفهام للاستعلام
وانما لم يتوقف صلى الله عليه وسلم حتى يقول معاذ بلى كما فى السوالين
الاتيين تنبيها على انه لا ينبغى ان ينتظر بتصديقه اهتماما واعتبارا
بمضمون تحقيقه وفى رواية ابن ماجه الا دللتك على ابواب الجنة
الصوم يعنى وهى الصوم والصدقة والصلوة فى الليل واراد به
صوم النفل لتقدم الفرض الا انه وصف بوصف يعمه وغيره او
يعرف بالاولى فان اللام تدل على المضاف اليه او للعهد الخارجى

جنة

جنة بضم الجيم اى سترة من سورة الشهوة فى الدنيا ووقاية من النار
فى العقبى كالترس فمن كان الصوم جنته لم يستطرق الشياطين فى
قلبه عن جنته وبعد ازالة ظلماتهم يرى بنور الغيب خزائن لطائف حكم الصفات
فيستتر بانوارها عن جميع المخالفات والافات والصدقة اى النافلة
تطفئ الخطيئة اى تمحو اثرها وتذهب لهبها اذا كانت صغيرة متعلقة بحق
الله تعالى واما اذا كانت من حقوق العباد فيدفع تلك الحسنة الى خصمه عوضا
عن المظلمة واستعير الاطفاء لمحو الخطيئة بقرينة قوله كما يطفئ الماء ما مصدرية
اى اطفاء مثل اطفاء الماء النار لتنافى اثارهما بايجاد الله فيهما اذ الاشياء
لا تعمل لطبعها فلا الماء يروى ولا الخبز يشبع ولا النار تحرق ولا الماء
يغرق والحديث مستفاد من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات الا
ان من القواعد المقررة ان الامور المكفرة انما هى للصغيرة من حقوق الله
واما الكبيرة فلا بد لها من التوبة لشروطها واما الحقوق المتعلقة بالعباد
فلا بد من ارضائهم بعد التوبة وصلوة الرجل اى الكامل فى الرجولية ومن فى
معناه من الاناث اذا كانت فى مقام العبودية قال تعالى وكانت من القانتين
فى جوف الليل كذا فى اصلنا المقروء على المشايخ المعتبرة وفى بعض النسخ من
جوف الليل وادعى الكاذرونى انه الرواية فيكون من ابتدائية او تبعيضية
او مرادفة ظرفية كما فى قوله تعالى اورونى ماذا خلقوا من الارض واطلاق
الجوف مجاز والمراد وسطه او اخره او اثناؤه فيشتمل اوله فيعم صلوة
الاوابين والمتهجدين ويحصل فضل قيامه بصلوة ركعتين لخبر من قام
من الليل فقد حصل شاة كتب من قوام الليل وافضل اجزائه ما ورد عنه صلى
الله عليه وسلم افضل الصلوة صلوة احى ذا ود كان ينام نصف الليل ويقوم

مطلب

ثلثه وينام سدسه وهو الذى واظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم
والمعنى ان صلوة الرجل فى الليل من ابواب الخير او تدخل الجنة وتبعد النار
او كذلك يطفئ الخطيئة قال البيضاوى وهو الاظهر وقال الطيبى
الاولى ان يقدر الخبر شعار الصالحين كما فى جامع الاصول وفيه انه لا قرينة
لهذا المقدر بخلاف ما سبق فقدر وقيل الاولى ان يقال حذف الخبر منه
اشعارا بان لها فضلا كثيرا واجرا غزيرا لا يكتنه كنهه ولا يمكن التعبير
عنه اى صلوة الرجل فى جوف الليل لا تعلم نفس ما اخفى لها ولهذا استشهد
بالاية فى حقها كما قال الراوى ثم تلا اى قرا النبى صلى الله عليه وسلم تتجافى
جنوبهم قال الراوى حتى بلغ يعملون اختصارا اى تتنحى وتتباعد وفى
اسناد الفعل الى الجنوب نكتة لطيفة لا يخفى اذ الاصل يقومون عن
النوم ويبعدون جنوبهم عن المضاجع اى المفارش يدعون ربهم اى
يعبدونه او يطلبونه خوفا من سخطه وطمعا من رحمته ومما رزقناهم
ينفقون فى سبيل مرضاته فلا تعلم نفس لا ملك مقرب ولا نبى مرسل
ما اخفى لهم من قرة اعين مما تقر به اعينهم سرورا من الثواب وقرا
حمزة اخفى بصيغة المتكلم وفى الحديث القدسى كما فى الصحيحين
اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين
ثم قيل هذا كناية عن الصلوة بين المغرب والعشاء وقيل عن صلوة العشاء
والصبح بجماعة والجمهور على ان المراد بها صلوة التهجد وهو الصلوة بعد
القيام من النوم كما يشير اليه قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع ولانه
وقت اخفاء العمل المرتب عليه اخفاء الامل كما قال تعالى بما كانوا يعملون

اى جزوا جزاء وفاقا وقد جاء فى الخبر ان الله يباهى الملائكة بقوام الليل
فى الظلام يقول انظروا الى عبادى فقد قاموا فى ظلم الليل حيث لا يراهم احد
غيرى اشهدكم انى قد ابحتهم دار كرامتى هذا وقدم الصلوة على الزكوة
والصوم اولا وعكس ثانيا لان الاول مسوق لبيان امر الدين فقدم الاهم فالاهم
والثانى لتكميل فالترقى اولى وفيه ايماء الى ان ذلك التدلى هو جب لهذا الترقى
ثم اعلم ان ترك قيام الليل مكروه ففى الصحيح عن ابن مسعود قال ذكر عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجل نام حتى اصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان
فى اذنيه او قال فى اذنه ثم قال الا اخبرك برأس الامر اى الذى سالت عنه
او باصل امر الدين واساسه المحكم المبين وعموده اى عماده المتين المعين
على تحصيل مقام اليقين وذروة سنامه بكسر الذال وضمها اى اعلاه
قاله الحص وهو موافق لما فى القاموس وشروح الشاطبية وكان قياس
امثاله من مجذوة واسوة وقدوة ان يجوز فيها ايضا والسنام بفتح
اوله ما ارتفع من ظهر الجمل قرب عنقه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر
الاسلام وهو الاقرار بكلمتى الشهادة الذى عليه مدار الاحكام وهو
من باب تشبيه المقلوب مبالغة فى تحقيق المرام اذ المقصود تشبيه
الاسلام برأس الامر ليشعر بانه من سائر الاعمال بمنزلة الرأس من اعضاء
الجسد فى احتياجه اليه وعدم بقائه دونه او لانه الطرف الاعلى او لانه
رئيس الاعضاء وفيه ايماء الى ان الايمان بمنزلة الروح والجنان وعموده
اى ما يقوم به الدين ويرتفع به اساس اليقين كعمود الخيمة وهو الخشب
وهو الخشب الذى عليه مدار اعتمادها الصلوة وروى البيهقى عن
عمر مرفوعا الصلوة عماد الدين وزاد الفقيه ابو الليث السمرقندى

فمن اقامها فقد اقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ولانها ام العبادات
وناهية السيئات وذروة سنامه الجهاد لانه به رفعة العباد وسلامة
البلاد من ملامة الفساد والحاصل ان العبد ما لم يقر بكلمتي الشهادة لم
يكن له شئ اصلا من اثار السعادة واذا اقر بهما حصل له اصل الدين الا
انه ليس له كمال وقوة في اليقين كالبيت الذى ليس له العمود المتين
فاذا صلى وداوم على صلاته قوى دينه في حد ذاته ولكن ليس له رفعة
وكمال في صفاته فاذا جاهد حصل له الرفعة في حالاته والعزة في مقاماته
وقد روى ابو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايعتم
بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله
عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم وهذا من فروض الكفاية والصلوة
من فروض الاعيان والاسلام اظهار الايمان فما احسن هذا الترتيب في
معرض البيان ثم الجهاد انواع منها الجهاد مع الكفار ليكون الدين كله لله
الواحد القهار ومنها جهاد النفس بحملها على اتباع الاحكام والمواظبة على
شرائع الاسلام ولاندراج الاول في الثاني بحكم الاغلب لا الاكثر ورد في الخبر
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ولان النفس اعدى عدوك التي
بين جنبيك وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من
الكفار وليجدوا فيكم غلظة ولان العدو الخارجي يتصور قتله وهذا
العدو الداخلي لا يمكن دفعه ولا رفعه ولان الجهاد مع الكفار يكون
في بعض الاوقات ومعها دائما في كل الحالات ومن جميع الجهات ومنها
جهاد القلب بتصفيته عن الاوزار وقطع تعلقه عن الاغيار ومنها
جهاد الروح وهو بافناء الوجود واستغراقه في بحر وجود الواحد القهار

بيع العينة بالكسر ان يبيع
منه سلعة بثمن الى اجل
ثم يشتريها منه باجل
منه

ربا قبل

عين التاجر باع سلعته
بثمن الى اجل ثم اشتريها
منه باقل ق

ثم اعلم ان متن الاربعين على ما في النسخ المعتبرة والشروح المشتهرة وفق
ما قررنه في ضمن ما حررته وقد سقط من اصل الفاكهاني ومن تبعه
مع احتمال انه من سهو الكتاب او من صاحب الكتاب واعتمد عليه ابن حجر و
اعترض على المص بانه غفلة منه في كلامه وكان انتقل نظره من سنامه الى
سنامه او قلد فيه الحافظ ابن الصلاح فانه لما ذكر الاحاديث التي قيل
انها اصول الاسلام ذكر هذا الحديث في جملتها بالاسقاط المذكور لكن
له عذر لان ابن ماجه ذكره كذلك فلا اعتراض عليه هنالك لانه
لم يلتزم رواية شخص بخصوصها بخلاف المص فانه انما ساق لفظ الترمذي
كما سيذكره ويقع في بعض نسخ المتن ذكر ذلك الاسقاط فيحتمل ان المص
تنبه له بعد فالحقه ويحتمل انه من جعل بعض تلامذته او غيرهم اه
وما جوز ان الغلط منه او ممن نقله عنه مع انه انسب الى مقام الادب
اقرب واى مانع من ان يكون للترمذي روايتان احديهما موافقة لرواية
ابن ماجه مع ان قوله سقط منه ما لا يتم الكلام بدونه ومع ذلك لم
يتنبه له اكثر الشراح ممنوع لما قدمنا من رواية المتون والشروح و
لما اقر بنفسه ان رواية ابن ماجه هكذا فدل على انه يتم المرام بدون
ذلك الكلام وهو انه عليه السلام اراد براس الامر وعموده وسنامه
كلها الجهاد ولهذا قال بعض الشراح الجهاد بالقتال لا يقاومه شئ من
الاعمال ولعله اراد بها الفروض الكفاية والا فقد ورد انه يوزن مداد
العلماء ودم الشهداء يوم القيمة فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء
ومن المعلوم ان اعلى ما في الشهيد دمه وادنى ما في العالم مداده و
لهذا قال الشافعي طلب العلم افضل من صلوة النافلة مع ان الصلوة افضل

مطلب

العبادات عنده وروى مرفوعا ما جميع اعمال البر فى الجهاد الا كنفطة
فى بحر وما جميع اعمال البر والجهاد فى طلب العلم الا كنفطة فى بحر وقال ابن
هبيرة فى كتابه اجماع الائمة الاربعة اختلفوا فى افضل الاعمال بعد الفرائض
فقال الشافعى الصلوة افضل الاعمال البدنيه وقال احمد لا اعلم بعد الفرائض
افضل من الجهاد واما مالك وابو حنيفه فمذهبهما انه لا شئ بعد فروض
الاعيان من اعمال البر افضل من العلم ثم الجهاد ثم قال اى النبى عليه السلام بعد
تكميله جوامع الارشاد وتمهيده قواعد الاعتقاد فذلكة فى ضمن كلام فذلك حسابه اذا اجمل
جامع تتميما للمراد الا اخبرك بملاك ذلك وهو ما به احكام الشئ وقوامه اذا اجمل
الذى يملك به ويعتمد عليه فى امره واهل اللغة يكسرون الميم ويفتحونها
لكن الرواية بكسرها والاشارة الى ما ذكر واكده بقوله كله لئلا يظن
خلاف الشمول والمعنى بما يقوم به تلك العبادات باسرها وقال المظهر ملاك
الشئ بكسر الميم اى مقصوده وقال ابن حجر وقال بفتح الميم وكسرها اعتمادا
على اللغة والدراية لا استنادا بما ثبت فى الرواية قلت بلى يا رسول الله
فاخذ اى النبى عليه السلام بلسانه لقلة مقاصده وكثرة مفاسده
ولذا ورد من صمت نجا والباء لتضمين معنى التعلق او زائدة لتاكيد التعدية
والمعنى امسك لسان نفسه وقيل لسان معاذ وقال وفى نسخة فقال
وفى اخرى ثم قال وفى بعضها بدون العاطف لكن الرواية على الاول كف
عليك هذا بضم الكاف وتشديد الفاء المفتوحة على انه امر ويجوز ضمها
وكسرها بحسب اللغة ووضع على موضع عن فانها تاتى بمعنى المجاوزة كقول
القائل اذا رضيت على بنو قشير اى امسك عنك اذى هذا اللسان او ضمن
كف معنى احبس اى احبس عليك لسانك والزم شانك فى الحكمة لسانك

اسد كره

اسد ان اطلقته فرسك وان امسكته حرسك وكان الصديق
رضى الله عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذى اوردنى الموارد ويقول
ليتنى كنت اخرس الا عن ذكر الله وقيل المعنى امنع لسانك عن الشر فلا تتكلم الا
بالخير فان من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن
غلب لغطه كثر غلطه او لا تتكلم بما يهجس فى نفسك ويخطر ببالك هجس هجس خطر بباله
من الوساوس النفسانية والهواجس الشيطانية فانك غير ماخوذ اللغط الصوت
به ما لم يظهره لما روى ان الله تجاوز عن امتى ما وسوست به صدورها
ما لم تعمل او تتكلم ولا تتفوه بما ستره الله عليك فان التوبة عنه ارجى
قبولا والعفو عنه اقرب وقوعا وفى عدم الاكتفاء بالقول واخذ اللسان باليد
والاشارة اليه بهذا دون اسمه تنبيه على ان امر اللسان صعب الشان
فى صحف ابرهيم عليه السلام ينبغى للعاقل ان يكون مقبلا على شانه حافظا
للسانه عارفا باهل زمانه وافات اللسان كثيرة فمن اراد الاستيفاء
فعليه بكتاب الاحياء قلت يا نبى الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم على قولك اما
لمؤاخذون بالهمز ويبدل اى معاقبون او معاتبون بما نتكلم به اى بجميع
ما نتكلم به اذ يبعد ان يكون الراوى لم يعلم تحقق المؤاخذة بالكذب
والغيبة والبهتان والنميمة وسائر العصيان المتعلقة باللسان والاستفهام
المقدر للاستيثاق والتعجب والاستغراب فقال ثكلتك امك
بكسر الكاف الاولى وفى نسخة زيادة يا معاذ واصل الثكل فقدان المراة
ولدها كانه دعاء عليه بالموت بسوء ظنه فى قوله والموت يعم كل احد له
الفناء فاذن الدعاء به كلا دعاء او اراد انك اذا كنت هكذا فالموت
خير لك لئلا تزداد سوءا فى عملك طول اجلك والاظهر ان ظاهره الدعاء

بالموت لكنه غير مراد بل هذا مما جرت به عادة العرب في موضع الحث
للتحريض على التيقظ في مقام الادب او لاستعظام شيء من المرام بحسب
مقتضى المقام او المعنى فقدتك امك لفقدك ادراك المواخذة بذلك
مع ظهورها هنالك وهل يكب الناس بفتح الياء وضم الكاف على ما قاله المظهر
والاستفهام للانكار اي ما يلقي اكثرهم في النار والواو لمجرد الربط بين
الجملتين او هو للعطف على مقدر اي هل تظن غير ما قلت وهل يكب الناس
فيها على وجوههم فيه تجريد اذ الكب لا يكون الا عليه او دفع الارادة
المجاز او المراد الكب على تمامه لا على بعضه كما يستفاد من قوله او على
مناخرهم شك من الراوي وهو جمع المنخر بفتح الميم وكسر الخاء وفتحها
ثقبة الانف والمراد هنا نفس الانف مجازا ولعلهما خصا بالذكر
لانهما اول الاعضاء سقوطا الا حصائد السنتهم جمع حصيدة
فعيلة بمعنى مفعولة من حصد اذا قطع الزرع وهذا من قبيل اضافة
اسم المفعول الى فاعله اي محصودات الالسنة والاستثناء مفرغ
فان في الاستفهام معنى النفي والتقدير لا يكب الناس في النار شيء من الاشياء
الا حصائد السنتهم وهي ما يلتقطه من الكلام القبيح وهو الكفر والكذب
والشتم واللعن والقذف والغيبة والنميمة والبهتان ونحوها وهذا
الحكم بطريق الحصر وارد على الاغلب الاكثر لانك اذا استقريت لم تجد
احدا حفظ لسانه عما يوجب دخول النار الا النادر من الابرار شبه
اللسان وما يقطع به من القول بحصد المنجل وما يقطع به من النبات
وهو من بلاغة النبوة التي لا مدخل لاحد من البلغاء حيث شبه اطلاق
المتكلم لسانه بما يقتضي الطبع شانه سواء زانه او شانه من غير تمييز بين

قبيح القول وحسنه بفعل الحاصد الذي لا يميز في الحصاد بين شوك
وزرع بل يتناول الكل بمنجله ولذا قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما وفي رواية
كذبا ان يحدث بكل ما سمع ثم نسبة الكب الى الحصائد مجازية سببية ولعمرك ان هذه
الخاتمة فاتحة السعادة الكبرى فائحة منها نسيم الكرامة العظمى لانك اذا نظرت
الى الشريعة فكف اللسان العون على حفظ الجنان في الحديث المرفوع المتفق عليه ان العبد
ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وان العبد
ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ابعد مما بين
المشرق والمغرب وفي شعب الايمان مرفوعا مقام الرجل بالصمت اي ساعة
افضل من عبادة ستين سنة واذا نظرت الى الطريقة فهو الركن المشار
اليه والقطب المدار عليه لانه اذا سكت اللسان نطق القلب ويحصل له المسامرة
مع الرب ويمطر عليه سحاب الرحمة بقطرات النور ويمتلي من الحبور و
الحبور واذا نظرت الى الحقيقة فهو انتهاء مراتب السالكين وغايات مناقب
العارفين ولذا ورد من عرف الله كل لسانه اي عن ذكر غير الله وهو في مقام
المراقبة وكل لسانه عن الدعوى وهو في مقام الهيبة وكل لسانه عن نشر
حاله وبيان مقامه وهو منزلة صولة المحبة وعن وصف الله وثنائه و
هو مقام الحيرة في المعرفة كما قال صلى الله عليه وسلم في اقصى الدنو والقربة لما
راى الحق بالحق وفني عن الصفات في الذات ووجد معنى من معاني البقاء
لا احصي ثناء عليك لان ثناءه يصدر عن الحدوثية وثناء الخليقة لا
يليق بكمال الالوهية ثم قطع لسان الثناء بمقراض التنزيه للاحد عجزا في
جلال الابد واضاف ثناءه تعالى اليه لانه لا يعرف الله الا هو سبحانه
فقال انت كما اثنيت على نفسك وقد انشد الشافعي في معنى الحديث

احفظ لسانك ايها الانسان • لا يلدغنك انه ثعبان • كم في المقابر من قتيل
لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان • رواه الترمذي اي جامعه وقال حديث
حسن صحيح بحذف المبتدء وهو هذا او قد رواه البيهقي في شعب الايمان باختلاف
يسير وفيه الا ادلك على راس الامر وعموده وذروة سنامه اما راس الامر فالاسلام
من اسلم سلم واما عموده الصلوة واما ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله

الحديث والثلاثون • عن ابي ثعلبة الخشني
بضم الخاء وفتح الشين المعجمة وبالنون منسوب الى خشينة قبيلة معروفة
جرثوم بن ناشر بضم الجيم والثاء المثلثة واسكان الراء بينهما وفي
اسمه واسم ابيه اختلاف كثير ذكرهما المص قيل يبلغ الخلاف اربعين
قولا وخشينة بطن من قضاعة رضي الله عنه كان ممن حضر بيعة
الرضوان تحت الشجرة وضرب له صلى الله عليه وسلم بسهمه يوم خيبر
وارسله الى قومه فاسلموا نزل الشام ومات سنة خمس وسبعين
ومروياته اربعون حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله وفي نسخة صحيحة زيد تعالى اي تعظم شانه وترفع
برهانه فرض فرائض اي وجب احكاما مقدرة مقطوعة كالايمان
والاسلام واركانه الاربعة فلا تضيعوها بتشديد التحتية
المكسورة ويجوز تخفيفها مع كسر ما قبلها اي لا تتركوها ولا
تقصروا في ادائها ولاتها ونوافيها وقوموا بها ولا تؤخروها
عن اوقاتها والفرض لغة القطع والتقدير واصطلاحا هو
ما يمدح فاعله ويذم تاركه قصدا مطلقا ويرادفه الواجب
وهذا عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فالفرض ما ثبت بدليل
قطعي

قطعي والواجب بدليل ظني قال ابن حجر قد يستنبط منه الدلالة لمذهبنا
ان الفرض والواجب مترادفان لان النهي عن التضييع لا يختص بالفرض
عنده وهو ما ثبت بدليل ظني فتفريع فلا تضيعوها على ما قبله
ظاهر في شموله للقسمين قلت وهو كذلك عندنا فان الواجب فرض
عملا لا اعتقادا لان الاعتقاد يحتاج الى دليل قطعي يصلح للاعتماد هنا
وعند العارفين هو معرفة الحق التي هو المقصودة من وجود الخلق
كما اشار اليه سبحانه بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
قال ابن عباس اي ليعرفون والمعرفة غالبا لا تحصل الا بالمجاهدة و
هي تزكية النفس عن ظلمة اخلاقها من الشمائل وتخليتها من اوصاف
الرذائل وتحليتها بانوار الفضائل كالتوبة والتقوى والزهد في
الدنيا ودوام الطاعة والاستقامة وسائر اخلاق الكرامة و
الارتقاء من حال الى حال والتصاعد من مقام الى كمال حتى تتجلى شمس
صفات انوار الجلال وتجلي طوالع اسرار الجمال ويستولي سلطان
الحقيقة على ممالك الخليقة ويطوى بايدي سطوات الجود سرادقات
الوجود فما بقي الارض ولا السماء ولا الظلمة ولا الضياء وتلاشى
العبد في كعبة العندية ويؤدي بفناء الفناء من عالم البقاء ورفعت
القبلة الحسية وما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله وحد
بفتح الحاء وتشديد الدال اي بين وعين حدودا اي احكاما
اوامر ونواهي وزواجر ولا ينافي شمولها لما قبلها وما بعدها
فان الحكم على وجه الاعم هو الاتم فيكون تعميما بعد التخصيص و
تخصيصا بعد التعميم مبالغة في قصد التتميم فلا تعتدوها

الخليقه الطبيعة
السطوة الحمله

لاتتجاوزوها بل قفوا عندها فان قيل كيف جلد عمر في الخمر ثمانين وانما
جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه فيه اربعين
قلنا قد قال علي كرم الله وجهه ان ذلك كله سنة ولعل وجهه قوله
عليه السلام اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر ولان الناس اكثروا من
الشرب زمن عمر فزاد في جلدهم تنكيلا وزجرا فيكون سياسته سنة
وقد امرنا بالاقتداء به رضي الله عنه وهذا لا ينافي قول علي رضي الله عنه
لا يموت احد في حد فنجد في نفسي منه شيء الا شارب الخمر فانه لو مات وديته
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسنه فانه محمول على ما اذا
مات بسبب زيادة الضرب على الاربعين فانه مورث للشبهة
من حيث ان مرتبة هذه السنة الوصفية دون تلك السنة السنية
فهي بمنزلة القطعي والاخرى في مرتبة الظني هذا ما ظهر لي في هذا
المقام والله اعلم بحقيقة المرام فاندفع قول الشارح فيه اشكال قوي
لان هذا ان كان سنة فكيف قال علي اذا مات وديته لانه عليه
السلام لم يسنه وان لم يكن سنة فكيف قال وكل سنة انتهى وقد
عرفت مجمل الفرق بين سنة وسنة فان من السنن ما يكون بدعة و
يجعل سنة كما قال عمر رضي الله عنه في صلوة التراويح نعمت البدعة فلا
يكون في مرتبة السنة الثابتة عن صاحب النبوة وقال في النهاية
هي اي الحدود محارمه التي قهرها بالذنوب والاثام لانها تفصل
بين الحلال والحرام فمنه ما لا يقرب منه كالفواحش قال تعالى تلك
حدود الله فلا تقربوها ومنه ما لا يتعدى كالمواريث وتزوج
الاربع قال تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها وخلاصة الكلام في مقام المرام

ان حدود الله ما منع من مخالفتها بعد ان قدرها بمقادير مخصوصة وصفات
مضبوطة كتعيين الركعات والاوقات وما وجب اخراجها في الزكوات
واثباتها في الحج بعرفات وسائر المقامات وحدود العقوبات ولما كان
العامل بها متصرفا في حيز الحق واذا تعداه وقع في حيز الباطل فالمنهي هو
التعدي قال فلا تعتدوها اي فلا تتجاوزوا عنها بتركها او لا تتجاوزوا
ما حد لكم بمخالفة الامور وموافقة المحظور الا ان الاحوط ان لا
يقرب الحد الذي هو الحاجز بين الحق والباطل لئلا يقع فيه وكذا
قال تعالى فلا تقربوها وسياق تقتضي تخصيصها بحد الزنى والشرب
والسرقة وامثالها من الاحكام لئلا يقع نوع تكرار في الكلام ومنه ما
ورد حد يقام في الارض خير من مطر اربعين صباحا وخبر الطبراني والبزار
اني اخذ بحجزكم اتقوا النار اتقوا الحدود هذا وفي كلام بعض الصوفية
الكرام ان العبد يتقلب في جميع الاوقات على الحدود اذ لكل عمل حد ولكل وقت حد
ولكل حال ومقام حد فمن تخطاها ولو بشيء قليل فقد ضل سواء السبيل
وحرم اشياء كالميتة والدم ولحم الخنزير ونحوها فلا تنتهكوها اي لا تتناولوها
ولا تقربوها وفي الصحاح انتهك الحرمة تناولها بما لا يحل وهي عند الطائفة
العليا متابعة الشيطان والهوى والاقبال على الدنيا والاعراض عن العقبى
والغفلة عن المولى اذ يجب ان ينقلع المحب عن كل مطلوب وينقطع عما سوى الحق
من كل محبوب ولذا قال من بالحق محجوب بحق الهوى يا اهل ودي
تفهموا لنا وجود في الوجود عجيب حرام على قلب تعرض للهوى يكون
لغير الله فيه نصيب وسكت عن اشياء اي لم يحكم فيها بوجوب او حل او حرمة
ونحوها رحمة لكم مفعول له غير نسيان اي حال كون السكوت عنها غير نسيان

الحرمة وبضمتين وكهمزة ما لا
يحل انتهاكه ق

لاحكامها الا يضل ربي ولا ينسى فلا تبحثوا عنها اى لا تفحصوا عن احوالها
ولا تفتشوا عن احكامها بل احكموا بالبراءة الاصلية والحل في المنافع والحرمة في
المنافع والحرمة في المضار في الامور الدينية والدنيوية ثم النهي يحتمل اختصاصه
بزمانه عليه السلام لقوله تعالى لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان
تسألوا عنها حين ينزل القران تبد لكم الاية وذلك لان السؤال قد يكون
سببا للنزول شدة الحال بايجاب او تحريم في المال ولذا قال صلى الله عليه وسلم
لمن ساله ابحج في العمر مرة او في كل سنة لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم — لو قلت
والحديث ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم لاجل
مسألته فقد دل على ان ثم اشياء باقية على اصل الاباحة وقد تعرض لها
التحريم بالوساطة وقال بعضهم دل على ان ثم اشياء لم يذكر احكامها ولا
احكام لها ولذا توقف بعض العلما في حكم بعض الاشياء ويحتمل بقاؤه على
عمومه لان كثرة البحث والسؤال عما لم يذكر في الواجبات ولا في المحرمات
قد يوهم اعتقاد ايجابه او تحريمه وقد صح هلك المتنطعون قالها ثلاثا
والمتنطع الباحث عن ما لا يعنيه وقد سبق ان من حسن اسلام المرء تركه
ما لا يعنيه ومن ثم قال ابن مسعود اياكم والتنطع اياكم والتعمق وعليكم
بالعتيق يعني ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم وفيه دليل على انه لا حكم قبل
ورود الشرع قيل وهو الاصح وقيل الاصل الحظر ونسب الى ابي حنيفة والشافعي
واكثر المتكلمين وقيل الاباحة وهو الاظهر لقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا وقد خص منه ما فيه المضرة شرعا وقد حكى بعضهم الاجماع على
ذلك ثم اعلم ان الله تعالى تجلى لعامة عباده بافعاله والائه المنبثة في — البتة التفريق
ارضه وسمائه ولخواص اصفيائه بصفاته العظمى ولاعظم انبيائه بذاته

وحقائق

وحقائق صفاته الحسنى وخصه بذلك دون غيره من قرنائه رحمة لهم عن نسيان
بحالهم اذ ما قام عظيم عند عظمته الا كل وذل وفي جنب عزته ذل وقل ولا استقام
كبير دون كبريائه الا هام وخام كما في الحديث القدسي والكلام الانسي لن يراني حي — تدهره تدحرج
الا مات ولا يابس الا تدهده ولا رطب الا تفرق وانما يراني اهل الجنة الذين لا تموت
اعينهم ولا تبلى اجسادهم فلذا قال فلا تبحثوا عنها اى لا تتفكروا فيها فان الكلام
الى وصول معرفة كنه الذات مردود والطريق الى حصول معرفة كنه الصفات
مسدود وقال تعالى ولا يحيطون به علما ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ففيه
الجمع بين التشبيه والتنزيه وقال بعض العارفين ما خطر ببالك فالله وراء
ذلك وفي الحديث تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في ذات الله العجز عن درك
الادراك ادراك والبحث عن سر ذات الرب اشراك حديث حسن
صححه ابن الصلاح وحسنه ايضا الحافظ ابو بكر بن السمعاني في اماليه
رواه الدارقطني وغيره كالبزار واسناده صالح والحاكم وصححه ولفظهما عن
ابي الدرداء ما احل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت
عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن ينسى شيئا ثم تلا هذه
الاية وما كان ربك نسيا ومن ثم وقفه على ابي ثعلبة فقد ابعد ولذا قال
الدارقطني الاشبه بالصواب المرفوع وهو الاشهر وكابي نعيم ولفظه عن ابي
الدرداء يرفعه ما احل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت
عنه عافيته فاقبلوا من الله عافيته وفي رواية انه قال اتركوني ما تركتكم
فاذا حدثتكم فخذوا عني فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم
على انبيائهم وان الله سبحانه لما ارسل رسوله وانزل عليه كتابه وامر بتبليغه
الى الامة قال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى امركم باشياء فامتثلوها

ونهاكم عن اشياء فاجتنبوها وسكت لكم عن اشياء رحمة منه فلا تسالوها وذلك
كله للترفق بالخلق ولذا قال قوم لا يجوز سوال العلماء في نازلة الا بعد وقوعها وتمسك
الظاهرية بهذا الحديث للاقتصار على النصوص الظاهرة ورد القياس بانواعها الا الجلي
لان القياس وهو الحاق المسكوت عنه بالمنطوق بحكمه في حكم البحث عنه وقد نهينا
عن البحث عنه فيكون مردودا عملا بقوله عليه السلام كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد و
ورد عليهم بان هذا الاستدلال ظني ودليل العمل بالقياس قطعي لكن قال الامام
حجة الاسلام السكوت عما تكلم فيه السلف جفاء والكلام فيما سكتوا
عنه عناء **الحديث الحادي والثلاثون** عن ابي العباس
سهل بن سعد الساعدي اي الانصاري كما في نسخة كان اسمه حزنا فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم سهلا وهو اخر صحابي مات بالمدينة سنة احدى وتسعين
وهو ابن مائة سنة وقد احصى سبعين اراه روى له مائة حديث وثمانية
وثمانون حديثا رضي الله عنه كان الاولى ويقال رضي الله عنهما كما في نسخة لان
اباه صحابي ايضا قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
دلني على عمل اي ارشدني الى عمل جامع للفضائل مانع عن الرذائل اذا عملته
احبني الله بارادة الرحمة والمثوبة واحبني الناس بارادة المنفعة والشفقة
والجملة الشرطية صفة عمل والرواية في احبني بفتح التحتية ويجوز اسكانها
فقال ازهد في الدنيا اعرض عنها ولا تبال باقبالها وادبارها ولا تصرف
فيها الا بما يعنيك ويعينك على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومن
اشعار الامام الشافعي ايا نفس يكفيك طول الحياة • اذا ما قنعت ورب
الفلق • رغيف بفودنج يابس • وماء روي ولبس خلق • وخفش تكنك
جدرانه • فماذا العناء وماذا القلق • والدنيا عبارة عن الاعيان في

الارض

الفودنج نبت معروف ق

الارض وما عليها من المواليد الثلاثة وهي الجمادات والنباتات والحيوانات
ما للانسان فيها حظ ولذة مالية او جاهية وله في صلاحها شغل لحظه او
لحظ غيره فيندرج فيه الحرف والصناعات والزهد عبارة عن عزوف النفس عن الدنيا
مع القدرة عليها لاجل الاخرة خوفا من النار او طمعا في الجنة او ترفعا عن الالتفات
الى ما سوى الحق ولا يكون ذلك الا بعد انشراح الصدر بنور اليقين ولا يتصور ذلك
ممن ليس له مال ولا جاه وثمرة القناعة من الدنيا بقدر الضرورة من زاد طريق العقبى
وهو مطعم يدفع الجوع وملبس يستر العورة ومسكن يصون من الحر والبرد واثاث يحتاج
اليه على ما ذكره الامام حجة الاسلام وفي المنازل ما حاصله من المرام ان الزهد
اسقاط الرغبة في الشيء عنه بالكلية وهو على ثلاث مراتب الزهد في الشبهة
بالحذر عن معتبة الحق عليه ثم الزهد فيما زاد على بلاغ المعاد من القوت باغتنام
التفرغ الى عمارة الوقت بالاشتغال بالمراقبة ثم الزهد في الزهد باستحقار ما
زهدت فيه بالنسبة الى عظمة الرب واستواء الزهد وعدمه عنده والزهاد .
عند اكتساب اجر تركها ناظرا بعين الحقيقة الى وحدانية الفاعل الحق
فيشاهد متصرف الحق في العطاء والمنع والاخذ والترك انتهى وعن الامام
احمد بن حنبل انه قال الزهد على ثلاثة اوجه ترك الحرام وهو زهد العوام
وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما هو شاغل عن الله وهو
زهد العارفين وتوضيحه ان الزهد هو الاعراض عن الشيء لاستصغاره
وارتفاع الهمة عنه لاستحقاره ماخوذ من قولهم شيء زهيد اي قليل
وفي خبر انك لزهيد وفي اخر افضل الناس مؤمن مزهد اي قليل المال وهو
باعتبار الحكم انواع احدها الزهد في الحرام وهو الزهد الواجب على عامة
الانام والثاني الزهد في الشبهة والاشبه وجوبه لانه وسيلة الى اتقاء

في القاموس عزفت نفسي عنه زهدت فيه وانصرفت عنه

الوقوع في الحرام وقد قال عليه السلام من وقع في الشبهات وقع في الحرام و
اجتناب الحرام واجب ووسيلة الواجب واجبة فالزهد في الشبهات ايضا واجب
الثالث الزهد فيما عدا الضرورة من المباحات وهو المراد من هذا الحديث ظاهرا وهو
زهد الخواص العارفين بالله تعالى الرابع الزهد فيما سوى الله عز وجل من دنيا وعقبى
فلا قصد لصاحب هذا الزهد الا القرب منه والوصول وهو زهد المقربين هذا وقد
قال تعالى قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد روي
عن بعض السلف انه قال لو كانت الدنيا لؤلؤة تفنى والاخرة خزفة تبقى
لكان ينبغي للعاقل ان يوثر ما يبقى على ما يفنى فكيف والامر بالعكس لان الخسيس هو
الفاني والنفيس هو الباقي فما لنا لا نعقل ما يراد بنا وفي حديث رواه الترمذي
وابن ماجه مرفوعا الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا باضاعة المال
ولكن الزهادة في الدنيا ان لا تكون بما في يديك اوثق مما في يد الله وان تكون
في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها ارغب فيها لو انها بقيت لك ورواه احمد
موقوفا على ابي مسلم الخولاني بزيادة وان يكون مادحك وذامك في الحق سواء
وقال الفضيل اصل الزهد الرضى عن الله يعني وهو موجب للرضاء بالقضاء
والاعراض عن دار الفناء والاقبال على دار البقاء واللقاء وعن علي كرم الله
وجهه من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وقيل ان الدنيا لكل انسان دنيا
بحسب حاله حتى ان كلام الفقيه بين طلبته وكلام الشيخ بين تلامذته
دنيا بالنسبة اليهما الا ان قصدا به وجه الله تعالى ولذا قيل اخر ما يخرج
من راس الصديقين محبة الجاه اي الجاه الاخروي وقيل الزهد في الرياسة
اشد منه في الذهب والفضة وقال سفيان الثوري الزهد في الدنيا
قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا بلبس العبا ومن دعائه اللهم زهدنا

في الدنيا

في الدنيا ووسع علينا منها ولا تزوها عنا فترغبنا فيها وفي حديث مرسل عن
الضحاك رواه ابن ابي الدنيا قيل يا رسول الله من ازهد الناس فقال من لم ينس
القبر والبلى وترك زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه و
عد نفسه من الموتى وقال ابو عثمان الزهد في الدنيا ان تتركها ولا تبالي من اخذها
وقال الجنيد سمعت السري يقول ان الله سلب الدنيا عن اوليائه وحماها عن اصفيائه
واخرجها من قلوب احبائه لانه لم يرضها الا لاعدائه يعني لقوله تعالى ولولا ان
يكون الناس امة واحدة الاية وقيل الزهد مستفاد من قوله تعالى لكيلا تاسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم فالزاهد لا يفرح من الدنيا موجود ولا يتاسف
عليها في مفقود والتحقيق ان المحب للدنيا الذي ذمه الله تعالى انما
هو الذي يلهيه الاغراض الفانية عن الاغراض الباقية وشغله
حيازة العاجلة عن السعي للدار الاجلة بخلاف من كانت الدنيا معينة
له على سلوك طريق العقبى وسبيل محبة المولى وقد جمع ابو سليمان الداراني
انواع الزهد كلها في كلمة فقال هو ترك ما شغلك عن الله ثم اعلم ان
الذم الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ليس راجعا الى زمانها وهو الليل و
النهار فان الله تعالى جعلها خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا و لا
لمكانها وهو الارض لان الله تعالى جعلها لنا مهادا ولا لما اودعه الله فيها
لانه كله من نعمه سبحانه قال تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وانما
هو راجع الى الاشتغال بما فيها عما خلقنا لاجله من عبادته تعالى كما قال
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وصح عن ابن عمر لا يصيب احد
من الدنيا شيئا الا نقص من درجاته عند الله تعالى وان كان عليه كريما و
يؤيده حديث كاسية في الدنيا عارية في العقبى وروى الترمذي ان الله

اي لولا ان يصير كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر
معالم

اخر الاية لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا و سررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين

بمعنى الا
معالم

دنياً

اذا احب عبداً حماه الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء ورواه
الحاكم ولفظه ان الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم
الطعام والشراب تخافون عليه وروى مسلم الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر اى بالنسبة الى ما اعد الله لهما من النعيم المقيم و
العذاب الاليم ومقتضى التشبيه ان المؤمن يكرههما والكافر
يحبها فمن احبها فليس بمؤمن كامل لعدم زهده فيها بل نقل
المحاسبي انهم يزهدون عن الحيوة فيها وهذا لا يصح الا لموفق
قد لاح له من عالم الاخرة لائح فاشتاق الى لقاء مولاه وغلب
شيطانه وهواه فعزفت نفسه عن الدنيا ونهض بلباس
التقوى فمثل هذا يكون الدنيا له سجنا ومقامه فيها هما
وحزنا لكن المؤمن صابر على حكم الله وراض بما قدره وقضاه الى
منتهى اجله في هذا الباب وقد قال تعالى لكل اجل كتاب واختلف
هل طلب الموت افضل شوقا الى اللقاء ودار البقاء او طلب
الحيوة لزيادة الطاعة والعبادة والدعاء والثناء والافضل
التسليم في مقام الرضا كما ورد في الدعا اللهم احيني ما كانت
الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الحيوة
زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر وقد قال
تعالى ليبلوهم ايهم احسن عملا قال بعض السلف اى من هو
ازهد في الدنيا وارغب في العقبى وقال بعضهم اكثرهم
للموت والبلى وعن ابن مسعود قال دخلت على النبي صلى الله عليه
وسلم وهو مضطجع وقد اثر الحصير في ظهره فقلت لو امرت يا رسول

الله

عزفت زهدت وانصرفت

الله على ما هو الين من هذا فقال مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا
كراكب قال اى استراح من القيلولة في ظل شجرة ثم راح وتركها وعن عمر
انه دخل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قد اثر
في جنبه فبكى عمر فقال ما يبكيك يا عمر قال ذكرت كسرى وقيصر عدوي
الله في الخز والعز وانت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا فقال في
شك انت يا عمر اما ترضى ان يكون لهم الدنيا ولنا الاخرة وفي خبر احمد و
النسائي حبب الي من دنياكم النساء والطيب والطعام فاصاب من
النساء والطيب ولم يصب من الطعام وروى الحاكم وصححه انه صلى الله عليه
وسلم قال نعمت الدنيا لمن تزود منها لاخرته حتى يرضى ربه وبئست الدنيا
لمن صدت به عن اخرته وقصرت به عن رضى ربه وفي حديث حارثة
عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها ومدرها وقال الفضيل لو
ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها لتقذرتها
كما يتقذر الجيفة وقد ورد مرفوعا ان الله لم يخلق خلقا ابغض اليه
من الدنيا انه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى البزار عن ابي الدرداء قال مر
النبي عليه السلام بدمنة قوم فيها سخلة ميتة قال لاهلها فيها حاجة
قالوا يا نبي الله لو كان لاهلها فيها حاجة ما نبذوها قال فوالله للدنيا
اهون على الله من هذه السخلة على اهلها وقد ورد ان الدنيا مزبلة فلا يدفن
احدكم قلبه في المزبلة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له ذات يوم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا قال بلى يا رسول
الله قال فاخذ بيدي واتى واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها
روس الناس وعظام الدواب وعذرات وخرق فقال لهم تروت

الخيرة المختار

تقذرا استكره

الدمنة السرجين

النجعه طلب الكلاء موضعه

جمع الافق وهو الناحيه

الرياش اللباس الحامى

احتراز كردن

الخرء العذرة

قذر كنصر وفرح وكرم

القذر ناپاك

هذه الروس كانت تحرص حرصكم وتامل امالكم ثم قد عادت عظاما بليح
ثم هي كائنة رمادا ورفاتا وهذه عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها
الافاق وهذه الخروق رياشهم ولباسهم وهذه العذرات الوان اطعمتهم
قذفوها في البطون فعادت يتحاماها الناس فمن كان باكيا فليبك على
هذه فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وقد روى ان ابابكر كان يكثر في خطبته ما
للمرء والتكبر يدخل احدكم الخلاء كرتين ويغسل الخراء مرتين اما يرى ما يخرج من
انفه وحلقه وما يجتمع في امعائه اما يعرف المرء قدره قال حتى كان يقذر
الينا انفسنا وقد روى في حديث معناه ان المرء اذا قعد في خلوته بعث اليه
ملك يعكس به قبته حتى يرى ما يخرج من مقعدته ليكون له نظر عبرته الى عاقبة
لذته وقد قال بعض السلف انظروا الى الناس في عيادهم هل ترون فيها الاخرقة
تبلى وجسدا ياكله التراب في دار البلوى والحاصل ان كمال الزهد هو ان يتنفر
نفس السالك عن الدنيا وما فيها من اللذات والشهوات كما تعاف النفس
السالمة عن الافات مشاهدة القاذورات ومقابلة النجاسات وجاء
في الحديث الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم
او متعلم وفي رواية الا ما ابتغى به وجه الله وفي خبر الحاكم ما الدنيا في الاخرة
الا كما اذا دخل احدكم اصبعه في اليم فما خرج منه فهو الدنيا يحبك الله
مجزوم على جواب الامر او مرفوع على الاستيناف كذا ذكره شارح والظاهر
الاول وكذا الرواية على ما صرح به الكازروني وفيه اشارة الى ان الزهد
من المقامات العلية والحالات البهية لانه جعل سببا لمحبته تعالى ومفهومه
ان محبة الدنيا سبب لبغضه سبحانه فانه يحب من اطاعه ومحبة الدنيا ومحبة
المولى لا يجتمعان لقوله عليه السلام كما رواه احمد وابن حبان من احب اخرته اضر

بدنياه

البحر

ارساه اقامه

وازهد

الغنى كائن عند الفقر فيه مد

بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى و
شبههما ايضا بالضرتين وبالكفتين ولان حب الدنيا راس كل خطيئة
وبغضها راس عبادة ولان القلب بيت الرب وهو اغنى الشركاء لانه
له العظمة والكبرياء والمراد بذم الدنيا محبتها المانعة من سلوك طريق المولى
ولهذا قال عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح يصل به رحما و
يصنع به محمودا ولذا شبه العارف الرومي مال الدنيا بماء البحر ولعل ماخذه
قوله سبحانه انما مثل الحيوة الدنيا كماء والسالك كالسفينة فان دخل الماء
فيها اردها وان كان ما حولها ارسيها واجريها وجاء في اثر اذا كان يوم
القيمة جمع الله الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا
ما لنا عاد الينا سعد به قوم وشقي به اخرون وازهد فيما عند الناس
من المال والجاه يحبك الناس لان من نازع انسانا في محبوبه كرهه
وقلاه ومن لم يعارضه فيه احبه وارتضاه ومن كلام الشافعي ومن
يا من الدنيا فاني امتها • وسيق الي عذبها وعذابها • فما هي الا
جيفة مستحيلة • عليها كلاب همهن اجتذابها • فان تجتنبها
كنت سلما لاهلها • وان تجتذبها نازعتك كلابها • وقال بعضهم
تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها
واخرج الطبراني وغيره خبر ازهد فيما في ايدي الناس تكن غنيا يغني بما
في خزائن الرب وقال الحسن لا يزال الرجل كريما على الناس ما لم يعط ما
في ايديهم واذا اعطى فحينئذ يستخفون به ويكرهون حديثه ويبغضونه
وكان عمر رضي الله عنه يقول في خطبته ان الطمع فقر وان الياس غنى
وسال ابن سلام كعبا بحضرة عمر رضي الله عنه ما يذهب بالعلم من قلوب

العلماء بعد ان حفظوه وعقلوه قال يذهبه الطمع وشره النفس وتطلب
الحاجات الى الناس وقال اعرابي لاهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن
قال بم سادكم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم فقال
ما احسن هذا وقال ابو ايوب السختياني لا ينبل الرجل حتى يعف عما
في ايدي الناس ويتجاوز عما يكون منهم والمعنى لا يتعلق بحبهم ولا ببغضهم
كما قال قائلهم ۔ وما الزهد الا في انقطاع العلائق ۔ وما الحق الا في
وجود الحقائق ۔ وما الحب الا حب من كان قلبه ۔ عن الخلق مشغول
برب الخلائق ۔ ثم المحبة الالهية هي ارادة المثوبة فهي صفة ذاتية او نفس
الاثابة فهي صفة فعلية وقد يكون محبة العبد له سبحانه لما ابداهم و
اولاهم من نعمه واحسانه واليه الاشارة في قوله عليه السلام احبوا الله
لما يغذوكم به من نعمه واليه الايماء في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا
البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف ثم لا احسان في
الحقيقة الا لله لانه خالق المحسنين واحسانهم فهو الحقيق بالمحبة
دون من سواه وقد ورد جبلت القلوب على حب من احسن اليه ومن محبته
محبة من احبه من نبي وملك وولي ونحوه فقد ورد في الدعا اسالك
حبك وحب من يحبك وحب من يقربني الى حبك ومن محبته محبة
طاعته واجتناب معصيته ولقد احسن من قال من ارباب الحال
تعصي الاله وانت تظهر حبه ۔ هذا مثال في القياس بديع ۔ لو كان حبك
صادقا لاطعته ۔ ان المحب لمن يحب مطيع ۔ ولهذا قال سهل التستري المحبة
معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال ابو علي الروذباري المحبة الموافقة
وقال سمنون المحب ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والاخرة لانه عليه السلام
قال

قال المرء مع من احب فهم مع الله تعالى ابدا وقال بعض العارفين مساكين اهل الدنيا خرجوا
منها وما نالوا اطيب ما فيها قيل وما اطيب ما فيها قال محبة الله والانس به
والشوق الى لقائه والتنعم بذكره وطاعته وشكره وقال اخر ليمر بي اوقات
اقول فيها ان كان اهل الجنة في مثلها انهم لفي عيش طيب وقال سمنون المحب
وكان فؤادي خاليا قبل حبكم ۔ وكان بذكر الخلق يلهو ويمزح ۔ فلما دعا قلبي هواك
اجابه ۔ فلست اراه عن فنائك يبرح ۔ بليت ببعد منك ان كنت كاذبا ۔ و
ان كنت في الدنيا بغيرك افرح ۔ وان كان شيء في البلاد باسرها ۔ اذا غبت
عن عيني لعيني يلمح ۔ فان شئت واصلني وان شئت لا تصل ۔ فلست
ارى قلبي لغيرك يصلح ۔ وله ايضا وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت
فاختبرني ۔ وقال الاستاذ ابو القاسم القشيري في رسالته ما حاصله ان
المحبة منه تعالى للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما ان رحمته ارادته
لمطلق الانعام فالمحبة اخص من الرحمة وهي اخص من الارادة فارادته
تعالى وان كانت صفة واحدة الا انها يتفاوت بحسب تفاوت متعلقاتها
فعند تعلقها بالعقوبة تسمى غضبا وبعموم النعمة رحمة وبخصوصها محبة ومن
العبد له تعالى حالة يجدها في قلبه تضعف عنه العبارة وتلطف عنه الاشارة
وقد يحمله تلك الحالة على تعظيمه وايثار رضاه وقلة الصبر عنه مع الاستيناس
بدوام ذكره له بقلبه وليست ميلا ولا اختلاطا كيف وحقيقة الصمدية
مقدسة عن اللحوق والاحاطة والمحب بوصف الاستهلاك في المحبوب اولى
منه بوصف الاختلاط وليس لها وصف ولا حد اوضح ولا اقرب للفهم من
لفظة المحبة انتهى ولما نقل القرطبي هذا وذكر معه عن بعض ارباب القلوب
في محبة الله سبحانه حيث فسرها بانها الميل الدائم بالقلب الهائم قال

فهولاء قد صرحوا بان محبة العبد لله ميل وتوقان وحال يجدها في نفسه من نوع
ما يجده في محبوباته المعتادة له وهو صحيح لان النفوس مجبولة على الميل الى
حسن الجمال والكمال فبقدر ما ينكشف من ذلك يكون الميل والتعلق هنالك حتى
ربما يفضي الى استيلاء ذلك المعنى عليه بحيث لا يصبر عنه ولا يشتغل بغيره وذلك
الحسن اما حسي كالصورة الجميلة الانسانية المشتهاة لنيل اللذة الجسمانية و
هذا قطعي لاستحالته في الذات الصمدانية واما معنوي كمن اتصف بالعلم
والحلم والكرم وحسن الخلق فهذا تميل اليه النفوس الفاضلة والقلوب
الكاملة عظيما فترتاح لذكره وتهتز بسماع احواله وتتشوق لمشاهدته
وتلتذ بمطالعة ملاحظته لذة روحانية لا جسمانية كما تجد عند ذكر
الانبياء والاولياء والعلماء والشهداء والاسخياء من الميل والرقة الانسية
وان لم تعرف صورتهم الحسية وهذا كلام لا يرده منصف ولا ينكره الا
متعسف وتضاعف ذلك الميل بوصول بره واحسانه من المتصف بذلك
الجمال المعنوي الى ان يستغرق فيه بجملة بابه ويذهل عن جميع اشغاله واحواله
واذا كان هذا في حق من جماله وكماله مشوب بنقصه وزواله فمن لا يعرض
لكماله زوال مع انعامه الذي لا يحصى اولى بذلك الميل واحق بذلك الحب
وليس ذلك الا لله تعالى وحده ثم من خصه بالكمال المطلق والجمال المحقق على
سائر من خلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم فمن تحقق بذلك كان الله
ورسوله احب اليه مما سواهما فتاهب للقائهما واتصف بما يرضيهما
واجتنب ما يسخطهما فاقبل عليهما واعرض عما سواهما الا باذنهما انتهى
وقد قيل من سمي باسم الزهد فقد سمي بالف اسم ممدوح هذا مع ما للزاهد
من راحة القلب والقالب في الدنيا والآخرة فالزهاد هم الملوك على

الحقيقة

الحقيقة كما قال قائلهم اري الزهاد في روح وراحة قلوبهم عن الدنيا مزاحه — اي مزالة
اذا ابصرتهم ابصرت قوما ملوك الارض شيمتهم سماحة وهم العقلا لابنا دهر البقا
على الفنا وكم بين من شغله الله وبين من شغله هواه تشاغل قوم بدنياهم
وقوم تخلوا بمولاهم فالزمهم باب مرضاته وعن سائر الناس اغناهم
حديث حسن رواه ابن ماجه وهو ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني
صاحب السنن وماجه امه ولد سنة تسع ومائتين ومات سنة ثلاث
وتسعين ومائتين وغيره كالعقيلي وابن عدي وابن ابي حاتم والخطيب
باسانيد حسنة اي لغيرها لا لذاتها لان في سندها من طعن فيه
جماعة من المحدثين كاحمد وابن معين وابي زرعة وابي حاتم وابن عدي
الا ان ابن حبان ذكره في الثقات فالحسن لتعدد طرقه في الروايات وفي
الجامع الصغير رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه
والبيهقي في شعبه كلهم عن سهل بن سعد هذا وفي رواية مرسلة ان رجلا قال
يا رسول الله دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس عليه فقال اما العمل
الذي يحبك الله عليه فالزهد في الدنيا واما العمل الذي يحبك الناس
عليه فانظر الى هذا الحطام فاطرحه اليهم واخرجه ابن ابي الدنيا ايضا و
نقل غير واحد من الشراح عن الاربعين الودعانية زاد بعض محققيهم
قوله الموضوعة خير ارغب فيما عند الله يحبك الله وازهد في ايدي الناس
يحبك الناس ان الراغب في الدنيا يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة
ليجيئن اقوام يوم القيمة بحسنات كامثال الجبال فيؤمر بهم الى النار فقيل
يا نبي الله اوهم مصلون قال كانوا يصلون ويصومون وياخذون وهنا — الوهن قريب من نصف الليل نصف بيانه
من الليل لكنهم كانوا اذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه انتهى ولا يخفى انه صحيح

المعنى وان كان ضعيف المبنى ونقل بعضهم خبرا يها الناس اتقوا الله حق تقاته
واسعوا في مرضاته وايقنوا من الدنيا بالفناء ومن الاخرة بالبقاء واعملوا
لما بعد الموت فكانكم بالدنيا ولم تكن وبالاخرة ولم تزل ان من في الدنيا ضيف وما في يده
عارية وان الضيف مرتحل والعارية مردودة والدنيا عرض حاضر ياكل منها البر
والفاجر والدنيا مبغضة لاولياء الله تعالى محببة لاهلها فمن شاركهم في
محبوبهم ابغضوه وروى احمد والترمذي وابن ماجه من كانت الاخرة
همه جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت
الدنيا همه شتت شمله وجعل فقره بين عينيه ولم ياتيه من الدنيا الا ما
قدر له وفي الدعاء الوارد اللهم لا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا
وروى الترمذي لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى
كافرا منها شربة ماء واختلف العلماء في ان طلبها لفعل الخير افضل او تركها والثاني
اكمل والثاني اشهر واظهر لقول عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك
للدنيا ابر ويؤيده قوله تعالى في ذم من يريد الدنيا لتحصيل البر في العقبى منكم من
يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة قال ابن مسعود ما كنت اظن ان احدا
من الصحابة يحب الدنيا حتى نزلت هذه الاية ولما قرئت هذه الاية عند الشبلي
قال اه اين من يريد الله وقد اجيب عنه بلسان العبارة وبيان الاشارة
في الجمالين حاشية الجلالين ثم اعلم ان مدار الزهد على عزوف النفس عن
الدنيا وشهواتها ولهواتها وهذا امر يتعلق بالقلب ولا يطلع عليه غير
الرب ولذا قال ابو سليمان لا تشهد لاحد بالزهد لانه في القلب وقيل
لبعض السلف من معه مال هل هو زاهد فقال نعم ان لم يفرح بزيادته
ولم يحزن بنقصه والاظهر ان الزهد يتصور ممن ليس له مال ولا جاه لان

الزهد

يقتضي الامر كفرح وايقن علمه وتحققه

العزوف الزهد

الزهد حال وارد من توفيق الرب حال في القلب يمنعه عن طلب دنياه ومتابعة
هواه سواء وجد في حال الفقد او عرض بعد الوجد نعم من علامة الزهد سبق
القدرة على وجود الدنيا ولذا قيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن
عبد العزيز اذا جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيما ذا زهدت انتهى ولا
يخفى ان هذا يحتمل ان يكون منه تواضعا وانصافا في المقال او يريد به كتمان
السر واخفاء الحال او يشير الى ان الوجود شرط الكمال كما حصل لابراهيم بن ادهم
ترك الجاه والمال ثم الوجود اما حقيقي واما فرضي وتقديري بحيث انه لو عرض
عليه الجاه والمال ما مال عن الحال بالانتقال الى مقام النقص والزوال واما
ما نقله ابن حجر عن كثير من السلف من ان عمر بن عبد العزيز كان ازهد
من اويس فلعله محمول على ما قررناه والا فعمر بن عبد العزيز اختار الجاه الذي
هو وسيلة الى المال ولذا هجره بعد توليته كثير من العلماء والصلحاء من ارباب
الكمال واويس قد بالغ في قلة المال وخمول الحال حيث اختار رعي الجمال
في طريق الحج وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كل سنة ينشد عنه ولم
يات الخبر منه الى ان دل عليه انه في نواحي عرفات فركب هو وعلي رضي الله عنهما
فراياه يصلي والجمال ترعى واجتمعا معه وتعرفا به وطلبا منه الدعاء بالمغفرة
وعرض عليه عمر النفقة والكسوة فاباهما ثم اختفى عن الناس خوفا من
الشهرة والاستئناس فهو في قرية لا اشك انه من ازهد الزاهدين
ولذا ورد في حقه انه خير التابعين هذا وقد قيل عيسى عليه السلام كان ازهد
الانبياء وانه يجوز ان يكون خصلة في المفضول لا يوجد مثلها في الفاضل
وفيه بحث لان نبينا صلى الله عليه وسلم عرضت عليه الدنيا بحذافيرها
فلم يلتفت اليها وما زاغ بصره وما طغى لديها في كتاب الشفا وغيره انه

مطلب

جبريل عليه السلام قال له ان الله يقول لك اتحب ان اجعل لك هذه
الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل
مالي وللدنيا الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له وقد يجمعها من لا عقل له
فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت وفي رواية اريد ان اجوع يوما
فاصبر واشبع يوما فاشكر وذلك لانه كان مظهر الكمال الجامع بين مطالع
الجلال والجمال معتدلا في الاحوال متوسطا بين الخوف والرجاء كما يقتضيه
مقام الرضا بالقضاء وعيسى عليه السلام كان الغالب عليه الخوف ولذا كان
يمنع عن كثير من متمتعات الحلال وايضا كان مبعوثا الى جمع محصور من
ارباب الجاه والمال فاظهر كمال الزهد فيهم ليقتدوا به ولذا ظهرت الرهبانية
فيهم لكنهم ابتدعوها وما رعوها حق رعايتها واما نبينا صلى الله عليه وسلم
فكان مبعوثا لعامة الخلق وهو رحمة للعالمين وقدوة الحق له ان يقول
للخلق قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاختار طريقا جامعا و
مسلكا واسعا يسع الخلق كلهم ان يتبعوه صغيرهم وكبيرهم وضعيفهم و
قويهم وغنيهم وفقيرهم وملوكهم وصعلوكهم فتارة كان ياكل خبز الشعير
اليابس والتمر الردي واخرى ياكل الرطب الجني والعيش الطري وتارة يلبس
الثوب الفاخر واخرى يلبس الكسا الخلق الظاهر وتارة يرقد على السرير وفراش
الثياب وتارة يضطجع على الحصير او التراب وتارة يلبس القلنسوة مع العمامة
واخرى يكتفي بالقلنسوة وتارة يجعل لها عذبة واخرى بغير علامة وتارة — العذبة الطرف
يركب الخيل والابل واخرى يركب الحمار وربما يردف وتارة يمشي منفردا واخرى
مع جماعة وتارة يصوم حتى يظن انه لا يفطر واخرى يفطر حتى يظن انه لا يصوم
وكذا في صلوة الليل تارة يصلي حتى يظن انه لا يرقد واخرى ينام حتى يظن انه لا يصلي

ومع

ومع هذا ما احيا الليل كله وربما رقد عن صلوة التهجد فاداها في النهار وما ذلك
كله الا تسهيلا للملة وتهوينا للمتابعة لجميع الامة وتارة يعطي عطاء الملوك استغناء
بغنى الحق واخرى يقترض من يهودي اظهارا للافتقار وتواضعا مع الخلق كل ذلك
لتكون شريعته سهلة وطريقته سمحة لا فيها عوج ولا حرج وقد قال عليه السلام ليذكرن
الله اقوام في الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم الدرجات العلى وفيه دليل على ان الملوك
والامراء ومن يجري مجراهم من الاغنياء لا يمنعهم حشمتهم وتنعمهم عن ذكر الله تعالى — النسخة الشيخ
وهم في ذلك ماجورون مثابون يدخلهم الله برحمته الجنات العلى نعم ينبههم
على ان الزهد في الدنيا انفع لهم في مراتب العقبى حيث قال اجوعكم في الدنيا اشبعكم
في الاخرى ونحو ذلك مما فيه بيان الطريق الاولى والاحرى مع ان شرط
صحة التنعم استعمال المباحات دون المحرمات والشبهات كما قال تعالى قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق اي المستلذات من الحلالات
فهذا كله يدل على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر ومن خالفه فهو المكابر و
ان كان من الاكابر والله سبحانه اعلم بالظواهر والسرائر وانما اطنبنا الكلام
في هذا المقام لان الزهد في الدنيا من اهم انواع المرام ويحتاج اليه
الخاص والعام في تفاصيله من الاحكام ولنختم بالدعاء الوارد عن سيد
الانام وهو اللهم فكما رزقتني ما احب فاجعله قوة لي فيما تحب وما — مطلب دعاء عظيم
زويت عني مما احب فاجعله فراغا فيما تحب رواه الترمذي الحديث
الثاني والثلاثون عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان
بكسر اوله الخدري بضم المعجمة وسكون الدال المهملة نسبة الى بني
خدرة قبيلة من الانصار رضي الله عنه ينبغي ان يقال عنهما كما في نسخة
صحيحة لان اباه صحابي ايضا من شهداء احد وابو سعيد هذا من نجباء

الانصار وكبرائهم ومن حفاظ الصحابة وعلمائهم روى له الف ومائة
وسبعون حديثا وقد روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين
توفى بالمدينة سنة اربع وسبعين ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم قال لا ضرر بفتحتين ولا اضرار بالبناء على الفتح فيهما رواية ويجوز خمسة
اوجه دراية زيد فى بعض النسخ فى الاسلام قال المص لا ضرر
بفتح الضاد المعجمة ولا ضرار بكسر الضاد المعجمة اسمى منهما مصدران
من ضره وضاره بمعنى وهو خلاف النفع على ما فى الصحاح و
قال صاحب النهاية الضر والضر ضد النفع اى لا يضر الرجل
اخاه فينقص شيئا من حقه والضرار فعال منه اى لا يجازيه على
اضراره بادخال الضرر عليه فالضرر فعل الواحد والضرار فعل الاثنين
او الاضرر ابتداء الفعل والضرار الجزاء عليه وقيل الضرر ما تضر به
صاحبك وتنتفع به والضرار ان تضره من غير ان تنتفع به
يعنى فالمغالبة وقيل هما بمعنى والتكرير للتاكيد انتهى كلام النهاية
وقيل الضرر ان يضر من لم يضره والضرار ان يضر من يضره اى ليس
من ديننا ان نبتدى احدا بضرر وذلك يشمل ضر نفسه وضر
غيره وقيل الضرر الحاق مفسدة بالغير مطلقا والضرار الحاق
مفسدة به على جهة المقابلة اى بقصد كل منهما ضرر صاحبه
ويروى فى هذا الحديث ولا اضرار بزيادة همزة فى اوله وهو
مصدر اضره اضرارا او الحق به ضررا فهو بمعنى الضرر قال
ابن الصلاح وهذه الرواية على السنة كثير من الفقهاء والمحدثين
ولا صحة لها لكن انتصر لها بعضهم بانها جاءت فى بعض
روايات

روايات ابن ماجه والدارقطنى وفى بعض نسخ الموطا وقيل المعنى لا لحوق
ضرر شرعا الا بموجب خاص اما التقييد بالشرع فلان الضرر بحكم القدر
الالهى لا ينتفى واما استثناء لحوق الضرر بموجب خاص فلان
الحدود والعقوبات ضرر لاحق باهلها وهو مشروع بالاجماع اسمى
وخبر لا محذوف اى فى ديننا وشريعتنا والاظهر ان هذا نفى معناه
نهى كقوله تعالى لا ريب والمعنى لا تضروا انفسكم ولا غيركم ولا
تضاروا الناس بما فعلوا معكم الا باذن الشرع لكم من غير تعد عن
الحد منكم كما قال تعالى فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة
مثلها وظاهر الحديث تحريم سائر انواع الضرر الا لدليل لان النكرة
فى سياق النفى نعم وانما انتفى الضرر فيما عدا ما استثنى لقوله تعالى
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يريد الله ان يخفف عنكم وما جعل
عليكم فى الدين من حرج وقوله عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحاء
السهلة ونحو ذلك من النصوص المصرحة بان وضع هذه الملة
على تحصيل النفع والمصلحة وصح ان دماءكم واموالكم واعراضكم
حرام عليكم بعضكم على بعض وصح ايضا حرم الله من المؤمن دمه
وماله وعرضه وان لا يظن به الا خيرا وكل ما جاء فى تحريم الظلم
من الكتاب والسنة دليل على تحريم المضرة وقد جاء فيهما النهى عن
المضارة فى صور خاصة منها فى الوصية فقد اخرج الترمذى
وغيره ان العبد ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضره الوصية
فيضار فى الوصية فيدخل النار ثم تلا من بعد وصية يوصى بها

او دين غير مضار الى قوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
ويدخله نارا خالدا فيها ومنها في الرجعة قال تعالى ولا تمسكوهن
ضرارا لتعتدوا ومنها في العدة قوله تعالى ولا تضاروهن لتضيقوا
عليهن ومنها في الرضاع قال تعالى لا تضار والدة بولدها ولا مولود له
بولده واما قوله عليه السلام في الخبر الصحيح لا يمنع احدكم جاره ان يضع
خشبة في جداره فالظاهر انه من باب مكارم الاخلاق يعني
لا ينبغي ان يمنع لانه يجوز له كرها ان يضع كما اباحه جماعة منهم
الشافعي في القديم ورجع عنه في الجديد حيث قال ليس ذلك لحديث
لا ضرر ولا ضرار مع حديث لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب
نفس وقد بحث ابن حجر في تجويز رجع الضمير للجار في جداره يعني
جدار نفسه فان مثل هذا الاحتمال لا يخطر ببال اهل الكمال
والحاصل ان مذهب ابي حنيفة والكوفيين عدم الوجوب
وقال احمد وابو ثور واصحاب الحديث بالايجاب لظاهر الحديث
والله اعلم بالصواب واما الصائل ونحوه فمخصوص
من عموم هذا الحديث ولانه اراد دفع ضرره لا قصد ضرره
وزبدة المرام في هذا المقام انه ينبغي لسالك طريق الحقايق ان
يعاشر الخلائق ويسلك في مصاحبتهم احسن الطرائق واذا
اعتدى عليه احد لا يكافيه وان اساء اليه مسيء فلا يقابله
ولا يساويه بل يتشبث باذيال الكظم والاغماض ويعتصم
بحبل الله في العفو والاعراض حتى يستعبد القلوب باحسانه
ويستميل النفوس الى امتنانه ويكتسب المحبة في الله المحمودة
في الشرايع

في الشرايع التي هي من افضل القرب والذرائع الباعثة للاجتماع
في الجوامع لاستنزال الرحمة الالهية والبركات الشوائع و
لذا نقل في عوارف المعارف ان ارتفاع الاصوات في بيوت العبادات
بحسن النيات وصفاء الطويات يحل ما عقده الافلاك الدائرات
حديث حسن رواه ابن ماجه اي عن ابن عباس وعبادة كذا في
جامع الصغير في اطلاق المصابيح انه رواه عن ابي سعيد ولعله
وجد له رواية عنه ايضا قيل وفي اسناديهما ضعف وانقطاع
والدارقطني اي من طريق ضعيفة عن ابن عباس واخرى كذلك
عن عائشة واخرى عن ابي هريرة لكن مع شك فيها وغيرهما كالحاكم
في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي من حديث ابي
سعيد والطبراني مرسلا وابن عبد البر من طريق كثير ابن عبد الله و
كثير هذا صحح حديثه الترمذي ويقول البخاري في بعض احاديثه
هو اصح حديث في الباب وحسن حديثه الحزامي وقال الخير
من مراسيل ابن المسيب وكذا حسنه ابن ابي عاصم مسندا
هو ما اتصل اسناده سواء كان مرفوعا او موقوفا ورواه
مالك اي ابن انس الاصبحي صاحب المذهب ولد سنة ثلاث
وتسعين وحمل به في البطن ثلاث سنين ومات بالمدينة سنة
تسع وسبعين ومائة وله اربع وثمانون او وتسعون سنة
في الموطا بضم وفتح فتشديد مهملة مفتوحة فهمزة او الف كتاب
مشهور عن عمرو بن يحيى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرسلا وهو ان يقول تابعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا

او فعل كذا وهو اصطلاح المحدثين او عدل غير صحابي وهو اختيار الاصوليين
فقيل نحتج به مطلقا وهو مذهبنا وعليه الجمهور كما ذكره الامام ابن الهمام
وقيل يرد مطلقا وقال الشافعي يقبل ان اسنده غيره او يرسله اخر وعلم ان
شيوخهما مختلفة او ان يعضده قول صحابي او يعلم انه لا يرسله لا برواية عن
عدل وقيل ان كان الراوي من ائمة نقل الحديث قبل والا فلا وهذا هو المختار
على ما ذكره بعضهم فاسقط ای مالك او يحيى ابا سعيد قال ابن عبد البر لم يختلف
عن مالك في ارساله ولا يسند من وجه صحيح يعني عنه مطلقا والحاصل وله طرق
اى للحديث اوللحديث مالك اسانيد كثيرة ضعيفة يقوى بفتح الياء والواو
من المجرد وفى نسخة يتقوى بعضها ببعض وفي اخرى يقوى بعضها
بعضا من التقوية قال ابن الصلاح اسنده الدارقطني من وجوه متصلا وقال
حديث حسن وقال كرة اسنده من وجوه ومجموعها يقويه ويحسنه وقد مطلب
نقله جماهير اهل العلم واحتجوا به فقد قال ابو داود الفقه يدور على
خمسة احاديث وعد هذا منها فهو عنده غير ضعيف اسمى وممن استدل
به احمد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا اضرار بل اسنده
السيوطي في جامعه الصغير الى مسند احمد عن ابن عباس مرفوعا والحاصل
ان طرق هذا الحديث كثيرة وقد قيل في بعضها انه صحيح فلا اقل من ان يكون
حسنا لغيره فيجوز الاحتجاج به حيث انضم بعضها الى بعض فان الكثرة يفيد
القوة حتى قال الشافعي على ما نقله عنه ابن حجر في قلتين بخستين اذا ضمت
احديهما الى الاخرى صارتا طاهرتين وهو فرع غريب من اصل عجيب هذا مطلب
وفي بعض طرقه المسندة من طريق عمرو بن يحيى بعض الفوائد الزائدة ولفظه
لا ضرر ولا اضرار من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه وفي رواية
من ضار

من ضار ضاره الله ومن شاق شق الله عليه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
لعن من ضار مسلما او ماكره وفي اخرى عن ابي بكر رضي الله عنه ملعون من ضار
مؤمنا او مكر به قال ابن عبد البر وسندها وان ضعف لكنه يخاف عقوبة ما جاء
فيه فانه موافق للقواعد الشرعية والمراد بالقواعد القواعد الشرعية او الضوابط
الفقهية واما تضعيف ابن حزم لحديث الكتاب وقوله فيه انه واه فمحمول على
سنده وفق ما عنده مع قطع النظر عن سائر طرقه والا لزم مخالفته لائمة
الحديث **الحديث الثالث والثلاثون** عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعطى الناس بصيغة المجهول والمفعول
الثاني محذوف بقرينة الجزاء اى اموال الناس ودماءهم بدعويهم اى بمجرد دعاويهم
من غير تصديق المدعى عليه لادعى رجال اى ناس كما في رواية واورد بصيغة او بينة المدعي
الجمع لفظا ومعنى اعلاما باقدام غير واحد منهم على الخصومة والتنكير لقصد
الاشاعة اموال قوم ودماءهم فيفضي الى الهرج والمرج وتقتضي في الدين نوعا
عظيما من الحرج واخرت الدماء في هذه الرواية للترقي الى الكمال ولان خصومة
الاموال اكثر فيما بين الرجال ولان الغرض غالبا من خصومات الدماء حصول
المال لا سيما اذا كان المدعون فقراء في الاحوال ثم لفظة لو للدلالة على ان
انتفاء الثاني في الخارج بسبب انتفاء الاول وقد يستعمل للدلالة على ان الجزاء
لازم الوجود في جميع الازمنة اذ كان الشرط مما يستبعد استلزامه الجزاء و
يكون نقيضه انسب بالاستلزام نحو حديث نعم العبد صهيب لو لم يخف
الله لم يعصه وهذا عند اهل العربية واما عند المنطقيين فلو للدلالة على
ان العلم بانتفاء الثاني علة العلم بانتفاء الاول من غير التفات الى ان علة انتفائه
في الخارج ما هي نحو لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والقوم وان خص بالرجال

لغة كما يدل عليه قوله سبحانه لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم
ولا نساء من نساء الا ان المراد به هنا الجماعة من الرجال والنساء كما قال تعالى
كذبت قوم نوح المرسلين اما بالاطلاق الشرعي واما بالتغليب العرفي واقتصر
في الحديث عليهم لانهم قوامون على النساء وقائمون لهن ايضا في دعويهم لكن البينة
الرواية بتخفيف لكن يجوز تشديدها وهي فعيلة من البيان وهي ما ثبت به الدعوى
باعتبار افادته للبيان ويسمى حجة باعتبار انه يغلب به على الخصم فان قيل لكن معناها
الاستدراك وهي انما يكون بين نفي واثبات نحو ما قام زيد لكن عمرو قام وزيد قام
لكن عمرو لم يقم وليست لكن ههنا كذلك اذ بعدها اثبات ولا نفي هنالك اجيب
بانها كذلك في المعنى اذ معنى قوله لو يعطى الناس بدعويهم لا يعطى الناس بدعويهم
المجردة لكن بالبينة وهي على المدعي وهو المكلف الملتزم للاحكام الذي يذكر
امرا يخالف الظاهر والمدعى عليه عكسه ولذا جعل البينة على المدعي لانها
اقوى من اليمين التي جعلت على المنكر لينجبر ضعف جنبة المدعي بقوة حجته
وضعف حجة المنكر بقوة جنبته وهذا معنى قوله واليمين على من انكر
اي ان لم يكن للمدعي بينة وتفصيل عدد البينة في كل قضية محله كتب الفقهية
والشافعية تجوز القضاء بالشاهد الواحد واليمين وانكره الحنفية
وقد قال ابن المنذر اجمع اهل العلم على ان البينة على المدعي واليمين على المدعى
عليه هذا وقد قال بعض العلماء ان المراد بفصل الخطاب في قوله تعالى واتيناه
الحكمة وفصل الخطاب هو البينة على المدعي واليمين على من انكر وقال المص في شرح
مسلم هذا الحديث قاعدة شريفة من قواعد الدين ودلالة على مذهب الشافعي
حيث قال اليمين متوجه على المدعى عليه سواء كان بينه وبين المدعي عليه
معرفة ومداينة ام لا خلافا لمالك واصحابه والفقهاء السبعة انتهى
وكان

وكان حقه ان يقول على مذهب الجمهور فان الشافعي اخذ بقول من قبله في
هذه القاعدة لانه اخترع هذه الفائدة ثم خالف شيخه وتبع غيره ثم حجة
المالكية وفقهاء المدينة النبوية ان درء المفسدة ورعاية المصلحة التي هي
من القواعد الدينية يقتضي ان يشترط المخالطة فيما بينهما لئلا يبتذل مطلب
السفهاء اكابر الفقهاء مرارا في اليوم الواحد من دعوى الاشياء اما ليحلفوهم
على قصد اهانتهم وابتذال حرمتهم لعداوة كامنة فيما بينهم او ليبذلوا
لهم شيئا ليتخلصوا به منهم قالوا وبه قضى علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه
والفقهاء السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم ابن مطلب
محمد وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وخارجة بن زيد وسليمان
ابن يسار وابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ثم اعلم انه وقع
اجماع العلماء على استحلاف المدعى عليه في الاموال واختلفوا في غير ذلك
فذهب الشافعي واحمد وابو ثور الى وجوبها على كل مدعى عليه في حد او
طلاق او نكاح او عتق اخذا بظاهر عموم هذا الحديث فان نكل حلف المدعي
وثبت دعواه وقال ابو حنيفه واصحابه يحلف على الطلاق والنكاح والعتق
وان نكل لزمه ذلك وقال الثوري والشعبي وابو حنيفه لا يستحلف
في الحدود والسرقة وبه قال مالك كذا ذكره بعض الشراح وقال بعض العارفين
وفي الحديث اشارة الى ان كل دعوى لا بد ان يكون لها معنى وكل حال ومقام
لا يقبل الا باتباع الشرع الاسنى فمن اراد ان يسلك بقدم العقل القاصر
والفهم الفاتر بساط سرادقات العرفان او يرتقي من حضيض النقصان
الى ذروة الايقان بدون اتباع الرسول فهو مريد شيطان مريد مخذول
حديث حسن وكلام احمد وابي عبيد ظاهر في انه صحيح عندهما وكان المص تنزل

وقال ان اقل مراتبه حسن لاحتمال انه صحيح لغيره عندهما او حسن باعتبار
سند رواه البيهقي الظاهر بسنده في شعبه وهو الامام ابو بكر احمد بن الحسين
صاحب التصانيف الجليلة وله سنه اربع وثلاثين وثلاثمائة ومات
بنيسابور سنه ثمان وخمسين واربعمائة وغيره اى وغير البيهقي هكذا اى
بهذا اللفظ المذكور على النهج المسطور وبعضه في الصحيحين اى بعض
هذا الحديث لعبارة وباكثره في صحيحي البخاري ومسلم وكذا في مسند احمد
وسنن ابن ماجه بلفظ لو يعطى الناس بدعويهم لادعى ناس دماء رجال
واموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه وفي رواية للشيخين قال ابن ابي
مليكه كتب ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى ان اليمين على المدعى عليه
وقول الاصيلي لا يصح مرفوعا مردود بتصريحهما بالرفع فيه من ابن جريج
وقد رفعه ايضا ابو داود والترمذي قال المص واذا صح رفعه بشهادة
البخاري ومسلم وغيرهما لم يضره من وقفه ولا يكون ذلك تعارضا ولا
اضطرابا فان الراوي قد يعرض له ما يوجب السكوت عن الرفع من نحو
نسيان او اكتفاء بعلم السامع في معرض البيان مع ان زيادة الثقة مقبولة
فالمرفوع مقدم على الموقوف على ان مثل هذا الموقوف في حكم المرفوع وكان
الاظهر ان يذكر المص رواية الشيخين في الاصل ولا ثم يقول وزاد البيهقي
وغيره باسناد حسن ولفظهم لكن البينة على المدعي واليمين على من انكر
فتدبر واخرجه الاسمعيلي في صحيحه بلفظ لو يعطى الناس بدعويهم
لادعى رجال دماء قوم واموالهم ولكن البينة على الطالب واليمين
على المطلوب الحديث الرابع والثلاثون عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

يقول من راى منكم منكرا يحتمل انه من رؤية العين ثم يقاس عليه ما لم يره
لان المقصود دفع مفسدة المنكر ولا فرق بين من ابصره او علمه و
لم يره ويحتمل انه من رؤية القلب اى من علم منكرا فهو اعم مما ابصره او علمه وهو
اشبه في النظر وان كان لفظ راى ظاهرا في البصر والمنكر ما انكره الشرع
وكرهه ولم يرض به والمراد به الحرام والمكروه وفي معناهما ترك الفرض و
السنة المؤكدة والخطاب للامة عامة دون الصحابة خاصة لقوله
كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
ومن تبعيضية اشارة الى فرضية الكفاية كما قال تعالى ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فليغيره امر ايجاب
كما اطبق عليه الكتاب والسنة واجماع الامة ولا يعتد بخلاف الرفضة
ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة بيده فيه دليل على ما ذهب اليه
الشافعي وابو يوسف ومحمد من جواز كسر الات الملاهي واراقة الخمور خلافا
لابي حنيفه رحمه الله ولعله نظر الى انه تضييع المال فان لم يستطع اى
التغيير بيده فبلسانه اى فليغيره بلسانه بان يمنعه بقوله فان لم يستطع
اى التغيير بلسانه ايضا فبقلبه اى فليكرهه به قال المص معناه فليكرهه فبقلبه
بقلبه يعني لم يرض به وينكر على مرتكبه انتهى والتحقيق ان معناه فليقتصر
على انكار قلبه قال ابو حنيفه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد موكول
الى الامراء والولاة لقدرتهم وليس لغيرهم الا باللسان وفي خزانة المفتيين
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد على الامراء وباللسان على العلماء و
بالقلب على العوام ويشير الى ذلك ما في نفس الحديث من قيد الاستطاعة
ويدل عليه قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فمن وجب عليه وفعله

ولم يمتثل المخاطب فلا عتب عليه بعد ذلك لعدم تقصيره هنالك حيث
ادى ما عليه وما عليه ان لا يقبل منه كما يشير اليه قوله تعالى وما على الرسول
الا البلاغ لكن انما يجب بشرط ان يكون الشخص عالما بما يامر وينهى وان يبتدئ
بالرفق واللين ثم بالاشد فالاشد على سبيل التدريج لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة ولقوله عليه السلام الدين النصيحة فالنصيحه
سقدم على الفضيحة فقد قال الشافعي من وعظ اخاه سرا نصحه وزانه ومن
وعظه علانية فقد فضحه وشانه ولانه ربما ينفع الملاينه واللطف
في موضع لا ينفع فيه الغلظة والعنف قال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى ولا يشترط في الامر والناهي ان يكون كامل الحال ممتثلا بما يامر به مجتنبا
عما نهى عنه لان الواجب عليه شيئان فاذا قام باحدهما دون الاخر جاز والاكمل
ان يكون عاملا ليكون تاثيره كاملا وعليه الحمل ما ورد عظ نفسك فان اتعظت
فعظ الناس ولذا قيل • وغير تقي يامر الناس بالتقى • طبيب يداوي الناس
وهو مريض • وقيل ايضا لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم
واما قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فالانكار منصب على
النسيان لا على الامر بالبر من الايمان والاحسان وذلك اي انكار قلبه و
كراهته بانفراده اضعف الايمان اي اضعف زمانه او مكانه او حصال
وخذ وايه وهو اضعف الايمان وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل
وانما يكون اضعفه لانه لم يبق وراء هذه المرتبة مرتبه مرتبة اخرى له
كما قاله القرطبي وقال المصـ اي اقله ثمرة يعني وادناه نتيجة فمن لم يغير المنكر
مع القدرة كان من العاصين ومن تركها بلا قدرة او يرى المفسدة اكثر من
المصلحة ويكون منكرا بقلبه فهو من المؤمنين حيث ما اثار فتنة نائمة بين المسلمين
ولهذا

ولهذا قيل هذا زمان السكوت والبيوت والقناعة بالقوت الى ان يموت
فان قيل اذا رضي بالمنكر قلبه ولم يكرهه هل يكفر بذلك ام لا قلنا ان رضي
معتقدا لجوازه فهذا متضمن تكذيب الشرع في تحريمه وهو كفر وان رضي
به لغلبة الشهوة والهوى ومقتضى الطبع مع اعتقاد تحريمه فهو
فسق لا كفر هذا وقد قال المصـ في شرح مسلم الامر هنا للوجوب وهو محمول على
ما اذا كان المنكر حراما فانه حينئذ وجب الزجر عنه اذ لو كان مكروها لم يجب
بل يندب وكذا الامر بالمعروف فتبع لما يومر به فان وجب فواجب وان ندب
فمندوب ولم يتعرض له في الحديث لان النهي عن المنكر شامل له اذ النهي
عن الشيء امر بضده وضد المنهي اما فرض او واجب او سنة والكل معروف
ثم اعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ان علم به اكثر من
واحد والا فهو فرض عين على من راه فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم
قال لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليعمنكم الله بعذاب اليم
من عنده ومنه قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
وفي حديث اخر ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا عمل
المنكر جهارا استحقوا العقوبة كلهم ثم اذا علم ان كلامه لا يوثر هنالك
سقط عنه الوجوب عند اكثر العلماء بل ادعى بعضهم الاجماع على ذلك
ويشير اليه قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى ويدل عليه قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقد
سئل عنها صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر
حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي
راي برايه ورايت امرا لا بد لك به فعليك بنفسك واياك وامر العام

فان من ورائكم اياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل يومئذ كاجر
خمسين اما انكار المنكر بالقلب فهو فرض عين على كل احد لقدرته عليه
ومن ثم قال ابن مسعود هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر و
اما ما ورد من انه يؤتى بالرجل يوم القيمة فيقول الله تعالى له ما منعك
اذا رايت كذا وكذا ان تنكره فيقول خشيت الناس فيقول الله اما
كنت احق ان تخشى فالمراد بالخشية فيه مجرد دعايتهم مع القدرة
على ازالة معصيتهم اذ لو وجب الانكار مطلقا ولو قتل المنكر كما قال بعض
العلماء لم يتات قوله عليه السلام فان لم يستطع وكذا قوله عليه السلام ما من
قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم قدروا على ان يغيروا فلا يغيروا الا يوشك ان يعمهم
الله بعقابه رواه ابو داود وقبل ان يموتوا فاذا جاز التلفظ بالكفر عند الخوف
حالة الاكراه كما في قوله سبحانه من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان الاية فبالاولى ان يجوز ترك الانكار عن المعصية
عند الخشية لان قبح الفعل اكثر من تركه نعم لو فعل ما يجر الى قتله فهو
ماجور بفعله كما يستفاد من قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله روي ان عمر رضي الله عنه سمع انسانا يقرا هذه الاية فقال
انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل و
من قوله سبحانه ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس ولقوله وامر
بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ثم لا انكار في المختلف فيه
بناء على ان كل مجتهد مصيب او المصيب واحد الا ان المخطئ غير متعين
لنا مع ان الاثم موضوع عنه وعمن تبعه كما قال بعض علمائنا من تبع عالما
لقي الله سالما وذلك لعموم قوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون

لكن

اي يبيع
معالم التنزيل

في وسط الجزء الثاني

لكن الاولى ان يخرج عن عهدة الخلاف بان يامر وينهى بالرفق دون
الاعتساف من باب النصيحة لا على وجه الفضيحة وعلى الامام ان
ينصب محتسبا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس له على الاصح ان يحمل
الناس على مذهبه سواء كان مجتهدا او مقلدا فلم يزل الخلاف بين الصحابة
والتابعين وينهى عن تصدر تدريس او افتاء او وعظ بلا اهلية
وينهى من كان واقفا مع امراة بشارع غير مطروق بالذهاب ويقول
له ان كانت اجنبية فاتق الله في المعصية وان كانت محرمة فصنها
عن موقف التهمة ويحرم البحث والتفحص قال تعالى ولا تجسسوا رواه
مسلم وكذا الامام احمد في مسنده والاربعة في سننهم الا ان
مسلما رواه بسنده عن طارق بن شهاب قال اول من بدء بالخطبة
يوم العيد مروان فقام اليه رجل فقال الصلوة قبل الخطبة فقال قد ترك
ما هنالك فقال ابو سعيد الخدري اما هذا فقد قضى ما عليه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا فليغيره الخ
الحديث فان قلت ظاهر الحديث بايراد الفاء التعقيب يفيد ان ابتداء
الاحتساب يكون باليد عند القادر في هذا الباب ثم باللسان على وجه
النصيحة للاحباب ثم بالقلب عند العجز عنهما وهو ينافي ظاهر قوله
تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فانهما يقتضيان
التدريج في القضية بان يامر وينهى اولا باللسان ثم عند عدم النفع
به يعالج الدفع بالاركان وقد ورد ايضا من امر بمعروف فليكن امره
في ذلك بمعروف قلت المراد في الحديث بيان مراتب قوة ارباب الاحتساب
فاعلاهم من يقدر باليد وسائر الاركان واوسطهم من لم يستطع الا باللسان

مطلب

واد ناهم من لم يقدر الا بانكار الجنان كما يدل عليه قوله وذلك
اضعف الايمان اى اضعف لعله واما باعتبار ترتيب الانكار فلا
شك انه اولا ينكر بقلبه وهذا فرض عين كما قرر فى محله فمن قال انه
للعوام مراده العامة او اكتفاؤه انما هو فى حق العوام ثم ينكر بلسانه
ان كان قادرا عليه سواء يكون من العلماء او فى معناهم من الاولياء
ثم عند عدم نفعه بلسانه ينكر بيده ويزيله سواء يكون من الامراء او
فى معناهم من الاقوياء اذا لم يترتب عليه المفسدة بين الاعداء والاحباء
وهذا ما ظهر لى وهذا المقام ولم ار من تعرض له من الشراح الكرام
والله سبحانه اعلم بحقيقة المرام ويؤيده ما روى ان رجلا من اصحاب
النبى عليه السلام وقع فى الشام وابتلى بشرب المدام فبلغ الخبر الى امير
المؤمنين عمر فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول
لا اله الا هو اليه المصير فتاب الرجل منها ونزع بالفعل عنها وذكر ابن
ابى الدنيا عن ابن عباس يرفعه قال يأتى على الناس زمان يذوب
فيه قلب المؤمن كما يذوب الملح فى الماء قيل يا رسول الله قال يرى
من المنكر لا يستطيع تغييره تنبيه قال محمد بن واسع بلغنى
ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار قالوا لهم
قد كنتم تأمروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة بها قالوا كنا نأمركم
بها ونخالفكم الى غيرها وفى الصحيح انه عليه السلام راى فى النار
قوما يدورون كما يدور الرحى فقال يا جبريل من هؤلاء فقال
كانوا يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويفعلونه

وفى

مطلب

وفى الصحيح ايضا يلقى العالم فى النار فتندلق اقتابه فيقال له ذلك فيقول
كنت امر بالمعروف ولا افعله وانهى عن المنكر وافعله ثم اعلم ان اعجب
ما فى زماننا هذا ان الذين يظن بهم العلم والدين ممن يتعين عليهم الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر هم بانفسهم متلبسون بمناكر شتى اصلا وفرعا
يجب انكارها عليهم عرفا وشرعا لكن كما قيل • بالملح يصلح ما يخشى تغيره •
فكيف بالملح ان حلت به الغير ولقد احسن من قال من ذوى الحال
هذا الزمان الذى كنا نحذره • فى قول كعب وفى ابن مسعود ان دام هذا
ولم يحدث له غيره • لم يبك ميت ولم يفرح بمولود • وروى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال هل تدرون فيم سخط الله تعالى على بنى اسرائيل
قالوا الله ورسوله اعلم قال ان الرجل منهم كان يرى الرجل منهم على معصية
فينهاه بعض النهى ثم يلقاه فيضاحكه ويواكله ويشاربه كانه لم يره
على معصية حتى كثر ذلك منهم فلما علم الله ذلك منهم ضرب بقلوبهم على
بعض ثم لعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد الظالم
او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعن من قبلكم انتهى
وقد قال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون
وقال تعالى لولا ينهيهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم
السحت لبئس ما كانوا يصنعون هذا وقال ابن مسعود بحسب
المرء اذا راى منكرا لا يستطيع تغييره ان يعلم الله من قلبه انه له كاره
قال القرطبى ويروى عن بعض الصحابة انه قال ان الرجل اذا راى منكرا لا
يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات اللهم هذا منكر فاذا قال ذلك

ابتلاء وخروج القشب العام

والنفس احلاث الدهر المغرق

فقد فعل ما عليه يعني من اظهار الانكار فان الاكتفاء بمجرد انكار القلب
ليس من شان علماء الابرار فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فحيث
عجز عن انكار المنكر بالنسبة الى صاحب الشر فينبغي له ان يذكر عند غيره ليشيع
الانكار واقل فائدته ان يعلم الناس المنكر وصاحب المنكر فان الناس لو
اجتمعوا على السكوت في كل قضية لما حصل التمييز بين المعروف والمنكر
في الامور الدينية بالنسبة الى السفهاء بل وظنوا ان ما فعله العلماء ليس
من المنكر مع انه انكر من كل منكر فتدبر ولهذا ورد ويل للجاهل مرة وويل
للعالم سبع مرات وصح انه من اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه
الله بعلمه وقد قيل فساد العالم فساد العالم وسببه ان السفهاء اذا راو
عالما حريصا على جميع المال ولو من الحلال اقتدوا به ووقعوا في ارتكاب
الشبهة بحسب المال واذا راوه يرتكب الشبهات وقعوا في المحرمات
واذا راوه انه لا يجتنب المحرمات وقعوا في الكفر بناء على ظنهم لولا انه جائز
هنا عنده لما فعله ولم يعلم هذا المسكين انه يقول بلسان الحال الحلال ما
حل بنا والحرام ما حرمنا والحاصل ان هذا الزمان قد كثر فيه العصيان
وظهر من اهل الطغيان بحيث امتنع فيه اظهار الانكار باللسان
وهذا معجزة عظيمة لنبي اخر الزمان فقد روى ابن ماجه عن انس بن مالك
رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر قال اذا ظهر فيكم ما ظهر في الامم قبلكم قلنا يا رسول الله وما ظهر في الامم
قبلنا قال الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رذالكم يعني
في فجاركم وقيل كل بلدة فيها اربعة فاهلها معصومون من البلاء امام
عادل لا يظلم وعالم على سبيل الهدى ومشايخ يامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر

عن المنكر ونساء مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية الاولى انتهى
وقد ظهر الفساد في البر والبحر فيما بين العباد حتى في خير البلاد والله
روف بالعباد وقال رجل لابن عباس اني اريد ان امر بالمعروف وانهى عن
المنكر قال او بلغت ذلك قال ارجو قال فان لم تخش ان تفتضح بثلاثة احرف
في كتاب الله عز وجل فافعل قال وما هي قال قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم احكمت هذه الاية قال لا قال فالحرف الثاني قوله تعالى لم تقولون ما لا
تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون احكمت هذه الاية
قال لا قال فالحرف الثالث قال قول العبد الصالح شعيب عليه السلام و
ما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه احكمت هذه الاية قال لا قال فابدا
بنفسك انتهى والايات الثلاثة مختلفة المبنى متحدة المعنى وقد قيل
ان ظاهر قوله تعالى عليكم انفسكم يرجح ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
لان المعنى الزموا انفسكم ولكنه محمول على ما سياتي من اخر الزمان كما سبق
في الحديث من البيان مع ان التحقيق في معنى الاية انكم اذا فعلتم ما كلفتم
به فلا يضركم تقصير غيركم ومن ثم قال ابن مسعود ان من اكبر الذنب عند
الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك ويؤيده قوله تعالى
واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم او محمول على العاجز
عنهما بسبب عدم العلم بهما او عدم انتهائه منهما حيث يجب عليه اولا
ان يعالج نفسه في القيام بحقهما او بالنسبة الى المستغرقين في لجة الوجود
المطلق بدوام شهود الحق وغيبتهم عن احوال الخلق والمتحير في بحر الوحدة الذاهل
عن مشاهدة الكثرة او الواقع في فضاء القضاء في عالم التقدير الذي لا يتصور
فيه التبديل والتغيير كما قال قائلهم لا انكر الباطل في طوره فانه بعض ظهوراته

او فی عالم الفناء فلا یتصور منهم الانکار کما قال بعضهم لیس فی الدار غیره
دیار علی ان هذا کله مقام ناقص بالنسبة الی مقام الجمع الذی هو حال
الانبیاء وخلاصة الاولیاء والاصفیاء حیث لا یمنعهم شهود الوحدة
عن وجود الکثرة ولا ظهور الکثرة عن نور الوحدة فیعطون کل ذی
حق حقه فیامرون بالمعروف الذی عرفه الله وینهون عن المنکر الذی
انکره الله وان کان الکل جاریا علی حسب ما قدره وقضاه ثم من اهم شروط
الامر بالمعروف والنهی عن المنکر ان یکون صاحبه مخلصا فی فعله طالبا اظهار
دین الله واعلاء کلمته والمعتقد امر فی ثبوته دون الریا والسمعة والحمیة
لنفسه وطبیعته فانما ینصر ویزول به المنکر اذا کان صادقا فی مقام الاخلاص
موافقا قال تعالی ان تنصروا الله ینصرکم ویثبت اقدامکم واما ما روی عن
ابی هریرة مرفوعا مروا بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنکر وان لم
تنتهوا عنه فقد سبق بعض بیانه وان شرط العمل لرفعة شانه وسبب
تاثیره فی میدانه ویمکن ان یقال المعنی وان لم تعملوا بالکلیة وان لم تنتهوا عن جمیعه
فان من یکون خالیا عن ترک معروف وفعل منکر فهو عزیز الوجود فلو شرط
ذلک لتعطل هذا الحکم بالکلیة هنالک ومن ثم قال عبد الله بن المبارک
اذا وصف لی رجل له علم الاولین والاخرین لا اتاسف علی فوت
لقائه واذا سمعت رجلا له اداب النفس اتمنی لقاءه وهذا کما قال قائلهم
اتمنی علی الزمان محالا ان تری مقلتای طلعة حر فان الحر من لا یسترقه
دنیاه ولا یستعبده هواه ومما یؤید کلام ابن المبارک قوله تعالی ان
اکرمکم عند الله اتقیکم حیث لم یقل اعلمکم واغناکم وقوله سبحانه لیبلوکم
ایکم احسن عملا لا ازید علما واززین املا ومن ثم جاء فی تفسیر ازهد

٧

جمع الجمع مقام قاب قوسین
فرغانی شرح تائیه ابن
فارض مقام

جاریا

عبد الواحد گفت که ابو العباس
گفت اگر دوا بودی که در نماز
بجای قران بیتی از شعر خواند
ندی این بیت بودی
تمنیا الاسی

فی الدنیا وارغب فی العقبی وقد رایت فی الغنیة للقطب الربانی عبد القادر
الجیلانی تفصیلا حسنا فاحببت ان اذکره هنا وهو ان ما یومر به وینهی عنه
علی قسمین احدهما ظاهر من المعروف کوجوب صلوات الخمس وصوم رمضان
والزکوة والحج ونحوها ومن المنکر کتحریم الزنا وشرب الخمر والسرقة وامثالها فهذا
القسم یجب انکاره علی العامة کما یجب علی الخاصة والقسم الثانی ما لا یعرفه الا
الخواص مثل اعتقاد ما یجوز علی الباری عز وجل وما لا یجوز فهذا یختص
بالعلماء انکاره علی السفهاء انتهی ولا یبعد ان یکون معنی قوله فی الحدیث فبقلبه
ای فلیغیره بهمة قلبه وتضرعه لربه فان همة الرجال تهد الجبال وقد روی
ان بعض الاولیاء سمع صوت جماعة من اهل اللهو والغناء فقال اللهم
کما فرحتهم فی الدنیا ففرحهم فی الاخری فتاب الله علیهم ورجعوا علی ما
لدیهم واحسن الله الیهم

الحدیث الخامس والثلاثون

عن ابی هریرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه
وسلم لا تحاسدوا بفتح التاء والسین واصله لا تتحاسدوا فحذف
احدی التائین تخفیفا وکذا قوله ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا
والمعنی لا یحسد بعضکم بعضا والحسد تمنی زوال النعمة عن الغیر مطلقا
وقد یستعمل بمعنی الغبطة وهی تمنی حصول مثل ما لاخیه من النعمة من غیر
ان تزول عنه ان تحول وعلیه یحمل حدیث لا حسد الا فی اثنین وهی قد یکون
واجبة اذا کانت علی نعمة دینیه واجبة کالایمان ومندوبة کتشهیر العلم
بالتصنیف والتدریس والشهادة فی سبیله والموت فی بلد رسوله ومباحة
وهی فی الامور المباحة واما الحسد فمذموم شرعا وعقلا ففی الکتاب ام
یحسدون الناس علی ما اتیهم الله من فضله وفی الحدیث ایاکم والحسد فان الحسد

ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب رواه ابو داود والحاكم وغيرهما وهو
اول ذنب عصي الله به فان ابليس بحسده لادم اخرجه من الجنة ولتكبره
عليه ما سجد له ثم تعرض منه في الخاطر من غير ان يكون له قرار معفو عنه
ولذا ورد اذا حسدت فلا تبغ اي لا تحققه بالبغي وهو عقد القلب عليه
ودوام التوجه اليه ومنه قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا تقرر
لديه هذا ومن قواعد الدين على مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة ان
السيئة لا تمحو الحسنة الا ان كانت كفرا فانها لا تبقي خيرا بل ان الحسنة تمحو
السيئة كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ولعل الحكمة في ذلك غلبة
فضله على عدله كما يشير اليه حديث القدسي سبقت رحمتي غضبي
فقوله عليه السلام ان الحسد ياكل الحسنات يحتاج الى تاويل والاظهر
ان يقال الحسد يحمل الحاسد على افعال واقوال بالنسبة الى المحسود من السيئات
فيعطى له من حسنات يعملها الحاسد من الطاعات والعبادات وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن
اصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن اياكم والكبر فان ابليس حمله
الكبر على ان لا يسجد لادم واياكم والحرص فان ادم حمله الحرص على ان اكل من
الشجرة واياكم والحسد فانه ما قتل ابني ادم احدهما الاخر الا الحسد
قال بعضهم الحاسد هو الجاحد لانه لا يرضى بقسمة الواحد وعن معاوية
كل انسان اقدر على ان ارضيه الا الحاسد فانه لا يرضيه الا زوال النعمة
ولذا قيل كل العداوة قد ترجى ازالتها • الا عداوة من عاداك من حسد
وعن عمر بن عبد العزيز ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من الحاسد
غم دائم ونفس متتابع قيل وله اربع مراتب احديها ان يحب زوال

النعمة

النعمة على صاحبها وان لم يحصل له وهي اخبث او زوالها عنه اليه
وهي اخف او لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عنه احب
زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما او لا يحب زوالها وهذا هو المعفو عنه ان
كان في امر الدنيا ومندوب اليه ان كان في امر العقبى وما قبله مذموم من وجه
غير مذموم من وجه اخر فتدبر ومنشاؤه العداوة والبغضاء كما في الشعراء
والتعزز كما في الاغنياء وحب الرياسة كما في الامراء والمشايخ والعلماء و
علاجه ان يعلم ان الكل بالقدر والقضاء ويجب على العبد القناعة بالقسمة
في مقام الرضا وان يتذكر مضاره من سخط الله تعالى والهم اللازم والغم
الدائم وانه لا يضر المحسود بل ينفعه حال الوجود ولا يضره في مقام الشهود
قال تعالى قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور وان ياتي بالاحوال
المتضادة لمقتضيات الحسد والعداوة بان يمدح المحسود ويتواضع
حتى يصير المحسود محبوبا ومحبا له قال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقيها الا الذين صبروا وما يلقيها
الا ذو حظ عظيم وانشد اذا ما شئت ان تحيا حيوة حلوة المحيا • فلا
تحسد ولا تبخل ولا تحرص على الدنيا ومن كلام ابي الطيب • واظلم اهل
الارض من كان حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب • ومن كلام اهل الحكمة ان
الحسود لا يسود • وانشد بعضهم دع الحسود وما يلقاه من كمده كفاك — الكمد الغصة
منه لهيب النار في كبده ثم التناجش تفاعل من النجش وهو اثارة الصيد
والمراد هنا اثارة بعضهم بعضا بالفتنة او دفع ثمن المعروض على البيع و — الاثارة اقامة الشيء من مقام وقلعه ودفعه وتحريكه
هو غير راغب فيه ليخدع غيره في الحديث من غشنا فليس منا والمكر و
الخداع في النار وقيل من النجش بمعنى التنفر اي لا ينفر بعضكم بعضا بان

يسمعه كلاما يكون سببا لنفرته او يعمل شيئا يحصل له تنفرمنه سوء
عشرته وهذا اعم وفي المعنى اتم وقوله ولا تباغضوا اى لا يبغض بعضكم بعضا
والمعنى لا تشتغلوا باسباب العداوة اذ العداوة والمحبة مما لا اختيار
فيه قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
وفي الحديث تهادوا وتحابوا وروى تصافحوا فانه يذهب الشحناء وروى
الترمذي تهادوا فان الهدية تسل السخيمة وقيل المعنى لا توقعوا العداوة

الشحيمة الحقد والحسد

والبغضاء بين المسلمين فيكون نهيا عن النميمة وامثالها مما يوقع الفتنة
ثم البغض قد يكون واجبا كما قال تعالى لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء
وقد يكون ندبا ومنه قوله عليه السلام من احب لله وابغض لله واعطى
لله ومنع لله فقد استكمل ايمانه وفي خبر مسلم والذى نفسى بيده لا تدخلوا
الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا ولا تدابروا اى لا تتكلموا في
ادبار اخوانكم بالغيبة او لا تقاطعوا لانه اذا فعلوا ذلك اعرض كل عن

ادبار

صاحبه وولى دبره والاول اولى لان التقاطع مندرج في التباغض
ومفهوم منه بطريق الاولى وقيل المعنى لا تولوا ادباركم استثقالا بل
ابسطوا وجوهكم استقبالا ثم لا يجوز الهجران في الكلام اكثر من ثلاثة
ايام لا العذر من جهة الاسلام قال الخطابى هذا اذا كان بعتاب او جفاء
وما اشبه ذلك من باب الاخلاق واما اذا كان لمعصية فيجوز ثم
التباغض لا يستلزم التدابر لان المتداعيين قد يترافقان ولا يتفارقان
والتدابر لا يستلزم التباغض لان المتدابرين لمصلحة قد يتحابان ولا

تداعى العدو اقبل

يبيع بعضكم على بيع بعض بان يدعو المشترى قبل لزوم البيع الى الفسخ
ويبيع منه مثله بارخص من ثمنه او اجود منه بثمنه وذلك حرام

لمافيه

لما فيه من الايذاء الموجب للعداوة والبغضاء ومثله الشرى على الشرى
بان يقول للبايع في زمن الخيار افسخه وانا اشتريه منك باعلى وكذا يحرم
السوم على سوم غيره كما في رواية مسلم والخطبة على خطبة اخيه كما في
الصحيحين وكونوا عباد الله اى عبيده اخوانا خبر اخر لكان او عباد الله
منصوب على الاختصاص والمدح او على انه منادى حذف حرف ندائه و
المعنى انتم مستوون في كونكم عباد الله وملتكم واحدة في سبيل الله والتحاسد
والتباغض والتدابر منافية لحالكم فالواجب ان تعاملوا معاملة الاخوة
والمعاشرة بالتلطف والمودة والمعاونة على البر والنصيحة ويفهم من
الحديث ان الكافر ليس عبد الله بمعنى انه لا يقوم بما يجب على العبد من امتثال
امر المولى ولو روى بتنوين عباد الله ويكون لام لله للاختصاص في مقام
الاخلاص لكان له وجه وجيه في المعنى كما قرئ بهما في قوله تعالى كونوا انصار
الله المسلم اخو المسلم اى كاخيه لانه يجمعهما دين واحد في المرتبة الدينية
كما يجمعهما اب واحد في الاخوة النسبية بل الاخوة الدينية اعظم
من الاخوة الحقيقية لان ثمرة هذه دنيوية فانية ونتيجة تلك اخروية
باقية كما يشير اليه قوله سبحانه يوم يفر المرء من اخيه وقوله تعالى
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وهذا الحديث مستفاد
من قوله تعالى انما المومنون اخوة وكلاهما من باب التشبيه البليغ
وفي الصحيحين جاء ما هو ابلغ في هذا المعنى حيث قال صلى الله عليه
وسلم مثل المومنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد اذا
اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وروى
ابو داود المومن مراة المومن المومن اخو المومن يكف عنه ضيعته
انظر والاوورقة

اذا اتى احدهما التفات فلا ان لم يفسخ العقد البيع

وفي الفسخ كمن وكذا النكح ونحوه

واعلم ان لفظ الكتاب يشعر بانه تمثيل لمعناه او تبادل

تداعى من الدعوة

تداعى العدو اقبل

اى جملة المسلم اخو المسلم

ويحوطه من ورائه وروى الترمذي احدكم مرآة اخيه فان
راى به اذى فليمطه عنه والجملة استيناف وفيها استعطاف
كما يقال انما هو اخوك او استاذك وابوك وكذا قوله لا
يظلمه استيناف الا انه لبيان وجه الشبه لان من حق الاخ ان لا
يدخل ضررا في نفسه او دينه او ماله فان ذلك من قطع الارحام
وهنا ينافي اخوة الاسلام بل الظلم على الكافر حرام قيل الظالم يحط
اولا عن رتبة النبوة والامامة والولاية لا ينال عهدي
الظالمين وثانيا عن نظر الحق عن مزيد السلطنة بيت الظالم خراب
ولو بعد حين وثالثا عن نظر الخلق جبلت القلوب على حب من
احسن اليها وبغض من اساء اليها ورابعا عن رب العالمين
الا لعنة الله على الظالمين وخامسها عن حظ نفسه و
لكن كانوا انفسهم يظلمون ولا يخذله بفتح الياء واسكان الخاء وضم لا يخذله
الذال المعجمة قال العلماء لا يترك نصرته واعانته الممكنة
له اذا استعان به في دفع ظلم ونحوه ان لم يكن له عذر شرعي في
تركه قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وفي الحديث انصر اخاك
ظالما اي بان تكفه عن ظلمه كما في رواية البخاري او مظلوما
اي بان تدفع عنه من يظلمه وروى ابو داود ما من امرئ مسلم
يخذل امرءا مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته وينتقص فيه
من عرضه الا خذله الله في موضع يحب نصرته وروى احمد من
اذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على ان ينصره اذله الله
على رؤس الخلائق وروى البزار من نصر اخاه بالغيب نصره الله

يخ

في الدنيا والاخرة ولا يكذبه بفتح الياء واسكان الكاف ذكره المظهر
وقال السيد جمال الدين هذه اللفظة ليست في مسلم ولا في كثير
من النسخ في اصل النووي قيل عدم وجودها في مسلم مسلم واما
في اصل النووي ولا لتعرضه في باب الاشارات بتصحيح هذه
اللفظة فبناء على هذا قوله رواه مسلم مشكل ودفعه بعضهم
انه في كثير من نسخ الاشارات لم يذكر هذه اللفظة فيزول الاشكال
بالكلية والله اعلم بحقيقة القضية فالصواب ترك هذه الكلمة
من المتن كما في اصل الفاكهاني ولعلها وقعت في غير رواية مسلم لكن
ايرادها في ذيل رواية غير مسلم ومن العجائب ان ابن حجر ذهل عن تحقيق
هذا الخبر وتبع غيره في ايراده اثناء الاثر والمعنى لا يخبره بامر على خلاف
الواقع لغير مصلحة اذن فيها الشارع او من غير ضرورة ملجئة اليه
ثم الكذب من اشد الاشياء ضررا والصدق اشدها نفعا قال
تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وفي
الصحيح ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الكذب يهدي
الى الفجور والفجور يهدي الى النار ولا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند
الله صديقا ولا يزال الرجل يكذب حتى يكتب عنده كذابا ولا خلاف ان
الكذب حرام واجازه بعض العلماء في الحرب والاصلاح بين الناس و
على الزوجة وفي دفع الصائل على المسلم بغير حق واجب ولا يحقره بفتح
الياء وسكون الحاء المهملة وكسر القاف اي لا يستحقر شانه بذكر
العيب الذي شانه ولا يستسخر به اذا راه فقير الحال كسير البال فعن يستسخر
ابن مسعود رضي الله عنه انه قال البلاء موكل بالمنطق لو سخرت من

الشيخ نقض الكلام او ضعف
او لعله

كلب خشيت ان اجعل كلبا ورُوي بضم اوله وسكون الخاء
المعجمة وكسر الفاء اي لا يغدر عهده ولا ينقض امانه قال القاضي
عياض والصواب المعروف هو الاول الموجود في غير كتاب مسلم
ويؤيده رواية ولا يحتقره ثم الاحتقار ناش من التجبر والاستكبار
ففي خبر مسلم الكبر بطر الحق وازدراء الناس وفي رواية لاحمد
سفه الحق وازدراء الناس اي جهله بالحق واحتقاره بالخلق
مع انه مأمور بتعظيم امر الله والشفقة على خلق الله وفي رواية لا
يعد الناس فلا يراهم شيئا وهذا ما ينافي قوله صلى الله عليه وسلم لا يكمل
ايمان احدكم حتى يكون الناس عنده كالاباعر فان المراد به انه لا يرى
منهم ضرا ولا نفعا ولا اعطاء ولا منعا بل يستغرق في بحر شهود الوحدة
فانيا عن الخلق باقيا بالحق ثم مفهوم الكلام انه يحقر من لم يكن في دين الاسلام
لقوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم فاما ما ينقمه العاقل من الجاهل
والعدل من الفاسق فليس ذلك احتقارا لعين المسلم وذاته وانما ذلك
لما عرض له من سوء صفاته فمتى فارق الجاهل جهله والفاسق فسقه
تعين الانتقال الى الاحتفال به والرفع لقدره التقوى ههنا استيناف
مبين انا المسلمين في درجة مرتبة واحدة وان كان اكرمهم عند الله
اتقاهم الا ان التقوى امر باطني لا يعلمه الا المولى فالمدار على ما به
الاشتراك الظاهري فربما اري ذا عاهة في بدنه او لثغة في لسانه
او سوادا في جسده او اعمى او اعور او اعرج او قصيرا او طويلا وامثال
ذلك فلا ينظر اليه بعين المنقصة فلعله اخلص ضميرا واتقى باطنا
وانقى سرا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله

ودرقه

ودرقه انسيه والمعنى محل التقوى هو القلب الذي في الصدر فهو في غاية
من الستر والتحقيق ان مادة التقوى في القلب لان حقيقة التقوى اجتناب
المحظورات وامتثال المامورات ومادتها خوف الله ومراقبته في الحالات الحاملة
له على مداومة الطاعات فمن كان في قلبه التقوى من جانب الحق فلا يوجد منه الظلم
والتحقير للخلق والمراد ان التقوى اذا كان محلها القلب لا يطلع عليه غير الرب
فلا يجوز لاحد ان يحكم بعدم تقوى مسلم حتى يحقره وهذا كما قال تعالى ومن يعظم
شعائر الله فانها من تقوى القلوب وكما ورد ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا
الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وفي رواية ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم
ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وفي اخرى لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر
الى قلوبكم واحوالكم وقد ورد ان القلب بيت الرب وفي الصحيحين الا اخبركم
باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار
كل عتل متكبر وفيهما ايضا تحاجت الجنة والنار فقالت النار انا اوثرت
بالمتكبرين والمتجبرين زيد في رواية احمد والملوك والاشراف وقالت الجنة
لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وفي رواية لاحمد الفقراء والضعفاء
والمساكين فقال للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء عبادي ومفهومه انه
قال للنار انت نقمتي انتقم بك واعذب بسببك من اشاء من عبادي
وفي صحيح البخاري مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل جالس
عنده ما رايك في هذا قال رجل من اشراف الناس وانه حري ان خطب ان ينكح
وان شفع ان يشفع فسكت صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل اخر فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما رايك في هذا الرجل قال يا رسول الله هذا رجل من
فقراء المسلمين هذا حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال

ان لا يسمع لقوله فقال صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملئ الارض من مثل هذا
هذا دليل صريح عن نقل صحيح على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر حيث عمم الحكم
ولم يفرق بين المتقي وغيره ويشير الى صدره قائله ابو هريرة وفاعله ضمير النبي صلى الله
عليه وسلم والعدول عما يقتضيه الظاهر وهو الماضي الى المضارع لاستحضار
تلك الحال في نظر ارباب الكمال ثلاث مرار بكسر الميم اي مرات للاهتمام بشانه و
الاعتناء ببيانه والاقرب انه ظرف متعلق بقوله يشير حتى يكون الاشارة الى
صدره ثلثا ويحتمل ان يكون متعلقا بقوله التقوى لما ثبت في شمائله عليه السلام
انه اذا تكلم تكلم ثلثا او الانسب ان يكون متعلقا بهما حتى يكون كل من القول و
الفعل ثلثا وفيه غاية المبالغة وعلى كل تقدير فالواو في قوله ويشير للحال هذا
وقال بعض ارباب الكمال معناه ان حقيقة التقوى في صدري وفروعها في
قلوب غيري لانه محل عين الجمع ومراة كشوف الغيب كما قال انا اعلمكم الله و
اخوفكم منه بين ان من زاد معرفة الله زاد خشيته وتقواه ومن المعلوم انه
ليس في الكونين اعرف منه وقد ورد لكل شيء معدن ومعدن التقوى قلوب
العارفين لان العارف غائب في عظمة الله وقدرته شائق الى لقائه ورؤيته (مطلب)
هائم في ساحة محبته تجري عيون التقوى من بحار معرفته من روحه
الى قلبه ومن قلبه الى صورته وسره معدن التوحيد ومنبع التفريد لان
الحق سبحانه تجلى فيه بنعت القدم بعد ما اوجده من فضاء العدم وروحه
معدن المعرفة لان الحق تعالى تجلى بوصف البقاء فيها وقلبه معدن التقوى و
الخشية لانه عز وجل تجلى فيه بوصف الكبرياء والعظمة فالتوحيد من عين
القدم والمعرفة من عين البقاء والتقوى من عين الكبرياء بحسب امرئ
من الشر قال المص هو باسكان السين المهملة اي يكفيه من الشر انتهى

والباء

والباء زائدة والمراد بالشر الجنس اي كافيه من خلال الشرور ورذائل الاخلاق
في الصدور وهو مبتدء خبره ان يحقر اخاه المسلم بالنصب صفة لاخاه
وكرر لتاكيد حرمة الاسلام عند الله ولما كان هنا منشاء سؤال وهو ان
يقال الحكم التحقير ماذا احرام ام حلال فقال كل المسلم حرام دمه وماله وعرضه
اي حسبه ونسبه فكل المسلم مبتدا وفيه رد على من زعم ان كل لا تضاف
الا الى نكرة خبره حرام وما بعده بدل لكل وجعل الثلاثة كله وحقيقته لشدة
اضطراره اليها اما الدم فلان به حياته واما المال فمادة الدم وهو مادة
حياته وعدة حركاته وسكناته والعرض به قيام صورته ونظام هيئته واقتصر
عليها لان ما سواها متفرع عليها وراجع اليها والتقدير اراقة دمه واخذ
ماله وهتك عرضه ويكون حرمتها هي الاصل والغالب لم يحتج الى تقييدها
بما اذا لم يعرض ما يبيحها شرعا كالقتل قودا واخذ مال المرتد فيئا وتوبيخ المسلم
تعزيرا وقوله في رواية الاحقر بالمرء للايضاح والبيان في شانها وهذا
فذلكة الحديث والمقصد الاهم منه وما سبق كالتمهيد له فيجب على كل
مسلم ان لا يقع في عرض اخيه بالغيبة والطعن والقذف والشتم والتعيير
واللمز والتجسس عن عوراته وافشاء اسراره فقد روى احمد لا تؤذوا
عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب عورة اخيه المسلم
طلب الله عز وجل حتى يفضحه في بيته واخذ بعض الصحابة حبل اخر ففزع
فقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يروع مسلما رواه ابو داود وروى
احمد وابو داود والترمذي لا ياخذ احدكم عصا اخيه لاعبا جادا اي لا
ياخذ متاعه يغيظه لانه حينئذ وان كان لاعبا في مذهب السرقة هو جاد
في ادخال الاذى والروع عليه وفي الصحيحين وغيرهما لا يتناجى اثنان دون

كيف يحتمل ان يكون التحقير حلالا بعد قوله بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم فليتفكر عفي عنه

العدة چیزی که برای حوادث دهر حاضر کرده شود

اللمز اشاره کردن بچشم وطعن ویعیب کردن

الثالث فانه يحزنه وفي رواية فان ذلك يوذى المومن والله تعالى يكره اذى
المومن وهذا مستفاد من قوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين
امنوا وليس بضارهم شيا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون
ثم يرى التفضل لكل احد على نفسه اما الصغير فلانه لم يعص الله وهو قد
عصى واما الكبير فلانه اسبق ايمانا واكثر طاعة واحسانا والعالم لعلمه
وفضله والجاهل لانه عصى الله بجهله فحجة الله عليه اوكد والكافر فلان العاقبة
غير معلومة ثم المراد بالعرض ما يجب او يستحب شرعا دعايته وحمايته لا
العصبية العرفية والحمية الجاهلية التي اعتادها اكثر العامة فيصرفون
المال لطلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق اذ هو من الهوى المتبع المهلك
لكثير من الناس فما اهلك الناس الا الناس ولو انصف العلماء لعلموا ان
اكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن الرسوم والعادات ما
يحملهم عليها الا مرادات الخلق لا مراعات الحق قال يحيى بن معاذ الرياسة
ميادين ابليس ينزل فيها هو وجنوده بانواع من تلبيس رواه مسلم
ورواه الترمذى بلفظ المسلم اخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا
يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى ههنا
بحسب امرئ من الشر ان يحتقر اخاه المسلم وفي الصحيحين لا
تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله
اخوانا وله طرق اخرى **السادس والثلاثون** عن ابى
هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من نفس
بتشديد الفاء اى فرج وازال ولو في الجملة عن مومن وفي نسخة
عن مسلم اى منقاد ولو ذميا بماله او بجاهه او اشارته او اعانته او

سفارته

الميادين جمع الميدان

سفارته ووساطته او دعائه وشفاعته كربة بضم اوله اى خصلة
يحزن بها والكربة ما تاخذ النفس من الغم في اصل اللغة من كرب الدنيا بضم
ففتح جمع كربة اى بعض كربها او كربة مبتدءة من كربها والمعنى هما واحدا من
همومها اى هم كان صغيرا او كبيرا من عرضه وعرضه وعدده وعدده نفس
الله عنه كربة اى عظيمة من كرب يوم القيمة التي لا تحصى لان الخلق
كلهم عيال الله وتنفيس الكرب انعام لهم واحسان وما جزاء الاحسان
الا الاحسان وليس هذا منافيا لما ثبت من تضاعف الحسنات على ان
كربة من كرب القيمة ولو كانت صغيرة تساوى عشرا او اكثر من كرب الدنيا
ولو كانت كبيرة وفي رواية للطبرانى من نفس عن مومن نفس الله عنه كربة
يوم القيمة ومن ستر على مومن ستره الله عورته ومن فرج عن مومن
كربة فرج الله عنه كربته فهذا يدل على ما قال بعضهم من ان التفريج اعظم
من التنفيس لانه ازالتها بالكلية فجزاء التنفيس التنفيس وجزاء
التفريج التفريج فعلم من ذلك فضل قضاء حوائج المسلمين او نفعهم في
كل حالة بما تيسر من علم او مال او جاه او اشارة او دلالة اغاثة او اعانة
او دعوة او شفاعة وقد جاء في الاثر الخلق عيال الله واحبهم الى الله انفعهم
لعياله ومن المعلوم ان المراد بكربة الدنيا ما هي جائزة غير محرمة فاما ما كانت
محرمة لا يجوز تفريجها ولا تنفيسها ثم قيل لفظ من بقيد العموم لكنه خص
بالمسلم لان الكافر لا ينفس عنه في الاخرة وفيه بحث اذ لا يبعد ان يخفف
عنه كربة في العقبى جزاء لما فعله بالمومن من الاحسان في الدنيا كما روى
من تخفيف عذاب ابى طالب مطلقا حيث كان يحمى سيد الانبياء عن ضرر
الاعداء وتخفيف عذاب ابى لهب ليلة الاثنين حيث اعتق جارية بشرته

مطلب

بولادة سند الاصفياء وهذا لاينافي قوله تعالى لا يخفف عنهم من
عذابها لان معناه لا يرفع عنهم او قدر من عقوبتهم في بدايتهم لا
ينقص في نهايتهم ومن يسر على معسر وهو من ركبه الدين وتعسر عليه
قضاؤه بالانظار او بالابراء كلا او بعضا كذا قاله الشراح والاظهر ان
يراد بالمعسر المفتقر وهو مطلق الفقير فالمعنى سهل عليه امره بالهبة والصدقة
والقرض والاعارة ونحوها بل الشامل للمحتاج الى تعليم العلم او العمل او الارشاد
الى الطريق السداد يسر الله عليه اي اموره ومطالبه في الدنيا والاخرة
والاحاديث في فضل التيسير على المعسر المديون كثيرة منها خبر مسلم
من سره اي ينجيه الله من كرب يوم القيمة فلينفس عن معسر او يضع
عنه وخبره ايضا من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا
ظل الا ظله وخبر احمد من اراد ان يستجاب دعوته وتنكشف كربته فليفرج
عن معسر ولا يخفى ان المعسر صاحب الكربة هو المريد المحتاج الى قطع العقبات
الظلمانية والمنازل النورانية كما اشتهر عن الكتاني ان بين العبد والحق
الف مقام من نور وظلمة ويتلقاه الوساوس ويستقبله الهواجس فعلى
شيخه ان ينفس كربة الوساوس عنه بامره بترك المبالاة بها والتامل في
الحجج العقلية ان استاصلها وباستدامة الذكر والابتهال الى الله في دفعها
ويسهل عليه سواء الطريق ويذيقه حلاوة التحقيق حتى يسطع في قلبه السطوع الظهور
انوار اقمار الوصول ويطلع في سره اثار شموس الحصول ومن ستر مسلما
اي بدنه بالالباس او عيبه عن الناس باخفائه وذنب غيره عن افشائه اذا
كان من حقوق الله تعالى كالزنا وشرب الخمر وشبههما دون حقوق الناس
كالقتل والسرقة ونحوها فان الستر هنا حرام والاخبار به واجب على الانام
وليس

وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة المحتمة وهذا
اذا كان ممن ليس معروفا بالفساد بان يكون من ذوي الهيئات لقوله عليه السلام
اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم الا الحدود كما رواه احمد والبخاري في تاريخه
وابوداود عن عائشة مرفوعا واما المعروف به فيستحب ان ترفع قصته
الى الوالي قال المص في شرح مسلم ولو رآه في معصية ينكرها بحسب القدرة
وان عجز يرفعها الى الحاكم اذا لم يترتب عليه مفسدة ستره الله تعالى في الدنيا
والاخرة بالمعنيين المذكورين وفي رواية للطبراني من ستر على مؤمن
عورته ستر الله عورته واخرج ابن ماجه من ستر عورة اخيه المسلم
ستر الله عورته يوم القيمة ومن كشف عورة اخيه المسلم كشف الله
عورته حتى يفضحه بها في بيته وروى احمد وابو داود والترمذي يا معشر
من امن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا
عوراتهم فانه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته
يفضحه في بيته هذا وفي الحديث اشارة لمن وقف على شيء من مقامات
اهل العرفان وكرامات ذوي الايقان ان يحفظ سره ويكتم عن غيره امره فان
صدور الاحرار قبور الاسرار اذا كشف الاسرار على الاغيار يسد باب
العناية ويوجب الحرمان والغواية من اطلعوه على سر فباح به لم يامنوه
على الاسرار ما عاش والله في عون العبد اي اعانته وهذا ابلغ من ان
يقال والله يعينه فكذا اذ المعنى ان الله يوقع العون في العبد ويجعله مكانا
له والمراد من عونه تعالى اياه تيسير قضاء الحاجة مثل ما اعان العبد لاديا
الفاقة او غير مثله اما بواسطة خلقه واما بغير واسطة بل من محض
فضله ما كان العبد اي مدة دوام كونه وفي نسخة ما دام العبد في عون اخيه

بقلبه او بدنه او ماله او جاهه عونا واجبا او مندوبا او مباحا دون
ما هو حرام او مكروه فانه لا يتعاون فيه قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وروى احمد من كان في حاجة اخيه كان الله
في حاجته وفي رواية الطبراني افضل الاعمال ادخال السرور على المومن كسوت
عورته او اشبعت جوعته او قضيت له حاجته وورد من سعى
في حاجة اخيه المسلم قضيت له او لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق و
امر الحسن ثابتا البناني بالمشي في حاجة فقال انا معتكف فقال له يا
اعمش اما تعلم ان مشيك في حاجة اخيك المسلم خير لك من حجة بعد
حجة ولعل مراده انا مريد للاعتكاف لقوله تعالى لا تبطلوا اعمالكم او كانت
الحاجة ضرورية والاعتكاف سنة او فريضة غير فورية ويمكن تداركه
بالقضاء كما اذا وقع استغاثة احد الابوين للولد المصلي فانه يقطعها ثم
يقضيها وقد روى احمد ان خبابا بن الارت خرج في سرية فكان صلى الله
عليه وسلم يحلب عنزا لعياله فتملا الجفنة حتى تفيض زيادة عن حلابها فلما
قدم وحلبها عاد الى ما كان وكان ابو بكر رضي الله عنه يحلب للحي اغنامهم فلما
استخلف قيل الان لا يحلبها فقال بلى واني لارجو ان لا يغيرني ما دخلت فيه
عن شي كنت افعله وذلك لان العرب كانوا يستقبحون حلب النساء و
يستنكفون عن مثل هذه الاشياء وكان عمر رضي الله عنه يتعاهد
الارامل فيسقي لهم الماء بالليل وراه طلحة داخلا بيت امراة ليلا فدخل
لها نهارا فاذا هي عجوز عمياء مقعدة فقال ما يصنع هذا الرجل عندك
قالت له منذ كذا وكذا يتعاهدني بما يقوم لي من البر وما يصلح شاني ويخرج

الاذى

الاذى عني ويتم لي بيتي فقال طلحة ثكلتك امك يا طلحة اعثرات عمر تتبع
ولما فرغ من الحث على الشفقة على خلق الله اتبعه بما بني على التعظيم لامر الله
لان العلم وسيلة العمل فقال ومن سلك طريقا تنكيره للشيوع اي من تسبب
باي سبب كان من مفارقة الاوطان والمسافرة الى البلدان والانفاق في
تحصيل هذا الشان والمجاهدة في مكان وزمان يلتمس فيه اي يطلب في ذلك
السلوك او المسلك علما شرعيا اذا نوى به وجه الله تعالى قال المم رحمه الله
عادة العلماء تقييد هذه المسالة بهذا الشرط مع انه شرط في كل عبادة لكونه
قد يتساهل فيه بعض الجاهلين ويغفل عنه بعض المبتدعة الغافلين انتهى
وكانهم ارادوا ان تطرق الرياء للعلم اكثر من تطرقه لساير العبادات فاحتيج
للتنبيه فيه على الاخلاص للاعتناء بشانه من بين الطاعات ثم العلم الشرعي
هو علم القران والحديث والفقه واصوله وما يتعلق به وما يتوقف عليه
حصوله كعلم اللغة والصرف والنحو والمعاني قدر الحاجة لا الخارج
عن العلم الشرعي كالفلسفة من منطق والهي وطبيعي ورياضي الا
اذا فرغ عن العلوم الشرعية واراد بتعلمها رد المذاهب الردية ودفع
شبههم الدينية وهيهات في ذلك من تصحيح النية وتخليص الطوية
وهذا قول عامة مشايخ الشريعة كالحليمي في شعب الايمان وغيره وقد
الف شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي رسالة في حرمة المنطق فعليك
بها سهل الله له به اي يسر له بسبب ذلك السلوك او الالتماس او
العلم او الطريق وهو الاظهر لقوله طريقا الى الجنة ليكون جزاء وفاقا
كالتنفيس بالتنفيس والتيسير بالتيسير والستر بالستر والعون
بالعون واخرج الترمذي ايما مومن اطعم مومنا على جوع اطعمه الله يوم

مطلب

القيمة من ثمار الجنة وايما مؤمن سقى مؤمنا على ظماء سقاه الله
يوم القيمة من الرحيق المختوم وايما مؤمن كسا مؤمنا على عري كساه الله
من حضر حلل اهل الجنة ويحمل هذا كله حديث انما يرحم الله من عباده
الرحماء ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء ثم من جملة طريق العلم
تقديم العمل بالعلم لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
ولقوله عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم هذا والعلم
نور في قلب المؤمن مقتبس من مصباح الكلمات المحمدية والافعال
والاحوال الاحمدية يهتدى به الى الله وصفاته وافعاله واحكامه فان
حصل بواسطة البشر فهو كسبي والا فهو العلم اللدني المنقسم الى الوحي
والالهام والفراسة فالوحي لغة اشارة بسرعة واصطلاحا كلام
الهي يصل الى القلب النبوي فما انزل مبناه ومعناه معا والحال انه لا يكون
الا بواسطة جبريل فهو الكلام الالهي وما نزل معناه على الشارع فعبر عنه
بكلامه فهو الحديث النبوي وقد يكون بغير واسطه في محل الشهود
كما قال فاوحى الى عبده ما اوحى وقد يكون بواسطه نزول الملك اي
تنزله من الصورة الملكية الى الهيئة البشرية وتحقيقه ان المتكلم
الحقيقي هو الحق فكلم اولا محمدا بواسطه جبريل عليه السلام وثانيا اصحابه
بواسطة محمد صلى الله عليه وسلم وثالثا التابعين بواسطة الصحابة
وهلم جرا رضي الله عنهم اجمعين وقد يكون بنفثه في قلبه بان يلقي
معناه من غير ان يتمثل بصورة ومنه قوله عليه السلام ان روح القدس نفث
في روعي والالهام لغة الابلاغ وهو علم حق يقذفه الله من الغيب
في قلوب عباده قال تعالى قل ان ربي يقذف بالحق والفراسة علم ينكشف

من

مطلب

من الغيب بسبب تفرس اثار الصور ومنه قوله تعالى ان في ذلك لايات
للمتوسمين اي المتفرسين وفي الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله
فالفرق بين الالهام والفراسة انها كشف الامور الغيبية بواسطة تفرس
الاثار الصورية والالهام كشفها بلا واسطة والفرق بين الالهام والوحي
انه تابع للوحي من غير عكس ثم علم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال
وعين اليقين ما كان بطريق الكشف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال
عن لوث الصلصال لورود رائد الوصال وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله
بكسر الباء وضمها جمع بيت اي مسجد او مدرسة او رباط او زاوية ولهذا لم يقل
من المساجد وفي رواية المصابيح في مسجد من مساجد الله والاضافة للتعظيم
بسبب ما يوجد فيه من ذكر الكريم وكذا استثنى منها الاماكن المستقذرة
كالحمام والمزبلة ولعل الحديث مستفاض من قوله تعالى في بيوت اذن الله
ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب
فيه القلوب والابصار الاية يتلون كتاب الله اي حال كونهم يقرؤنه و

مطلب

ليس المراد بتلاوته اجراء مبانيه من غير تصور معانيه ومتابعة ما فيه
ومخالفة ما ينافيه بل الابدان يقدر العبد انه يقرا على الله واقفا
بين يديه وهو ناظر اليه بل يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه به بل يستغرق
بمشاهدة المتكلم غير ملتفت الى غيره سامعا منه فيكون داخلا في قوله تعالى
الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته وقد سئل الامام الصادق عن حالة لحقته
في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قال ما زلت اردد الاية
على قلبي حتى سمعتها من ربي فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ثم تفكر فيما يتعلق بذات الله

وصفاته وافعاله ومصنوعاته ويقتبس معرفة الجلال والعظمة
وفيما يتعلق باهلاك الاعداء ويقتبس معرفة العزة والقهر والاستغناء
وفيما يتعلق بحال الانبياء ويقتبس معرفة اللطف والفضل والبهاء
وفي الايات الدالة على التكاليف والارشاد ويقتبس معرفة اللطف
والحكم فيعمل بمقتضاها في امر المعاش وزاد المعاد ويتدارسونه
بينهم شامل لجميع ما يناط بالقران من التعليم والتعلم وتدارس
بعضهم على بعض والاستكشاف والتفسير والتحقيق في مبناه
ومعناه الا نزلت عليهم السكينة فعيلة من السكون للمبالغة
اي ما يسكن اليه القلب من الطمانينة والوقار والثبات و
الاصطبار والذوق والشوق الى الرب وصفاء القلب
ونزول الانوار الانسية وذهاب اثار الظلمات النفسية فلا
ينزعجون عن المطالب الاخروية بسبب حدوث العوارض الدنيوية
وقيل جماعة من الملائكة ينزلون لتسكين الرعب في القلب وقال
المص في شرح مسلم المختار انها شيء من مخلوقاته تعالى فيه طمانينة
ورحمة انتهى وفي حديث مرسل انه صلى الله عليه وسلم كان في مجلس
فرفع بصره الى السماء ثم طاطا بصره ثم رفعه فسئل فقال ان هولاء
القوم كانوا يذكرون الله يعني اهل مجلس امامه فنزلت عليهم السكينة
تحملها الملائكة كالقبة فلما دنت منهم تكلم منهم رجل بباطل فرفعت
عنهم وهو يناسب قوله تعالى فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك
ال موسى وال هرون تحمله الملائكة وغشيتهم الرحمة اي غطتهم و
حفتهم الملائكة اي احدقتهم واحاطتهم الى السماء الدنيا على ما في الصحيحين

وفي

وفي رواية لاحمد علا بعضهم على بعض حتى يبلغوا العرش ليسمعوا منهم
الايات ويحفظوهم من الافات ويصافحوهم ويبالغوا في ثنائهم و
يؤمنوا على دعائهم قال ابن حجر تبعا للفاكهاني واختيار القاضي
ان السكينة هنا الرحمة مردود لعطفها عليها المقتضي للمغايرة في
قوله وغشيتهم الرحمة وهو مدفوع بان المغايرة حاصلة فيما بين الفعلين
المتعاطفين فان النزول مغاير للغشيان باعتبار الوصول والحصول كما قال
بعضهم اي شملتهم من كل جهة لاستيعابها نعم يلزم انه وضع الظاهر
موضع المضمر وهو كثير في القران والخبر فتدبر ثم الرحمة ارادة نفع العبد
فهي صفة ذات او انعامه واحسانه فهي صفة فعل وذكرهم الله اي
اثنى عليهم لقوله تعالى فاذكروني اذكركم فيمن عنده اي من الملا الاعلى
والطبقة الاولى من الكروبيين والروحانيين وارواح الانبياء
والمرسلين والشهدا والصالحين مباهاة بهم من بين المؤمنين
واظهار لحالهم من بين المحسنين والمراد عندية المكانة والقربة
لا المكان والمساحة شبههم في كرامتهم عليه بمن يكون
عند الملوك من المقربين لديه وفي الحديث القدسي والكلام الانسي
من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في
ملا خير منهم وفي صحيح مسلم ان لاهل ذكر الله اربعا تنزل عليهم
السكينة وتغشاهم الرحمة وتحفهم الملائكة ويذكرهم فيما
عندهم هذا وفي الجملة يدل الحديث على فضيلة الاجتماع تلاوة
القران بطريق المدارسة لا على سبيل المخالطة كما يفعله الجهلة
من الازهرية مع زيادات الانغام الموسيقية فانه منكر عند العلماء

الدينية وكذا على اجتماع حلقة الذكر لكن بشرط عدم رفع الصوت
بحيث يشوش على نحو المصلين من الطائفين وغيرهم فانه مكروه
في الدين ففي الصحيحين ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون
اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا الى حاجتكم
قال فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا الحديث بطوله فيقول
تعالى للملائكة اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة
فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة فيقول هم الجلساء لا يشقى بهم
جليسهم وفي صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من اصحابه
فقال ما اجلسكم قالوا نذكر الله عز وجل ونحمده لما هدانا ومن علينا
به فقال الله ما اجلسكم الا هذا قالوا الله ما اجلسنا الا ذلك قال اما
اني لم استحلفكم تهمة لكم والى اتاني جبريل فاخبرني ان الله يباهي
بكم الملائكة وروى الحاكم عن سلمان انه كان في عصابة يذكرون الله
فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما كنتم تقولون فاني
رايت الرحمة تنزل عليكم فبادرت ان اشارككم فيها وروى البزار
بلفظ ان لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فاذا اتوا
عليهم حفوا بهم الحديث وفيه فيقولون ربنا اتينا على عباد من
عبادك يعظمون الاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك
ويسالونك لاخرتهم ودنياهم فيقول تبارك وتعالى غشوهم برحمتي
وكان صلى الله عليه وسلم احيانا يامر من يقرا القران في المسجد
يسمع قراته وكان عمر يامر من يقروه عليه وعلى اصحابه يسمعون
هذا وبلسان الاشارة بيوت الله عبارة عما يذكر فيه الحق من النفس
والقلب

والقلب والروح والسر والخفي فذكر بيت النفس الطاعة والعبادة
وذكر بيت القلب التوحيد والتوجه وذكر بيت الروح الشوق
والمحبة وذكر بيت السر الشهود والمراقبة وذكر بيت الخفي بذل
الوجود وترك الموجود وقوله الا نزلت الخ مشير الى ثمرات التلاوة
من الانس بالله والحضور مع الله والغيبة عما سواه وتمثل الاشباه
والملائكة والارواح المقدسة في صور لطيفة والصعود من حضيض
بعد البشرية الى ذروة الملكوت الاعلى والدخول تحت الفناء والفرح
بتحقق البقاء والتبري من الناسوت والتقرب من اللاهوت
وهذا مقام يضيق عن بيانه نطق النطاق ولا يسع اعلامه في
ظروف الحروف وان قميصا حيط من نسج تسعة وعشرين حرفا
من معانيه قاصر قال ابو سعيد الخراز اذا اراد الله تعالى ان يوالي
عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فاذا استلذ بالذكر فتح عليه باب
القرب ثم رفعه الى مجلس الانس ثم اجلسه على كرسي التوحيد
ثم رفع عنه الحجب الظلمانية والنورانية وادخله دار الفردانية
وكشف له جمال الجلال والعظمة الصمدانية فبقي بلا هو
فحينئذ صار العبد زمنا قد برئ من دعاوي نفسه فصار عنها
فانيا وفي حفظه سبحانه باقيا ومن بطا به عمله بتشديد الطاء
والباء للتعدية كما في قوله لم يسرع به نسبه من الاسراع والمعنى
من جعله بطيئا واخره عمله السيء في مقام العبادة عن بلوغ درجة
السعادة لم يقدمه نسبه اليها لان الاسراع الى السعادة وقرب
الرب انما هو بالعمل الصالح وحسن الادب لا بالنسب ولا بالحسب

اذا مثال ذلك انما يعتبر في الدنيا واما في العقبى فاكرمهم اهل التقوى
قال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ولذا قال عليه السلام لرجل
تعلم انساب الناس علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال عمر تعلموا من انسابكم ما تصلون
به ارحامكم وفي الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم يا صفية عمة محمد يا فاطمة
ابنة محمد ائتوني يوم القيمة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا
ونقل عن ابي يزيد قدس سره ان مريدا له تبع خطاه من خلفه فاقبل عليه قائلا و
الله لو سلخت جلد ابي يزيد ولبسته لم تنل مثقال خردل من مقاماته ما لم
تعمل معاملاته فانشد ما بال نفسك ترضى ان تدنسها وثوب جسمك
مغسول من الدنس ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة
لا تجري على اليبس رواه مسلم بهذا اللفظ اي بهذا الاسلوب من اوله
الى اخره وقال ابن مسعود يامر الله بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس
على قدر اعمالهم زمرا زمرا اولهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر
الطير حتى يمر الرجل مشيا وحتى يمر اخرهم يتلبط على بطنه فيقول يا رب لم
بطات بي فيقول اني لم ابطئ بك انما بطأ بك عملك فليتنبه متنبه
ان كان راقدا وليقم جادا ان كان قاعدا **السابع والثلاثون**

التلبط الاضطراب والتحير

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما يروي اي حال كون ذلك المروي داخلا فيما يرويه عن ربه تبارك و
تعالى اي تكاثر خيره واحسانه وتعظم شانه وبرهانه وظاهره انه من
الاخبار القدسية وان الله تكلم بجميع ما فيه من الاسرار الانسية و
ليس كذلك بل المراد بما يرويه يحكيه عن فضل ربه او حكمه كما يدل عليه
ما بعده كذا قيل والاظهر انه حديث قدسي وكلام النبي الا انه صلى الله

عليه

عليه وسلم تارة روى عنه عز وجل بالمبنى كما في بعض طرق هذا الحديث
في الصحيحين ما هو صريح في هذا المعنى وهو يقول الله عز وجل اذا اراد
عبدي ان يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها
بمثلها وان تركها من اجلي فاكتبوها له حسنة وان اراد ان يعمل حسنة
فلم يعملها فاكتبوها له بعشر امثالها واذا تحدث بان يعمل سيئة
فانا اغفرها ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها وتارة روى عنه
سبحانه بالمعنى كما في هذا المبنى قال ان الله كتب اي قدر في سابق علمه
او امر الحفظة بكتبها في اللوح المحفوظ من عنده والمعنى اثبت الحسنات
اي ما يتعلق به الثواب والسيئات اي ما يستحق فاعله العقاب — مطلب
ثم بين ذلك اي ما ذكر هنالك والمعنى بين مقدارها وعين مبلغها
للسفرة الكرام بان بعضها وهو الحسنات يجازى بعشر او سبعين او
سبعمائة الى غير ذلك بطريق الفضل وبعضها وهو السيئات لا
يجازى الا بمثلها على سبيل العدل او بينه فيما انزله من كتابه او بين النبي
عليه السلام ذلك الابهام بما بعده من الكلام فيكون قوله ثم بين ذلك من
كلام الراوي وقوله فمن هم بحسنة الى اخره من كلام النبي عليه السلام و
الفاء تفصيلية لما قبلها قضية اجمالية لا يفهم ان الكتابة على اي
الكيفية اي فمن قصدها واراده وعزم عليها او ترجح عنده فعلها
فلم يعملها المانع عنها وباعث على تركها كتبها الله عنده حسنة بالنصب
على انها مفعول ثان باعتبار تضمين معنى التصيير او حال
موطئة موصوفة بقوله كاملة وذلك لان الهم بالحسنة قصد الخير
فيكون خيرا ولذا ورد نية المؤمن خير من عمله واما ارادة الشر وان كانت

سيئة لكنه يدفع بكف النفس عنها وهو حسنة وتقييدها بكاملة
لدفع توهم ان مجرد الهم بها يوجب نقصان ثوابها وفيه دلالة على ان مراتب الثواب
مختلفة ولو كانت شاملة هذا وفي رواية لمسلم اذا تحدث عبدي بان
يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة اي اذا خطر بباله وعلم الله في حاله
انه ارادها ان يكون من جملة اعماله ويؤيده الخبر الاخر من هم بحسنة فلم
يعملها فعلم الله انه ابصرها قلبه وحرص عليها كتبت حسنة وان هم
بها اي اهتم بها واعتنى بشانها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات
اي مضاعفة الى سبعمائة ضعف اي الى اضعاف كثيرة تفضلا منه
لاهل الايمان واحسانا لارباب الايقان وهذه المراتب بحسب تفاوت
العمل في المنافع اخلاصا في بابه ومراعاة لشرائطه وادابه والاحكام الثلاثة
مستفادة من الايات الثلاثة وهي قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها وقوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة وقوله من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة قال السدي ان هذا التضعيف
لا يعلم احد كم هو وما هو وانما ابهمه الله تعالى لان ذكر المبهم في باب الترغيب
اقوى من ذكر المحدود ثم حض حسنات الحرم كل واحدة بمائة الف حسنة
وهو مندرج تحت قوله والله يضاعف لمن يشاء وكذا افضل الصوم فانه
سبحانه قال الا الصيام فانه لي وانا اجزي به فيدل على ان قدر مضاعفة
ثوابه لا يعلم احد الا هو لانه من افضل انواع الصبر وانما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقد قال العلماء ان التضعيف بعشرة لا بد منه بفضل
الله ورحمته ووعده الذي لا يخلفه والتضعيف بسبعمائة فاكثر

اخرها كمثل حبة انبتت
سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة

المنا

انما يحصل لبعض الناس على حسب مشيئته واخرج ابو حيان في صحيحه
لما نزل مثل الذين ينفقون اموالهم الاية قال صلى الله عليه وسلم رب زد امتي
فنزل من ذا الذي يقرض الله قرضا الاية فقال رب زد امتي فنزل انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وروى احمد ان الله ليضاعف الحسنة الى
الفي حسنة ثم تلا ابو هريرة رواية وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
اجرا عظيما ومن هنا قال عمر رضي الله عنه لو وجدت لي حسنة لكفت لانه
سبحانه يقول وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فمن يقدر
قدره وروى ابو داود ان الصلوة والصيام والذكر يضاعف على النفقة
في سبيل الله سبعمائة ضعف مع ما ورد في حديث ابن ابي حاتم من ارسل
نفقة في سبيل الله واقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا
بنفسه في سبيل الله فله بكل درهم سبعة الاف درهم وروى الترمذي
من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له الخ كتب الله
له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة
وان هم بسيئة فلم يعملها اي من خوف الله او لاجل رضاه كما ثبت
في الحديث القدسي الذي رواه مسلم فان تركها فاكتبوها له
حسنة انما تركها من جراي اي من اجلي كتبها الله عنده حسنة كاملة
لانه انما تركها بعد ان هم بها مراقبة لله وحذرا من عقوبته في دنياه او
اخراه مع القدرة عليها وبقاء الميل اليها لا ان همه بها فلم يعمل لعجزه عنها او
عدم غرضه فيها قال العلماء يحمل هذا على من لم يوطن نفسه عليها
وانما ذلك تفكر لها بلا استقرار فيها فتكتب له الحسنة بالاعراض
عنها وكراهة خطورها فيها ولا يبعد ذلك من فضل الله سبحانه مع

مطلب

فعلته من جراك ساكنة مقصورة
وتمد من اجلك بجراك ف
المنافيه بخبر ي ا د ر و قيل نظر
شرون

انه قد تقرر ان في جانب الحسنة لابد من العزم عليها قالوا واما من
عزم بقلبه على السيئة ووطن عليها اثم في عزمه واصراره فان نفس العزم
والاصرار معصية فتكتب معصية واحدة واذا عملها كتبت معصية
ثانية وان تركها حسبة كانت حسنة كذا قالوا ولكن يشكل بقوله و
ان همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة لان ظاهره انه لم يكتب عليه
الا معصية واحدة ويؤيده انه زاد احمد في روايته ولم يضاعف عليه
اللهم الا ان يغاير بين الهمّين وعلى كل تقدير يدل الحديث على انه لا مضاعفة
في السيئة كما هو صريح في آية حيث قال تعالى فلا يجزى الا مثلها بصيغة الحصر
للمبالغة ووقع في اصل ابن حجر كتبت سيئة واحدة وهو مخالف للاصول
المعتمدة واما ما ورد عن ابن عباس من ان السيئة في الحرم يتضاعف فمحمول
على المضاعفة في الكيفية لا في الكمية جمعا بينه وبين الآيات القرآنية و
الاحاديث النبوية وهذا معنى قول قتادة في قوله تعالى فلا تظلموا فيهن
انفسكم فان الظلم في الاشهر الحرم خطيئة ووزرا وكذا ما في حديثين ضعيفين
ان السيئة تضاعف في رمضان وقال مجاهد تضاعف السيئة بمكة
كما تضاعف الحسنة وقال ابن جريج بلغني ان الخطيئة بها بمائة خطيئة
وفي غيرها يعني ان الخطيئة الواحدة فيها بحسب الكيفية تقاوم مائة
خطيئة في غيرها باعتبار الكمية وعلى هذا يحمل ما حكي انه قيل لاحمد في شيء
في الحديث ان السيئة تكتب باكثر من واحدة قال لا ما سمعنا الا بمكة
لتعظيم البلد وكذا نقل عن اسحق وقد يكون مضاعفة السيئة في الكيفية
باعتبار عظمة فاعلها وعليه يحمل قوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وذلك لان من عصى السلطان على

بساطه

بساطه اعظم جرما ممن عصاه على بعد منه ومنه حديث ويل للجاهل مرة
وويل للعالم سبع مرات وقد صح اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه
الله بعلمه ثم المحققون على ان العزم يؤاخذ به وخالف بعضهم ونسب الى
الشافعي وابن عباس وقال انه من الهم المرفوع تمسكا بقول اللغويين من
ان الهم بالشيء العزم عليه وهو مستمسك ضعيف في غاية من السقوط
لان اللغوي لا يتنزل الى هذه الدقائق التي نظر اليها ارباب الحقائق ومما يؤيد
الجمهور حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
قيل ما بال المقتول قال كان حريصا على قتل صاحبه فيفيد انه لو اراد دفعه
عن نفسه لا يكون شريكا له في اثمه وكذا يفيدهم الاجماع على المؤاخذة
باعمال القلوب كالحسد والحقد وحب الدنيا وامثالها وعليه حمل
ابن عباس قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
نعم العزم على الكبيرة وان كانت سيئة فهو دون الكبيرة المعزوم عليها
ولا ينافي ما تقرر ما روي عن الحسن في الحسن وعن سفيان في سوء الظن
بالمسلم انه اذا لم يصحبه قول او فعل فهو مفعو لان تحول على ما يجد الشخص
من نفسه باعتبار جبلته مع كراهته ودفعه عن نفسه بقدر
مكنته وذكر السبكي انه يؤاخذ بالهم بالمعصية في حرم مكة دون غيرها
وروي عن ابن مسعود موقوفا مرة ومرفوعا اخرى قيل والموقوف اصح ونقله
بعض اصحاب احمد عنه ولعل ما اخذهم قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من
عذاب اليم وقال بعض الصوفية انما كان العشرة اقل درجات الثواب لان الحسنة
تصدر بظهور القلب والسيئة بظهور النفس فاقل درجات ثوابها انه يصل صاحبها تلاوة تبعاه
الى مقام القلب الذي فوق مقام النفس في الارتقاء تلو مرتبة العشرات

للاحاد في الاعداد ومن عمل سيئة فلا تكتب الا واحدة لانه لا مقام ادون من
مقام النفس فينحط اليه فبالضرورة جزاؤه في مقام النفس بالمثل وهو حصول
هيئتها فيها ومن هنا يعلم ان الثواب من باب الفضل فانه بتنور استعداده
ويزداد قبوله لفيض الحق فيتقوى على اضعاف ما فعل ويكتسب بها اجورا قد تضاعفه
الى غير النهاية بازدياد القبول عند فعل كل حسنة وزيادة الفيض عند زيادة
القبول وزيادة القدرة عند زيادة الفيض الى ما لا يعلمه الا الله كما قال والله
يضاعف لمن يشاء وان العقاب عليها من باب العدل المقتضي للمساواة ومن فعل بالنفس
اذا لم يعف عنه يجازى بالنفس والسيئة والحسنة المذكورتان من قبيل الاعمال
لا الاشخاص والاعراض سيئة من شخص تعادل حسنة من غيره كما قال بعض العارفين
حسنات الابرار سيئات المقربين اذ سيئاتهم بوجود القلب ورب سيئة
توجب حجاب الابد كالشرك هذا وقال الطحاوي والطبري في هذا الحديث دليل
على ان الحفظة يكتبون اعمال القلوب خلافا لمن قال انها لا يكتب الا الاعمال
الظاهرة انتهى وفيه نظر اذ ليس في الحديث تصريح بان الحفظة يكتبونها رواه
البخاري ومسلم في صحيحيهما اي جامعيهما بهذه الحروف اي بهذه الالفاظ
المنقولة عنهما بعينها لا انه رواية بالمعنى لما فيها وفي رواية لمسلم بعد
واحدة او محاها الله ولا يهلك على الله الا هالك وتوضيحه ما قال ابن
مسعود ويل لمن غلبت احاده عشراته وجاء مرفوعا هلك من غلب واحده
عشرا فانظر اي من النظر بمعنى اعمال الفكر ومزيد التدبر اي فتامل واعتبر
يا اخي اي في الدين وهو نداء تعطف وشفقة وتلطف وفقني الله اي اقدرني
الله على الطاعة بخلق قدرتها في واياك وبدا بنفسه لقوله تعالى حكاية عن
انبيائه تعليما للاصفياء رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات

في قوله كتبها الله سيئة واحدة

ولقوله

ولقوله عليه السلام ابدا بنفسك قال ابن حجر ثم ادرج فيها من هو
بمنزلتها من احبائه واصدقائه فالنون للجمع لا للعظمة نفسه بناء
على ما وقع في اصله وهو خلاف ما عليه المتون المحررة والاصول المعتبرة
وعلى كل تقدير فيه رد على ما احدثه بعض طرفاء زماننا فانه اذا قيل
لهم تقبل الله منكم يقولون وبدا بكم الى عظيم لطف الله بكسر العين وفتح
الظاء على ما في الاصول المعتمدة وفي اصل ابن حجر الى عظيم لطف الله قال
في الكشف اللطف هو اجراء القضاء على وفق الارادة او ايصال نفع
فيه نوع من الدقة وقال الغزالي اللطيف من يعلم دقائق المصالح و
غوامضها وما لطف منها ثم يسلك في ايصالها الى المصلح سبيل
الرفق بها وتامل هذه الالفاظ النبوية الصادرة من المشكوة
المصطفوية ومنبع الحكمة الاحدية ومادة الحياة الابدية فقوله
في نسخة وقوله اي ومن جملة ما ينبغي تامله قوله اي في الحسنة
عنده فانه اشارة الى الاعتناء بها اي مزيد الاهتمام فيها والاعتداد
في شانها فان اجراء العندية على المعنى الحقيقي محال على الله سبحانه
لتقدسه عن المكان فالمراد عندية الرتبة وقربة المنزلة كقوله تعالى
ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر
وقوله اي ومن جملته قوله كاملة للتوكيد اي فانه صفة مؤكدة للتاييد
وشدة الاعتناء وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها كتبها الله عنده حسنة
كاملة فاكدها بكاملة اي اعتناء بتركها وان عملها اي قال وان عملها
كتبها الله سيئة واحدة فاكد تقليلها دفعا للتوهم الزيادة عليها
بواحدة بالنصب على الحكاية وهو الاولى في الحديث والاية وبالجر

جملته

على العمل الا ان العمل يتعين فى قوله ولم يؤكدها بكاملة اذ ليس هناك
حكاية وفى هذا كله اشارة الى ان مقام الفضل اوسع من مقام العدل
كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش
ان رحمتى سبقت غضبى ولا يهلك على الله الا هالك والحاصل
ان لفظ الحديث ومبناه طابق معناه فى افادة فضل الله بتضعيف
الحسنات وتكميلها والاعتناء بها وافراد السيئات وتقليلها والمسامحة
تعالى عباده فى المعاملة تضعيفا فى الخير وتخفيفا فى الشر لطفا لهم
وتفضلا بهم ولله در من قال من ذوى الاحوال يا خالق الخلق يا
من لا شريك له • طوبى لمن عاش بين الناس تهوا كا • انى لا
عجب ممن قد راى طرفا • من فرط لطفك زنى كيف ينسكا
والله ما فرحت روحى ولا انست • فى الدهر ما بقيت الا بذكراكا
وكيف تانس روح العارفين وان • دام السرور لهم الا بلقياكا • فلله
اى دون ما سواه الحمد اى جميع انواعه اذ لا يستحق الحمد ما سواه
لان الحمد تعريف المحمود بنعت الكمال فى صفات الجلال والجمال فالحمد
ثابت له سواء حمد او لم يحمد لانه محمود فى ازل الآزال والمنة
اى جنس النعمة لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله او المعنى له الحمد
فى الأولى والاخرى والمنة العظمى فى شهادة الكلمة العليا و
متابعة طريقة المصطفى سبحانه مفعول مطلق اى انزهه
عن نقصان فى شانه وفى نسخة زيادة وتعالى اى تعظم سلطانه
وظهر برهانه لا احصى ثناء عليه اى لا نقدر معاشر الانام
ولا نطيق على القيام بحق ثنائه وذكر جميل ذاته وصفاته وافعاله

واسمائه

فى اسمائه اولا نحصى جميع ثنائه اذ الحول البشرى قاصر عن استحصائه
كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تطيقوها فكيف
القيام بشكرها والخروج عن عهدة ذكرها وفيه تلميح الى قوله
عليه السلام لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ايماء
الى عجز البشرية عن القيام بحقوق العبودية وعن معرفة النعوت
الربوبية وقد ورد فيمن قال يا ربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك
ولعظيم سلطانك ان الله يقول للملائكة دعوا الى هذه الكتابة
فانكم تعجزون عن احصاء ما يقابلها من المثوبة وبالله اى بتيسيره
لا بغيره التوفيق اى توفيق التحقيق والاستقامة على سواء
الطريق وختم به لعرض فقره فى جميع اعماله واحتياجه فى كل احواله
الى الاسعاد الربانى والامداد السبحانى الثامن والثلاثون
عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى قال من عادى لى وليا من المعاداة ضد الموالاة والولى
ضد العدو وهو فعيل اما بمعنى مفعول وهو من يتولى الله امره و
حفظه على التوالى فلا يكله الى نفسه لحظة قال تعالى وهو يتولى
واما بمعنى فاعل وهو من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليه من
غير تخلل بمعصية وكلا الوصفين شرط فى الولاية كما ذكره القشيرى
والوصف الاول غالب على المجذوب المراد والثانى على السالك
المريد الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب والاظهر ان
المراد بالولى هنا المؤمن المتقى قال تعالى ان اولياؤه الا المتقون
وقال الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا

مطلب

وكانوا يتقون وتحقيقه ان يقال هو من يتولى الله بذاته امره فلا تصرف
اصلا اذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل ولا وصف فهو الفاني بيد المغني
يفعل به ما يشاء حتى يمحو رسمه واسمه وعينه واثره ويحييه بحياته
ويبقيه ببقائه والتركيب يدل على القرب فكانه قريب منه لاستدامة
عبادته واستقامة طاعته او لاستغراقه في بحر معرفته ومشاهدة
طلعة عظمته والاظهر ان المراد بالولي الكامل من جمع بين قرب الفرائض
والنوافل وان ادنى ما يطلق عليه من تقرب اليه بالفرائض من امتثال
الاوامر واجتناب الزواجر وقوله حال من قوله وليا اقدم عليه لتنكيره
وجعله ظرف لغو لعو ولو قال به ابن حجر فتدبر وايراد صيغة المبالغة
ولا يبعد ان يكون للمبالغة والمعنى من اذى وفي رواية من اهان
واحدا من اوليائي فقد اذنته بالحرب بهمزة ممدودة اي اعلمته
بانه محارب لي ذكره المص ويؤيده ما وقع في بعض الروايات فقد بارزني
بالحرب او بالمحاربة وقال بعضهم اي اعلمته باني محارب له اي
معامل له معاملة المحارب وهو ابلغ وفي رواية بدل هذا فقد استحل
محارمي وفي اخرى استحل محاربتي وفي اخرى فقد اذى الله ومن اذى
الله يوشك ان ياخذه في الحديث تسلية للاصفياء من معاداة
الاعداء وتحذير للاعداء عن ايذاء الاولياء وترك حرمتهم وتنبيه
على تعظيم شانهم وحفظ قلوبهم ودفع كربتهم لما في مفهومه حيث
جاء في معاداة الولي عظيم الوعيد يكون في موالاته جسيم القرب والتاييد
كما قيل وكم لله اشراف البرايا • لهم قدر عظيم بالكرامه • حمى والاهم
حقا وصدقا • كرامته الشفاعة في القيمة • ثم اعلم ان جميع المعاصي
محاربة

محاربة الله عز وجل ولذا قال الحسن يا ابن ادم هل لك بمحاربة الله من طاقة
فان من عصى الله فقد حاربه الا ان كلما كان الذنب اقبح كان محاربة
الله اشد واصرح ولذا سمي اكل الربوا وقطاع الطريق محاربين
الله ورسوله لعظيم ظلمهم لعباده وسعيهم بالفساد في بلاده هذا
واول من عادى وليا من اوليائه ابليس فانه عادى اول نبي من انبيائه
واستمرت هذه العداوة بين الذرية وقد حكي ان بعض الاكابر من الملوك
وقع على جمع من الصوفية فقال من انتم فقالوا نحن قوم من احبابنا
يض بدنياه ومن ابغضنا يض بعقباه فقال انا ما اقدر على محبتكم
ولا على عداوتكم وذهب وتركهم وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي
مما افترضت عليه التقرب طلب القربة واخذ المثوبة والباء في بشيء سببية
واحب صفة شيء وهو افعل بمعنى المفعول فهو منصوب وفي نسخة مرفوع
على تقدير هو احب وما الثانية موصوفة او موصولة والعائد
محذوف اي مما افترضته عليه والفرض اعم من ان يكون فرض عين او كفاية
ودخل فيه الواجب على مصطلحنا لانه فرض عملا لا اعتقادا ولهذا ثواب
الحنفية في نحو الوتر وركعتي الطواف اكثر من الشافعية لاختلاف معتقدهم
في القضية والمعنى ما تطلب عبدي القربة من رحمتي والمثوبة من عنايتي
بوسيلة عمل احب الي من الذي فرضته عليه اي وسائل القرب كثيرة و
مراتبها مختلفة واحبها الي اداء الفرائض ورعاية سائر تكاليف الاحوال
اذ هي الامانة المعروضة على السموات والارض والجبال وفي رواية بدل
هذا ابن ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضت عليك
قال العلماء وذلك لان الذي فرضه الله على عبده هو اختياره تعالى له

والذى يتنفل به العبد اختياره لنفسه فينبغى للعبد كمال الاهتمام
بامر الفرائض والقيام بتحسينها لا كما يفعله العامة من تضييع الفرائض
بالتقصير فى شرائطها وتكميل اركانها والاتيان بسننها وادابها ثم تكثير
النوافل والاذكار والاوراد والتلاوة وكثرة الطواف وامثالها ومايزال
عبدى يتقرب وفى رواية يتحبب الى بالنوافل اى بالزوائد على الفرائض
فيشمل السنن الموكدة وفى اخرى يتنفل اى ويترقى من مقام الى اخر حتى
احبه اى حتى املا قلبه من معرفتى فاشرقت عليه انوار ولايتى لسبب
الجمع بين فرائضى ونوافل طاعتى والشان كل الشان فى محبته سبحانه للعبد
دون محبة العبد له تعالى وان كانت الثانية نتيجة للاولى كما يشير اليه قوله
تعالى يحبهم ويحبونه وفى الصحيحين عن ابى هريرة مرفوعا اذا احب
الله عبدا دعا جبريل فقال يا جبريل انى احب فلانا فاحبه قال فيحبه
جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه
اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض الحديث فاعل بها رتبة واعظم بها
منقبة ولعل الحديث مستفاد من قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا وماخوذ من قوله سبحانه قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى يحببكم الله فالمحبة على قدر المتابعة فى الفرض والسنة هذا
ومن افضل النوافل تلاوة القران لما روى الترمذى ما تقرب العباد
الى الله عز وجل بمثل ما خرج منه اى ظهر منه يعنى القران ولذا قال عثمان
لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم وقال بعض العارفين لمريد تحفظ
القران قال لا فقال واغوثاه بالله مريد لا يحفظ القران فبم يترنم بم يناجى
ربه ثم سائر الاذكار فقد اخرج البزار عن معاذ قلت يا رسول الله اخبرنى
بافضل

بافضل الاعمال واقربها الى الله عز وجل قال ان تموت ولسانك رطب
بذكر الله وكفى فضلا لشرفه قوله فاذكرونى اذكركم ومن جملتها الحب فى الله
والبغض فى الله فقد اخرج احمد لا يجد العبد صريح الايمان حتى يحب لله
ويبغض لله فاذا احب لله وابغض لله فقد استحق الولاية وفى رواية
من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان
وروى ابو داود ان لله لاناسا ما هم بانبيائه ولا شهداء يغبطهم الانبياء
والشهداء يوم القيمة بمكانهم من الله عز وجل قالوا يا رسول الله من هم قال هم
قوم كانوا يتحابون بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها
فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس
ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا هذه الاية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ولقد اغرب ابن حجر حيث عد التوكل والرضا من التطوعات
الباطنة وغفل عن كلام الاكابر من الائمة انهما من الفرائض العينية المتعينة
على كل احد من سالكى الطريق الاخروية وفى الاحياء ذكرهما على وجه الاستيفاء
فاذا احببته اى حبا كاملا وقربته قربا كاملا فلا كنت اى صرت حينئذ
بمعنى ظهرت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش
بها بفتح الباء وكسر الطاء هو الرواية وموافق للاية وهى قوله يوم نبطش
البطشة الكبرى ويجوز ضم الطاء وكذا ضم اوله وكسر ثالثه فى اللغة
فقول ابن حجر بفتح اوله وكسر ثالثه وضمه ليس فى محله باعتبار الملة ورجله
التى يمشى بها وفى رواية وفؤاده الذى يعقل به ولسانه الذى يتكلم به
اى حافظ حواسه وجوارحه فلا يسمع ولا يبصر ولا ياخذ ولا يمشى
الا فيما ارضى واحب وينقلع عن الشهوات ويستغرق فى الطاعات وقيد

منه قول الخطابی معناه توفيقه فی الأعمال يباشرها بهذه الأعضاء يعنی بيسر
عليه فيها سعاملة سبيل ما يحبه ويعصمه عن مواقعة ما يكرهه من اصغاء
الی اللهو بسمعه ونظر الی ما نهی ببصره وبطش ما لا يحل بيده وسعی فی باطل
برجله وقال التوربشتی اجعل سلطان حبی غالبا عليه حتی سلب عنه الاهتمام
لشیء غير ما يقربه الی فيصير متخليا عن اللذات متخلعا عن الشهوات
متی ما تقلب واين ما توجه لقی الله بمرای فيه ومسمع منه ويأخذ حب
الله بمجامع قلبه فلا يسمع ولا يری ولا يفعل الا ما يحبه ويكون له فی
ذلك عونا وويدا ووكيلا يحمی جوارحه وحواسه وقيل المراد كنت اسرع
الی قضاء حوايجه من سمعه فی الاستماع وبصره فی النظر ويده فی اللمس
ورجله فی المشی وقيل كنت مسموعه ومبصره اي يكون مسموعه اسمی
وذكری وكلامی فلا يلتذ ولا يستانس الا به ومبصره عجايب ملكوتی
وصنايع جبروتی يستدل بها علی وجوب وجود ذاتی وقدس صفاتی ولا
ينظر فيها الا لله وكذلك فی اليد والرجل اي لا يمد الا الی ما احبه الله ولا
يخطو الا حيث يرضاه وفی كلام القاضی انه يتقرب ويترقی من مقام الی
اخرحتی يحبه الله فيجعله مستغرقا بملاحظة جناب قدسه ومطالعة
مقام انسه بحيث ما لاحظ شيا الا ورای تعالی فيه وما التفت التفات
خاص ومحسوس الا لاحظ ربه وشاهد قربه وهو اخر درجات السالكين
واول مراتب الواصلين هذا مجمل الكلام وان اردت تحقيق المرام فی هذا
المقام الذی زلت فيه الاقدام والاقلام وكلت دون الوصول الی الحق
الافهام فاستمع لما يتلی عليك من تدقيقات المحققة الاعلام الواصلين
الی اعلی مدارج الانس السائرين فی ارفی معارج القدس التايهين فی بيداء

وفی القاموس ما زالت السماء
ديما ديما دائمة المطر ودامت
السماء تديم ديما

عظمة

عظمة الملك والملكوت المتلاشين فی ديماء الديمومية والعزة والجبروت
الذين ورد فی شانهم الحديث ونطق بعزتهم القديم والحديث فنقول المحبة
ارادة ما تراه او تظنه خيرا مما سواه وهی اما محبة اللذة كمحبة الطعام
او محبة المنفعة كمحبة ما ينتفع به من المرام او محبة الفضيلة كمحبة
العلماء الاعلام ذكره الراغب ولا يخفی انها ابلغ من الارادة لانها اذا تاكدت
فی القلب وانعقدت فيه فهی المحبة وهی منقسمة الی الطبيعية وهی ميل
النفس الی لذاتها وشهواتها والشرعية الماخوذة من الكتاب والسنة والروحانية
وهی ميل القلب الی مطالعة الامور الملكوتية العلوية فاذا استولت
عليه وغلبت لديه تصير عشقا وهو المحبة المفرطة ولا يجوز اطلاقه
علی الله عند جمهور الائمة وقالت الصوفية محبة العبد هی الميل الدائم بالقلب
الهائم او ايثار المحبوب علی جميع المصحوب او محو المحب بصفاته واثبات
المحبوب بذاته او معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال الجنيد هی
دخول صفات المحبوب علی البدل من صفات المحب كما فی الحديث قال
السهروردی وذلك لان المحبة اذا صفت وكملت لا تزال تجذب بوصفها
الی المحبوب فاذا انتهت الی الغاية جهدها وقفت والرابطة متاصلة
متاكدة وكما قال وصف المحبة ازال الموانع من المحب وكمال وصف المحبة
تجذب صفات المحبوب تعطفا علی المحب المخلص من موانع قادحة
فی صدق المحبة ونظر فی قصوره بعد استيفاء جهده فيعود بعوائد
اكتساب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك انا من اهوی ومن
اهوی انا نحن روحان حللنا بدنا فاذا ابصرتنی ابصرته واذا ابصرته
ابصرتنا انتهی وفی هذا المقام انشد بعض المشايخ الكرام رق

الزجاج ورق الخمر فتشاكلت وتشابه الامر فكانما خمر ولا قدح
فكانما قدح ولا خمر وذكر الرازى فى حقائق التفسير ان المحبة للمحب
ثلاث مراتب محبة العوام التابعين للاعمال المحمدية وهى مطالعة المنة
من روية احسان المحسن بالنعمة ومحبة الخواص التابعين للاخلاق محبونه
اجلالا واعظاما ولكونه اهلا له ومحبة اخص الخواص التابعين للاحوال
وهى الناشئة من الجذبة الالهية فى مكامن كنت كنزا مخفيا وحقيقتها
ان تفنى المحب بسطوتها وتبقى فيه بلا هو لانها نار لا تبقى ولا تذر وللمحبة للمحبوب
ثلاث درجات ايضا محبة العوام باختصاصهم بالرحمة والمغفرة والمثوبة
ومحبة الخواص بتجلى صفات الجلال وستر ظلمة صفاتهم بانوار صفات الكمال
ومحبة اخص الخواص باختصاصهم بالجذبات وستر ظلمة وجودهم بانوار
الوجود الحقيقى الذات فيتجلى اولا بنار الجلال فيحرق عن قلبهم جميع ما كان فيه
من الاثم ثم يتجلى بنور الجمال ويمحوهم عنهم ويثبتهم به ويسلب عنهم
السمع والبصر والنطق وابدله بسمع وبصر يليق به فهم بين روضة المحو
وغدير الاثبات احياء غير اموات كما يشير اليه قوله تعالى وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى وهذا فى مقام المحب والمحبوب والمحبة واحد كما ان الرائى
فى المراة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائى والمرئى
والروية واحدا كما يشير اليه قوله عليه السلام المومن مراة المومن
مطلب
على ان المراد بالمومن فى الموضعين هو الله انتهى كلامه فيكون
فحوى الحديث ومقتضاه والله اعلم بحقيقة معناه ان
من استعلت به الدرجة المحبوبية وتمكنته الرتبة المطلوبة
كنت مستوليا بنور وجهى على قلبه مفيضا بنور سرى
على

على صدره فسمعه من نورى يسمع به وبصره من نورى يبصر به و
يده من نورى يبطش بها ورجله من نورى يمشى بها فيكون قائما
بنورى لان مصدر اعماله وهو القلب الذى هو بيت الرب
صار عرشا لنور الله من غاية الظهور ولا يصدر من النور
الا النور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فهذا العبد
هو الذى قام بنور الحق ذاتا وصفة فى شهوده وبقى لوجوده
لاستعداده بكمال الهداية لسبق العناية غذينا بالمحبة يوم
قالت له الدنيا ائتنا طائعينا هذا وفى رواية فبى يسمع و
بى يبصر وبى يبطش وبى يمشى اى انا الذى اقدرته على هذه
الافعال وخلقتها فيه فى جميع الاحوال كما هو معتقد اهل
السنة والجماعة خلافا للمعتزلة من اهل البدعة واما
زعم الاتحادية والحلولية بقاء هذا الكلام على ظاهر المرام وانه
سبحانه عين عبده واجزائه او حال فى قلبه واعضائه خروج
عن الاسلام باجماع علماء الاعلام وعمدة ما تقرر فى زبدة
ما تحرر ان من اجتهد بالتقرب الى الله بعمل الفرائض والنوافل
ابتغاء لرضاه وقربة مولاه ورقاه من درجة الايمان الى مرتبة
الاحسان حتى يعبد الله كانه يراه ويسمع ويبصر وياخذ ويسعى فى
هواه وهذا هو الذى يقال فى حقه لا يبقى الا الله لانه سبحانه
افناه عما سواه فلا ينطق الا بذكره ولا يتحرك الا بامره فان نطق
نطق به وان سمع سمع به وان نظر نظر به وان بطش بطش
ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك

له وفي الحديث من اصبح وهمه غير الله فليس من الله اي لاحظ
له في قربه ومحبته ومقام رضاه وان سالني اعطيته كذا في النسخ
وفي اصل ابن حجر تبعا للفاكهاني ولئن سالني لاعطينه ثم
حذف المفعول ليعم المسؤل ولئن استعاذني ضبطوه بالنون
وبالباء وكلاهما صحيح ذكره المص والاظهر الباء لقوله تعالى
فاستعذ بالله على انها للاستعانة لا للالصاق كما ذكره شارح
فانه هنا غير جائز الاطلاق بخلاف الدابه فان الالصاق من دابة
واما النون فللوقاية والياء منصوب بنزع الخافض واورد اللام
الموطئة للتاكيد وحذف المستعاذ منه ليعم في مقام التاييد و
العوذ الالتجاء اي ان التجا برحمتي وتعلق باعانتي واغاثتي لاعيذنه
وفي رواية زيادة واذا استنصرني نصرته والله قادر على ان
يعطيه من غير ان يساله وان يجيره قبل ان يستعيذه ولكنه سبحانه
متقرب الى اعطاء السائلين واعاذة المستعيذين ولذا ورد من لم
يسال الله يغضب عليه اي لابتلائه بالسؤال ولا يبان الحال الاشعار
بانه متحقق للكمال المستغني عن جمال ذي الجلال والعبد غير مستغن
عنه سبحانه لا في الايجاد ولا في الامداد ومن لطايف الكلام
قول بعض الشعراء الكرام الله يغضب ان تركت سواله وبني
ادم حين يسال يغضب ثم في هذا الوعد المحقق المؤكد بقسم الحق
اعلام بان من تقرب الى الله لا يرده اذا دعاه لكن كثير من السلف
كان مستجاب الدعاء ومع ذلك صبروا على البلاء منهم سعد
بن ابي وقاص رض الله عنه لما عمي قيل له لو دعوت الله فقال
هنا

قضا الله احب من بصري وقيل لابرهيم التيمي وهو في سجن الحجاج اما
تدعو الله فقال اكره ان ادعوه ان يفرج عني ما فيه اجري وصبر سعيد
بن جبير على اذى الحجاج حتى قتله مع انه كان مجاب الدعوة هذا وفي
رواية كنت له سمعا وبصرا ويدا ومويدا دعاني فاجبته وسالني
فاعطيته ونصح لي فنصحت له وان من عبادي من لا يصلح ايمانه
الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وذكر مثله في الفقر والصحة
والسقم ثم قال اني ادبر عبادي لعلمي بما في قلوبهم اني عليم خبير وهذا
مستفاد من قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه
كان بعباده خبيرا بصيرا ثم اعلم ان الاستعاذة انما هي لدفع المضار
ومعظمها بالنسبة الى الابرار هي الخواطر فلا بد من معرفتها فان
الخاطر ما يرد على القلب في صورة خطاب او تعريف او طلب و
انواعه اربعة خاطر الحق المسمى بالخاطر الاول وهو علم يقذفه
الرب من دطنان الغيب على اهل القرب ويبقى مطمئنا لا ينفيه
شيء ولا يقتضي المهلة ويعبر عنه بالالهام وخاطر الملك وهو
ما يرغب على الطاعات ويحذر عن السيئات ويلوم عليها
بعد الميل اليها وقد لا يطمئن ويطلب المهلة وخاطر الشيطان
وهو ما يدعو الى المناهي فيندفع بالاستعاذة والانتهاء وخاطر
النفس هو حركة في الباطن تبعث الى تحصيل ملاذها ومرامها
من اشياء منكرة يتحقق ان الله منزه عنها وعن غيرها فيقابل
بترك المبالاة واستدامة الذكر وساير الطاعات ويفرق
بينهما بان الشيطان الى دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى

ادمراده الاغواء كيف امكن فى ضمن الاشياء بخلاف النفس فانها لا تزال
تلح حتى يظفر مرادها الا ان يعينه الله ولهذا هو اشد الخواطر على المريد
وحقيقة الوسوسة ان الانسان بينما هو ذاهل عن الشئ ذكره النفس
والشيطان فيحدث له ميل يترتب عليه فعل هذا هو المشهور بين
الجمهور وقد ذكر نجم الكبرا خاطر القلب وهو ما سلم من منادغة
النفس ويطلق من قيد الشك وغيره وخاطر العقل وهو ما يكون
مع النفس والبدن لاثبات الحجة على العبد ليستحق به العقاب
ومع الملك والروح ليستوجب به الثواب وخاطر الروح وهو ما
ينبعث من همته التى هم بها الى الحضرة الالهية يستنزل بها الالهامات
الربانية وخاطر السر وهو ما ينشا من ميلانه الى معرفة الصفات
التى يستنزل المعارف من بحار الاسماء والذات وخاطر اليقين و
هو روح الايمان ومزيد العلم والايقان وخاطر الشيخ للمريد
يرد عليه على قدر العلقة المعنوية وخاطر النبى للاتباع على
قدر الاتباع والخاطر من الموتى على قدر صفاء الباطن وتالف
الروحين والخاطر من قلوب الاخوان على قدر خلوص الصحبة
انتهى ولا يخفى اندراجها تحت الخواطر الاربعة بل رجوع تلك
الخواطر باسرها الى اللمتين المذكورتين فى الحديث كما حققه
الشيخ العارف والمعارف بل لا يبعد ان يقال الاصل فى الخواطر
جميعها الخاطر الحقانى والالهام الربانى لقوله تعالى ونفس
وما سويها فالهمها فجورها وتقويها ومن ثم قيل التوحيد
اسقاط الاضافات يعنى فى سلسلة اسباب المسببات
ولما كان

ولما كان هذا التحقيق من غوامض العلوم وادراك عوائده فوائده من
دقائق الفهوم بسطنا الكلام فى ذلك واوردناه ما هنالك والله الهادى
الى سواء المسالك رواه البخارى لكن بزيادة بعد لا عيذنه وهى قوله وما
ترددت عن شئ انا فاعله ترددى عن نفس المومن يكره الموت وانا اكره
مساءته قال ابن الصلاح وليس المراد بالتردد ههنا حقيقته المعروفة
فى حقنا بل انه يفعل به كفعل المتردد الكاره اى لمحبته له يكره مساءته
بالموت لانه اعظم الالام الدنيا الا على قليلين من اهل العقبى والمشتاقين
الى قرب المولى وان كان لا بد له منه كما فى رواية وذلك لما سبق من محتوم قضائه
وقدره حيث قال كل نفس ذائقة الموت فسبحان من قهر العباد بما
اراد وهذا بالنسبة الى من يوجد عنده الكراهة الطبيعية كما تقتضيه
الحالة البشرية والا ففى الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه و
من كره لقاء الله كره الله لقاءه كما رواه احمد والشيخان والترمذى
والنسائى عن عائشة وعن عبادة التاسع والثلاثون
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله تجاوز اى عفا وتفاعل بمعنى فعل ولعل معنى المجاوزة
ان الله سبحانه يطالب المذنب بالذنب والمذنب يطالب الرب بالعفو
اى يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته فاذا غفر الرب فقد تجاوز عن
المطالبة لى اى لاجلى وتعظيم امرى ورفعة قدرى وحصول مرضى صدرى
عن امتى اى امة الاجابة قال الكواشى فى تفسيره كان بنو اسرائيل
اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطؤا عجلت لهم العقوبة الخطاء اى عمده
وقد ابعد ابن حجر حيث فسره اولا بقوله تجاوز بمعنى ترك وثانيا حين قال

هنا يحتمل عن حكمه او عن اثمه او عنهما جميعا وهذا هو الاشبه اذ لا
مرجح لاحدهما فابقى الحديث على تناولهما وتخصيصه بالثاني يحتاج لدليل
انتهى ولا يخفى ان حكم الخطا اعم من اثم فعله وما يترتب عليه من تداركه
فرفع الاثم مستفاد من هذا الحديث كما ان تداركه ماخوذ من قوله تعالى ومن
قتل مومنا خطا اذ المراد بالخطا هنا ضد العمد وهو ان يقصد بفعله
شيئا فيصادف غير ما قصد لا ضد الصواب خلافا لمن زعمه في هذا
الباب بناء على ان تعمد المعصية قد يسمى خطا ثم الخطا بفتحتين مقصورا
هو الاشهر ويجوز مده مع فتح الخاء وكسرها وكسر الخاء وسكون الطاء
وكذا ضم الخاء وسكون الطاء وبهذه الوجوه كلها قرى قوله تعالى انه كان
خطا كبيرا ولعل الخطا بفتحتين هو المراد هنا بدليل الاية الاولى
واما بقية الوجوه فتختصه بتعمد المعصية لا الخطا بالفتح ممدودا
فانه يناسب ان يكون ضد الصواب والحاصل ان من اتى بشي من
المعاصي او اخل ببعض الفرائض خطا لا يتعلق به ذم في الدنيا ولا
مواخذة في العقبى ولهذا لو قتل انسانا خطا بان لم يقصد الفعل
كان سقط على صبي فمات او قصد الفعل دون الشخص كما اذا رمى
الى صيد فاصاب انسانا لم يقتص منه اما من اراد ما يحسن فعله
ولكن يقع منه خلاف مراده فهو ممن اجتهد فاخطا فله اجر واما
من اراد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه فهو مخطي اراده
مصيب فعلا فهو مذموم بقصده غير محمود بفعله وفي رواية ان
الله تجاوز عن امتي عن الخطا قال ابن حجر وهي اظهر اذ لا يحتاج
فيها الى التضمين تجاوز لغيره بخلاف الاولى كما تقرر انتهى وفيه ان
تجاوز

وفي البداية ما محصله لا اثم في
الخطاء وقال الهداية قالوا المراد
اثم القتل فاما في نفسه فلا
يعرى عن الاثم من حيث
ترك العزيمة والمبالغة
في التثبت حال الرمي

تجاوز لم يتعد بعن مرتين فيحتاج هنا ان يقال الى ابدال الثاني عن الاول فتكون
المعنى عن خطا امتي والتضمين كثير في كلام الفصحاء ومرام البلغاء على انه
حينئذ ايضا يحتاج الى تقدير مضاف في اي تجاوز عن اثم خطا امتي بخلاف
ما قررنا حيث قلنا تجاوز بمعنى عفا فالخطا مفعول بلا واسطة وعن
امتي بالوسطة والنسيان ضد الذكر بالكسر والذكر بالضم بمعنى
التذكر وهو المراد هنا اي اثم ما صدر عنهم من اقتراف ذنب او افتراق
طاعة نسيانا ولهذا لو اكل الصائم او شرب ناسيا فلا افطار ولا كفارة
بخلاف الصلوة فان لها هيئة مذكرة قيل اذا كان اثم الخطاء والنسيان
متجاوزا عن هذه الامة المرحومة فما الحكم في الدعاء بقوله ربنا لا تواخذنا
ان نسينا او اخطانا واجيب بانه هذا تلذذ واعتراف بالنعماء بما رفع عنهم
من البلاء وبان النسيان منه ما يعذر صاحبه ومنه ما لا يعذر كما اذا
ترك التحفظ واعرض عن اسباب التذكر كمن راى نجاسة في ثوبه واخر
الازالة وصلى عند مقصرا او يجب القضاء وكذا اذا تغافل عن تعاهد
القران حتى نسي فذكر الخطا والنسيان واراد ما هو المسبب عنهما وقيل
المعنى ان نسينا المامور به او اخطانا في المنهي قد اجاب الله دعاءهم
بدليل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه سبحانه قال بعد كل دعاء فقلت
او نعم والله اعلم وغايته ان يكون الحديث متاخرا عن الكلام القديم
وما استكرهوا عليه بصيغة المفعول اي واثم ذنب صدر عنهم بالاكراه
والاجبار فلا يكفر من اكره على الردة فتلفظ بها مطمئنا بالايمان قلبه
والحديث مخصوص بغير القتل والزنى واللواطة وشهادة الزور و
الحكم بالباطل اكراها ونحو ذلك وفروع هذا الاصل وشروطه مذكورة

فى كتب المذهب من الامور المتفق عليها والمختلف فيها ولعل معناه بلسان
العارفين وارباب الاشارة هو ان الله لا يعاقب امتى ان اخطات طريق طلب الله
وفى العمل لما سواه من خوف عقوبة او رجاء مثوبة او نسيت عهد الله
الذى عاهدهم ان يحبوه ولا يحبوا غيره لانهم غرباء بعد اطالة العهد بهم
مسافرين عنه محتجبين بانواع البلاء عن قربهم لكن سيعودون الى
الفطرة الاصلية والمحبة الازلية لانه حين لم يكن شيئا مذكورا بل لم يكن
فى الكتاب مسطورا قد نطق الحق بمحبتهم اولا ورقم بها فى اللوح ثانيا وانزل
عليهم قوله يحبهم ويحبونه ثالثا ولله در من قال نقل فؤادك حيث
شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول • كم منزل فى الارض
يالفه الفتى • وحنينه ابدا لاول منزل • حديث حسن اى اسناده
رواه ابن ماجه لكن عن ابى ذر كما صرح به فى الجامع الصغير ورواه الطبرانى
فى الكبير والحاكم فى مستدركه عن ابن عباس والبيهقى وغيرهما كابن حبان
فى صحيحه والدارقطنى باسناد صحيح وقد قال الحاكم صحيح على شرطهما وما يضره
الاعلال بالارسال وانما اختار المصنف كونه حسنا مع تصريح جمع
بالتصحيح لما حكى البيهقى عن محمد بن نصر المروزى انه قال ليس لهذا الحديث
اسناد يحتج به فالاحوط ان يقال انه حسن لذاته صحيح لغيره **الاربعون**
عن ابن عمر رضى الله عنهما قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمنكبى بفتح الميم وكسر الكاف مجمع العضد والكتف وروى بالتثنية قبل
وهى الرواية وبالافراد وذلك ليتوجه توجها بليغا فيما يملى عليه و
يتمكن فى ذهنه ما يلقى اليه وفيه ايماء الى ان الراوى له منزلة عظيمة
لديه فقال كن فى الدنيا كانك غريب لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا
ولا

الحديث والاربعون

ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق
منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به
الغريب الذى يريد الذهاب الى اهله قاله المصنف وذلك لان الدنيا دار
مرور وجسر عبور كما قال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها
فينبغى للمؤمن ان ينتظر الانتقال عنها ساعة فساعة من الاحوال متهيأ
لاسباب الارتحال بتدارك الاعمال ورد المظالم وطلب الاستحلال
مشتاقا الى الوطن الحقيقى حين كان فى صلب آدم عليه السلام ثم نقل
منها الى دار الغربة والالام وبالاقبال على مداومة طاعة ذى الجلال
والجمال على وجه الكمال قانعا فى سفره ببلغة من لقمة وسترة من خرقة صابرا
على ما اودع فيها من الاكدار فانها ليس للقرار وانما العيش عيش الاخرة
كما فى الاخبار ثم ترقى عن المقام الاول بلفظ او التى بمعنى بل وقال او عابر
سبيل اى بل كانك عابر سبيل لانه قد يسكن الغريب فى غير وطنه ويستانس به
وباهله فلله در طائفة رفضوا الدنيا واعتزلوا عن الناس وتجردوا
عما هم عليه من الاتفاق والالتباس بل صاروا حفاة حاسرى الراس وفى الحقيقة
هم العقلاء والاكياس الخارج فضلهم عن الحد والعد ومقياس القياس
ان لله عبادا فطنا • طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا • نظروا فيها فلما
عرفوا انها ليست لحى وطنا • جعلوها لجة واتخذوا • صالح الاعمال فيها
سفنا • هذا وزيد فى بعض طرق الحديث وعد نفسك فى اصحاب القبور
وفى رواية الترمذى وعد نفسك من اهل القبور اى وتنبه من نوم
الغفلة وسكر الغرور وتب الى الله واستعد لزاد يوم الحشر والنشور
وهذا معنى ما ورد موتوا قبل ان تموتوا وكان عمر يقول اذا امسيت

البلغة ما يتبلغ من المعاش

اے دخلت في وقت الصباح وهو اول وقت النهار فلا تنتظر المسأ
وفي هذا حث على قصر الامل لانه سبب المبادرة الى العمل والمنجي من افات الكسل
فانه من طال امله ساء عمله فالواجب ان يجعل نصب عينيه اجله فان
هذا سبب للزهد في الدنيا والاقبال على العقبى ولذا قيل من جعل الموت نصب
عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها المضرة في العقبى وقد ورد في
الصحيحين وغيرهما لا يزال قلب ابن ادم شابا في اثنين حب الدنيا وطول
الامل وعن ابي ذكريا التيمي قال بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ
اتي بحجر منقور فطلب من يقروه فاذا فيه ابن ادم لو رايت قرب ما بقي من
اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من صالح عملك ولقصرت
من حرصك وحيلك فاعمل ليوم القيمة يوم الحسرة والندامة ذكره ابن
الجوزي في منهاجه وقد قال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم
الامل فسوف يعلمون وقال ابن عمر راني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا اصلح خصا فقال ما هذا قال خص لنا نصلحه فقال ما ارى الامر
الا اقرب من ذلك ذكره الترمذي وقيل لبعضهم لا تغسل قميصك
قال الامر اعجل من ذلك وعن محمد بن ابي ثوبة قال اقام معروف الصلوة
ثم قال لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلوه لم اصل بكم غيرها
فقال معروف انت تحدث نفسك ان تصلي صلوة اخرى نعوذ بالله
من طول الامل فانه يمنع خير العمل وروي عن ابي سعيد الخدري انه قال
اشترى اسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشترى الى شهر
ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيني الا ظننت ان شفري

لا يلتقي

الخص البيت من القصب او البيت المسقف بخشبة ق

طرف بصره اطبق احد جفنيه على الاخر ق

لا يلتقيان حتى يقبض روحي ولا طعمت لقمة الا ظننت اني لا
اسيغها حتى اغص بها من الموت والذي نفسي بيده انما توعدون
لات وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتيمم بالتراب فاقول يا رسول الله ان الماء قريب
منك فيقول ما ادري لعلي لا ابلغه ذكره الحارث ابن اسامة
وروي مرفوعا نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك
اخرها بالبخل والامل وهذا لان من قصر امله زهد في دنياه
ومن طال امله طمع ورغب في هواه وترك الطاعة وتكاسل
عن التوبة وقسا قلبه لنسيانه الاخرة وعن علي كرم الله
وجهه ارتحلت الدنيا مدبرة والاخرة مقبلة ولكل واحد
فيهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء
الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل
وكان الحسن يقول عجبا لقوم امروا باخذ الزاد ونودوا
فيهم بالرحيل الى المعاد وحبس اولهم في انتظار اخرهم
وهم قعود يلعبون ما يخطر هذا في خاطرهم ووقع في اصل
ابن حجر الى الصباح والى المساء بزيادة الى في موضعين وهو
مخالف للنسخ المعتبرة والشروح المشتهرة وقد ابعد في
تقدير المعنى حيث قال اے اذا امسيت فلا تنتظر باعمال
الليل الى الصبح واذا اصبحت فلا تنتظر باعمال النهار الى
المساء انتهى ووجه استبعاده لا يخفى على الفضلاء النهلاء
وخذ من صحتك لمرضك والمعنى اغتنم ايام الصحة والعافية

الظاهر ان الهوا مصدر مبني من هوى يهوى اى عشق فهو بمعنى العشق

ولما كانت الكلمة الاولى القول والثانية للفعل عطف عليها الثانية فقال وخذ

النبهاء

لاقتناء الاعمال الصالحة الباقية قبل ان تمرض فتعجز عنها
وتندم على ما فاتك منها وكذا الكلام فى قوله ومن حياتك
لموتك زاد الغزالى فى اربعينه فانك يا عبد الله لا تدرى
ما اسمك غدا اى ما رسمك ووصفك عند الله هل انت
من الابرار ومن الفجار والمعنى خذ من ايام حياتك ما تلقى
نفعه من طاعاتك بعد مماتك واياك والتسويف المانع
فان الوقت هو السيف القاطع وقد انشد لعلى كرم
الله وجهه فى هذا المعنى قريب المبنى اذا هبت رياحك
فاغتنمها فان لكل خافقة سكون ولا تغفل عن الاحسان
فيها فما تدرى السكون متى يكون اذا ظفرت يداك فلا تقصر
فان الدهر عادته يخون ثم الموت احد الاسباب الموصلة
الى النعيم السرمد كما ورد انكم خلقتم للابد ولكن ينقلون من
دار الى دار فهو وان كان فى الظاهر فناء فى الحقيقة بقاء و
ولادة ثانية ونتيجة باقية كالنوى المزروع لا يصير نخلا
الا بعد فساد جثتها ولذا من الله علينا بالموت فقال الله
الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال الذى خلق الموت
والحيوة وقدمه لكونه ذريعة الى الحيوة الحقيقية كما قال
وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهى
الحيوان لو كانوا يعلمون وفى الحديث الموت تحفة المؤمن
ثم الروح لا يدخل تحت سكرات الموت بل ينفصل وينقطع
علاقته عنه اولا لقوله تعالى ارجعى الى ربك راضية مرضية

خفق اضطرب وتحرك

يعنى

يعنى واما ساخطة مسخوطة ثم يتعلق حين دفن كما تعلق به ارادته سبحانه
كما يشير اليه قوله فادخلى فى عبادى ويتوجه عليه سوال الملكين ويرد عليه
عذاب القبر وثوابه ويبقى له العلاقة بالتلذذ والتالم بحسب اختلاف اكتسابه
ثم يرتقى روح المومن الى الدرجة العليا ويصل الى السعادة الكبرى واما
التى تذوق الموت فهى النفس الحيوانية المركبة من الطبائع الانسانية
كما قال تعالى كل نفس ذائقة الموت اذا خرج منه الروح تنهدم اركانها
وينعدم شانها لكن العارفون الذين صفت اجسادهم وتجانست
ارواحهم واشباحهم لا يتطرق اليها البلاء كما فى الانبياء والشهداء
والاولياء من اهل البلاء بل تجذبها الى حضرة اللاهوت وتطير معها فى
عالم الملكوت فافهم هذه الاسرار التى نطقت بها الاخبار وشاهدها
بالبصائر الباقية الاخيار وقد ورد معنى هذه الوصية عنه صلى الله
عليه وسلم من عدة طرق منها خبر الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل و
هو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل
سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك
وما احسن من قال من ذوى الاحوال وما هذه الايام الا معارة فما
استطعت من معروفها فتزود فانك لا تدرى باية بلدة تموت ولا ما
يحدث الدهر فى غد رواه البخارى هنا بظاهره يشعر بان الحديث المرفوع و
الموقوف كلاهما رواه البخارى وفى الجامع الصغير للسيوطى ما ينافيه فانه
قال كن فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل رواه البخارى عن ابن
عمر وزاد احمد والترمذى وابن ماجه وعد نفسك من اهل القبور
فالمتبادر منه ان الموقوف عن ابن عمر ليس مذكورا فى البخارى ثم روى

هذا الموقوف مرفوعا ايضا رواه البيهقي عن ابن عمر قال اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي فقال كن في الدنيا كانك غريب او عابر
سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور وقال لي يا ابن عمر اذا اصبحت
فلا تحدث نفسك بالمسا واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصبح
وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك فانك لا تدري
يا عبد الله ما اسمك غدا والحاصل ان هذا الحديث فذلكة الاحاديث
السابقة ونتيجة الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة ولهذا اختم به
عدد الاربعين كما ختم به اسلام عمر حيث نزل فيه يا ايها النبي حسبك
الله ومن اتبعك من المؤمنين **الحديث الحادي و** قدمت وجه الزيادة على
الاربعون عن ابي محمد عبد الله بن عمرو بالواو رضي الاربعين في ورقة ١٢
الله عنهما بن العاص بلا ياء هو الصحيح لانه اجوف لا ناقص كما حققه
صاحب القاموس حيث قال الاعياص من قريش اولاد بني امية بن
عبد شمس الاكبر وهم العاص وابو العاص والعيص وابو العيص واما
ما في بعض النسخ كما في اصل ابن حجر العاصي بالياء فهو مبني على توهم
انه اسم فاعل من العصيان وانه يجوز اثبات الياء وحذفها كما هو
مقرر في محلها نعم العاص هو الكافر العاصي واما من ذكر قبله فهما صحابيان
فينبغي ان يقال رضي الله عنهما الا انه قيل ابن العاص كما اشرنا اليه
لا بعده كما فعله ابن حجر فانه يتوهم منه ان الاخير صحابيان وعبد
الله تابعي فتدبر فانه اسلم قبل ابيه وكان اكبر منه باحدى او اثنتي
او ثلاث عشرة سنة عابدا عالما زاهدا اكثر الناس اخذ الحديث
قال ابو هريرة ما كان احد اكثر مني حديثا الا عبد الله بن عمرو فانه كان
يكتب

يكتب ولا اكتب سكن مكة ثم رحل الى الشام وعاد اليها وتوفي بها وقيل بالطايف
وقيل بالشام وقيل بمصر سنة خمس وستين وهو ابن ثنتين وسبعين
سنة مروياته سبعماية حديث وروايته اكثر من ذلك لما تقدم وانما
توعرت الطرق في الرواية عنه فكان ذلك سببا لقلة ما صح عنه يقال
انه حفظ عنه عليه السلام الف مثل وقد عمي في اخر عمره وهو احد العبادلة
الاربعة وكان النبي عليه السلام يفضله على ابيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم اي ايمانا كاملا حتى يكون هواه اي
ميل قلبه وطبع نفسه تبعا اي تابعا لما جئت به شرعا جامعا مانعا
والمعنى لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون موافقته للشريعة مثل موافقته
للوفاة من غير الكلفة ويجوز ان يحمل على نفي اصل الايمان اي حتى يكون
تابعا للشرع اعتقادا كالمخلصين لا خوفا واكراها كالمنافقين ويوافق
هذا الحديث خبر لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وولده
واهله والناس اجمعين رواه الشيخان ولما صدقت محبة الصحابة
صلى الله عليه وسلم وكان هواهم تبعا لما جاء به قاتلوا معه اباءهم وابناءهم
وبذلوا في طريقه مهجهم وانفقوا اموالهم وطوبى لهم فمن كان الهوى و
هوا الباطل المطاع والمحبوب الاتباع تابعا لطريق الهدى من الملة البيضاء
والسنة الزهراء حتى يصير همومه المختلفة وخواطر المتفرقة التي تنبعث
من هوى النفس وميل الطبع هما واحدا يتعلق بامر دينه واتباع شريعة تعظيما
لحقه وشفقته على خلقه كما قال • كانت لقلبي اهواء متفرقة • فاستجمعت
اذ راتك العين اهوائي • وصار يحسدني من كنت احسده • وصرت
مولى الورى اذ صرت مولائي • تركت للخلق دنياهم ودينهم • شغلا بحبك

العوض التسهيل تعقب حاروي

[illegible]

يا دينى ودنيائى فلا يميل الا بامر الشرع ولا يهوى الى حكم الطبع فهو المؤمن
الكامل التوحيد الذى يقبل منه التوحيد ومن اعرض عنه متبعا
لهواه متبعا الرضاه فهو الكافر الخاسر فى دنياه وعقباه ومن اتبع اصول
الشريعة دون فروعها فهو الفاسق ومن عكس فهو المنافق والهوى يصد
هواه احبه وشرعا ميل النفس الى مشتهيات الطبع دون مقتضيات
الشرع فان قلت ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم نور وضياء سمى
بالشريعة والهوى ظلمة فى النفس منبعثه من الطبيعة فكيف يصير
الهوى الظلمانى تبعا للدين النورانى مع ان علة الانضمام الكلية هى
الجنسية فالجواب ان النفس لطيفة فى الجسد تولدت من ازدواج الروح
والبدن واتصالهما والروح لطيف روحانى والجسد كثيف ظلمانى و
النفس متوسطة بينهما تقبل اللطافة الروحانية والكثافة الجسمانية
وهذا هو التسوية التى قال تعالى ونفس وما سويها فاستقامة الروح
الروحانى فى الروح النفسانى بمثابة النور فى الحدقة فصارت بها النفس
قابلة للخير والشر والفجور والتقوى كما قال تعالى فالهمها فجورها وتقويها
فاذا غلب الامر بالتقوى صارت منزكاة عن كدورات الدنيا متوجهة
الى الدين قابلة لليقين مائلة الى العقبى شائقة الى المولى واذا غلب الامر
بالفجور صارت تابعة للهوى سالكة مسالك الردى كما قال تعالى
قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وما احسن قول بعض ذوى العرفان
نون الهوان من الهوى مسروقة فصريع كل هوى صريع هوان قال
الراغب مثل النفس فى البدن كمجاهد بعث الى ثغر يراعى احواله و
عقله خليفة مولاه لديه ضم اليه ليرشده ويشهد له وعليه وبدنه

الثغر دربند

بمنزلة

بمنزلة مركوبه وهواه سايس خبيث ضم اليه ليفقد مركوبه والقرآن
بمنزلة كتاب اتاه من مولاه تبيانا لكل شئ ورحمة والنبى رسول
اتاه بالكتاب ليبين للناس ما نزل اليهم واشكل عليهم فان جاهد اعداءه
وقهرهم واستعان بالعقل فى امرهم حمد اثره اذا عاد الى حضرته وهو من المفلحين
ومن ضيع ثغره واهمل رعيته وصرف همته الى مركوبه واقام سايس المركب
مقام خليفة ربه فهو فى الاخرة من الخاسرين ثم اعلم انه روى عن ابن عباس
قال الهوى اله يعبد فى الارض ثم تلا ارايت من اتخذ الهه هويه
وقال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى
المأوى وفى الحديث المجاهد من جاهد نفسه والعاجز من اتبع نفسه
هواها وجاء مرفوعا ما تحت ظل السماء اله يعبد اعظم عند الله من
هوى متبع اخرجه الخرائطى وكذا روى عن اسماء بنت عميس مرفوعا
بئس العبد عبد هوى يضله وبئس العبد عبد طمع يقوده فالهوى
هو البلية العظمى فانها منبع شهوات الدنيا حديث صحيح الاسناد
رويناه بصيغة الفاعل والمفعول فى كتاب الحجة على تارك المحجة
فى عقيدة اهل السنة للحافظ ابى القاسم اسمعيل بن محمد بن الفضل الاصفهانى
وقيل هو ابو الفتح نصر بن ابرهيم المقدسى الشافعى الفقيه الزاهد نزيل
دمشق باسناد صحيح رواه محيى السنة فى المصابيح وشرح السنة و
قد اخرجه ابو نعيم ايضا فى كتاب الاربعين التى شرط فى اولها ان يكون
من صحاح الاخبار وجياد الاثار مما اجمع الناقلون على عدالة ناقله
ورواه الطبرانى ايضا وكذا الحافظ ابو بكر بن ابى عاصم الاصبهانى

ويمنى عليه الله تعالى

الحديث الثانى والاربعون

عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن ادم افعل مشتق من اديم الارض
وقيل اعجمي لا اشتقاق له ويؤيد الاول حديث مرفوع خلق ادم
من اديم الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض و
الاسود والاحمر والسهل والحزن والطيب والخبيث والمراد
هو وذريته كانه قال ايها الجنس ليدخل ابو الانس فيه دخولا
اوليا ثم في هذا النداء نكتة للعرفاء وهي ان اقوى المراتب الاسم و
اضعفها الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا اقوى
الموجودات هو الحق سبحانه وخلق الانسان ضعيفا فقالت
الملائكة ما للتراب ورب الارباب فقيل لهم قد يأتلف الاسم
مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة رب الارباب بحال
التضرع والنداء حيث قال ادعوني استجب لكم انك ما دعوتني
اي ما دمت تسألني مغفرة ذنوبك وغيرها او تعبدني بالطاعات
والدعوات ونحوها فان الدعاء مخ العبادة ورجوتني اي و
رجوت مغفرتي وطمعت في رحمتي او خفت من عقوبتي و
خشيت من عظمتي اذ الرجاء بمعنى الخوف ايضا جاء وما زمانية
ظرف قوله غفرت لك اي سترت عيوبك ومحوت ذنوبك على ما
كان منك اي مع ما وقع منك من الذنوب الكبيرة الصغيرة
والكبيرة ولا ابالي اي لا يعظم علي كثرتها فان جرائم العباد واثام
العباد في جنب عظمة رحمة الرب كذره صغيرة بل اقل منها
كالهباء فالحديث تحريض على الدعاء وتحسين الرجاء اما الدعاء
فحقيقته

فحقيقته استدعاء العبد ربه واستمداده منه والمعونة
في حقه وله شرائط واداب تقدم الاشارة اليها في اثناء
الكتاب فان قيل ثبت العلم بما هو كائن فالدعاء فلا يزيد ولا
ينقص في هذا الباب وايضا المطلوب ان كان من مصالح العبد
فالجواد المطلق لا يخل به سواء ساله او لم يساله وان
لم يكن منها لم يجز طلبه ولان الرضا بالقضاء باب الله الاعظم
والاشتغال بالدعاء ينافي هذا المقام الانجم بالجواب
ان الدعاء من سنن المرسلين ومن شعار المسلمين و
دأب العرفاء الصديقين والقران والحديث ناطق
بصحته بل مؤذن بوجوب سؤال الله ودعوته والسبب
العقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه غائبة عن عقول عباده
والحكمة الالهية يقتضي ان يكون العبد بين الخوف والرجاء اللذين
بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف الشرعية
مع الاعتراف باحاطة علم الله وجريان قدره في كل ما قضاه
ثم قوله صلى الله عليه وسلم فكل ميسر لما خلق له في جواب قولهم
فقيم العمل مع انه كتب مقعد كل احد من الجنة او النار يدل
عليه او يشير اليه فانه ردهم بسابق القدر في الازل ثم رغبهم
في القيام بالعمل ليعلم ان الوسائط والروابط معتبرة في جميع
امور هذا العالم والله سبحانه اعلم واما الرجاء فهو ان تاتي
بحسنة ترجو ثوابها او سيئة ثم تبت عنها فترجو مغفرتها
واما الرجل الفاسق المتمادي المتوالي القائل ارجو المغفرة

فهذا من اكاذيب الاماني قال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن
الطاعة ويؤيده قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله وقوله سبحانه
ان رحمت الله قريب من المحسنين وقيل الرجاء رؤية الجلال
بعين الجمال او قرب القلب من لطف الرب او سرور الفؤاد بحسن
الميعاد اذا كثرت منك الذنوب فداوها برفع يديك في
الليل والليل مظلم ولا تقنطن من رحمة الله انما قنوطك
منها من خطاياك اعظم فرحمته للمحسنين كرامة ورحمته
للمسرفين تكرم واما الخوف فهو عبارة عن الم القلب بسبب توقع
مكروه في الغيب وسببه التفكر وتفاصيل انواع العذاب
المتوعد به على الفاجر وهو نصيب اهل الظاهر ومعرفة الجلال
والكبرياء وهو وظيفة الانبياء والاولياء والاول يزول
والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اكثر امنه في العقبى اظهر
وبالعكس فتدبر ويروى انه ينادي يوم القيمه وعزتي وجلالي لا اجمع
على عبدي خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا خوفته يوم
القيمه ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيمة يا ابن ادم لو بلغت
ذنوبك اي وصلت من كثرة كميتها او من عظمة كيفيتها عنان
السماء بفتح العين المهملة قيل هو السحاب وقيل ما عن لك منها
اي ظهر اذا رفعت راسك اليها ذكره المص وقال التوربشتي العنان
السحاب واضافته الى السماء غير فصيحة واري الصواب اعنان
السماء اي صفائحها واقطارها كان جمع عنن فلعل الهمزة سقطت

عن ظهر

من

من بعض الرواة او ورد العنان بمعنى العنن انتهى ولا يخفى ان الاضافة
يصح بادنى ملابسة فلا ينبغي تخطئة جميع الرواة نعم لو ورد رواية عن
بعضهم لربما حكم ان الصواب معهم مع ما فيه من الفائدة المشعرة بان
السحاب منطبق اخذ بافاق السماء لا افق واحد لانهم يطلقون على كل افق
سماء كما يطلقون على كل طبقة سماء فيفيد المبالغة في كثرة الذنوب
بحيث لو كانت اجساما لملأت ما بين السماء والارض كما جاء في رواية
لو اخطاتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله لغفر لكم
ثم استغفرتني اي تبت توبة صحيحة بان ندمت على المعصية من حيث
كونها معصية واقلعت لله عنها وعزمت على ان لا تعود اليها وتداركت
ما يمكن من قضاء الطاعة التي فوتها ورد المظالم الى اهلها او استحلالهم
فيها غفرت لك وان تكرر المعصية والتوبة ففي الحديث ما اصر من
استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة كما رواه ابو داود والترمذي
واما الاستغفار مع الاصرار على الذنوب الكبار فتوبة الكذابين الفجار
وقد اخرج ابن ابي الدنيا حديث المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه
كالمستهزئ بربه ولذا قال اصحاب ابي حنيفة ان من قال استغفر الله
واتوب اليه وهو مصر بقلبه على المعصية كاذب اثم لانه اخبر
انه تائب وليس حاله كذلك وقد قال طائفة من السلف انه يكره له
ذلك والظاهر ان هذا بالنسبة الى قوله اتوب اليه واما بالنسبة الى قوله
استغفر الله فلا اذ لا يلزم منه كذب فان الاستغفار من جملة الادعية
والاذكار مفيد ولو مع الاصرار بتخفيف الكبائر وتكفير الصغائر هذا
وفي كلام بعض العارفين ان التوبة هي الرجوع عن مخالفة حكم الحق الى موافقته

فلابد من معرفة الذنب حتى يرجع منه بندم القلب وكثرة الاستغفار
وكف الجوارح عن الاوزار ومن رام حقايق توبة الواصلين فعليه بكتاب منازل
السائرين يا ابن ادم انك لو اتيتني بقراب الارض لك بملئها كما قاله بعضهم
وقال المصحح بضم القاف وكسرها لغتان روى بهما والضم اشهر ومعناه ما
قارب ملئها ثم قوله خطايا تمييز عن الذات المقدرة فى الاضافة نحو
ملئها عسلا او حال على ان ما قبله مفعول به والباء للتعدية ثم لقيتني
لك حال كونك ميتا بوصف الايمان والاحسان فثم المهلة لا للتراخي
فى الاخبار كما اختاره بعض الشراح لا تشرك بي شيئا بذاتي وصفاتي
وافعالي او شيئا بعبادتي من النفس والشيطان والخلق اذ الشرك
قسمان جلي وخفي والاول غير مغفور والثاني يحبط العمل ويعاقب
عليه والجملة حال لا تيتك بقرابها مغفرة وهي ازالة العقاب وايصال
الثواب ونكرها ليفيد المغفرة العظيمة وعبر بقرابها للمشاكلة والا
فمغفرته سبحانه غير متناهية وقد ورد اللهم مغفرتك اوسع من
ذنبي ورحمتك ارجى عندي من عملي واعلم ان عباد الله الذاهبين
اليه المقبلين عليه قسمان الواقفون والسالكون فالمراد بالواقف
من وقف فى عالم الصورة والمبنى ولم يفتح له باب فى الحقيقة والمعنى
كالفرخ المحبوس فى قشر البيضة الخلقية فيكون شربه من عالم المعاملات
البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته مع الرب فهو محبوس
فى سجن الابدان وعليه موكلان يكتبان من اعماله الظاهرة لديهما
او الملهمة اليهما او المنكشفة عليهما فاذا لقى الله العلي بريئا من الشرك
الجلي يغفر الله له مساويه ويشكر له مساعيه واما الثالث

فى

فلا يقف فى محل ولا ينزل من منزل بل يسافر من عالم المبنى الى عالم المعنى
ومن مضيق الاشباح الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار
فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الطريقة وخطاياه
ما يحجبه عن المولى من مراتب الدنيا والاخرى ورؤية غير الله والتعلق بما
سواه فان اكبر الكبائر اثبات وجود غير الله ذاتا وصفة وفعلا حتى
وجوده اصلا كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب وهو الشرك عندهم
كما قال العارف ابن الفارض ولو خطرت لي فى سواك ارادة على خاطري
سهوا حكمت بردتي فاذا تخلص من ذلك العصيان تلقاه ربه بالغفران
بان يستر بشواهد هويته ذنوب وجود الاغيار ويرحمه برفع البينونة
والاستار والطيار عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السر
يطير بجناحي العشق وهمه الذوق والشوق فى فضاء الحقيقة وفى رحله
بلجلجة الشريعة وهو المعين لحمل اعباء الامانة التي لم يوجد فى السماء والارض
امين يؤتمن لتحملها فلما عرضت عليه نظر اليها وعشقها وصار فراش
تلك الشمعة تدور حولها حتى حملها فنسب فى البداية الى الافساد وسفك
الدماء ولقب فى النهاية بالظلوم والجهول فان قلت من ابى ولم يطلع
فى حمل الامانة نسب الى المكانة من الطاعة والامانة ومن اطاعه واتى
نسب الى الظلم والجهل والخيانة فما الحكمة فى ذلك قلنا ان الذلة والمسكنة
وقعت فى جانب العاشق كما ان العزة والعظمة وقعت فى طرف المعشوق
بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا مرآة ذلة العاشق وايضا كمال العزة الامانة
يلزم كمال الذل المؤتمن فى اصلاح كتمان امر الامانة وقد يحصل غنى بحسن
الثناء عليه ليكون عزته فى الظاهر وذلته فى السر بذلك على حقيقة هذه

بجناح الحب الضعيف للعليل على معروف حال

الفراش جمع الفراشة بالفارسية پروانه

الدقيقة خطاب اسجدوا لآدم وعتاب اني اعلم ما لا تعلمون رواه
الترمذي رحمه الله وقال اي هذا كما في نسخة حديث حسن صحيح و
في نسخة حسن وفي اخرى حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه
والمعنى انه غريب اسنادا لا متنا ومطلق الغرابة لا تنافي الحسن والصحة
وقد اخرجه احمد وابو عوانة ايضا في مسنده الصحيح من حديث ابي ذر والطبراني
عن ابن عباس ثم لما كان هذان الحديثان مما عليه مدار الاسلام ويتضمن
ما لا يحصى من الحكم والاحكام لان اولهما في الترهيب مما اتباع الهوى والترغيب
في سلوك مسالك الهدى والثاني في التحريض على الرجاء والمغفرة والدعاء
الذي هو مخ العبادة اوردهما زيادة على عدد الاربعين في اخر الكتاب بضميمة لكل
ثواب واواه واواب واشعارا بما قال بعض ارباب الحال من زاد زاد
الله في حسناته ولعله انتقل في هذا المحل الى مضمون حديث الحال المرتحل
فكان الحديثين بمنزلة الفاتحة وصدر سورة البقرة والى قوله سبحانه فاذا
فرغت فانصب والى ربك فارغب اي بزيادة المطالب حتى تقرب وختم بهذا
الحديث العظيم الشان اشعارا بانه يجب على العبد ان يعتقد في مولاه الفضل
والاحسان والمغفرة والرافة والامتنان وان يحسن ظنه ان يرحمه في
الدنيا واو لعفو في العقبى فانه بتحقق رجاء الراجين حقيق وولي الاسعاد
والامداد والتوفيق فيا من عرف ما كان الدهر فزهد فيه وشغله هم الموت
فلا يضحك بملء فيه اعتصم بحبل لا انصرام له واستمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها واقبل على القران والحديث فما دونهما جهاد وتنزل من القران
ما هو شفاء ثم رايت منقولا ان جماعة من السلف اجتمعوا على
باب الفضيل بن عياض رحمه الله ليسمعوا منه الحديث فاطلع لهم

راسه

رجف اضطرب

راسه من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران عليكم بالصلوة عليكم بالطواف
ويحكم ليس هذا زمان الحديث انما هذا زمان تضرع وبكاء واستكانة ودعاء كدعاء
غريق في البحر العميق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك
وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ولعله اراد بالحديث علو الاسناد كما قال بعضهم حدثنا
باب من ابواب الدنيا لان غالب اهلها ليس لهم تصحيح في نقلها بل لهم غرض فاسد
من الاشتهار والاستظهار لا قصد العمل والاستبصار والاعتبار قال
المص فهذا اخر ما قصدته اي نويته واردته من بيان الاحاديث التي جمعت
قواعد الاسلام اي اساسه وما عليه مدار علماء الاعلام وتضمنت ما لا
يحصى من انواع العلوم في الاصول اي اصول الدين من الالهيات والنبويات
والفروع اي الاحكام الفقهية المتعلقة بالاعمال الظاهرية والاداب
اي تحسين الاحوال وتزيين الاخلاق الباطنية وسائر وجوه الاحكام
اي مما يحصل به كمال الاتقان للاحكام وما ذلك الا لكون علوم العالمين وفهوم
العالمين عاجزة عن درك حقائق كلامه وقاصرة عن كنه دقائق مرامه وانما
يغترف كل احد من اتباعه من بحر فيضه على قدر ما يحسن من اتباعه وهو مظهر
الاسم الاعظم والكنز الافخم الذي ظهر على وجه العالم ولذا قال بعض العارفين
قد عرف الخلق مقام الحق ولم يعرفوا الحقيقة المحمدية لتسترها بالاوصاف البشرية
فلله الحمد والمنة على اتمام هذا الشرح واسأله المزيد من فضله بزيادة النشر والنفع
انه ولي ذلك والقادر على ما هنالك والمامول من افضال الافاضل والطاف
الاماثل ان ينظروا الى كتابي بعين الرضا ويصلحوا ما فيه من الزلل والخطا فاني قليل
البضاعة قصير الباع في الصناعة لكن رب حامل فقه الى من هو افقه منه
فالسعي بقدر الاستطاعة واسال الله حسن الخاتمة في اخر العمر من الساعة

التي هي اخت القيمة • فرغ مؤلفه في اليوم التاسع والعشرين من
شهر رمضان المبارك عام عشر بعد الالف من الهجرة بمكة المكرمة
قبالة الكعبة المعظمة حامدا على ما هداه الله وشاكرا على ما اولاه
مولاه مصليا مسلما على نبيه وسائر الانبياء والمرسلين والحمد لله
رب العالمين • تمت هذه الكتاب بعون الله الملك الوهاب
عبد نحيف وضعيف مذنب محتاج الى رحمة الله القادر
الفتاح ابرهيم بن عوض غفر الله له ولوالديه ولصاحبه
ولجميع المؤمنين والمومنات برحمتك يا ارحم الراحمين •
تاريخ سنة ثلثون ومائة والف وقد فرغت من
تحرير هذه الكتاب في اوايل
صفر الخير • والله
اعلم بالصواب
واليه المرجع
والمآب
م